

الفكر اللساني



♦♦ مجلة علمية محكمة
في العلوم اللغوية التراثية
واللسانيات

مجلة الفكر اللساني - علمية محكمة - تصدر عن مخبر المباحث الدلالية واللسانيات الحاسوبية - كلية الآداب منوبة

ديسمبر

2025

مجلة «الفكر اللساني»
مجلة علمية محكمة ومتخصصة

مخبر «المباحث الدلالية»
واللّسانيات الحاسوبية»



أسّس سنة: 2018

مجلة «الفكر اللساني»

مجلة علمية محكمة ومتخصصة

ديسمبر 2025	العدد التاسع
-------------	--------------

كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة 2010 تونس
الهاتف القارّ: 216.71.600.700 (المكتب 1173)
البريد الإلكتروني: alfikr.alissani@gmail.com

إدارة المجلة

المدير المؤسس :

أ.د. عبدالسلام عيساوي

إدارة التحرير

رئيس التحرير:

أ.د. خالد ميلاد

نائب الرئيس :

• أ.د. فرح زعيم.

• أ.د. لبنى بن سالم .

نظرة في كتاب :

• في العربية : أ.د. المنصف عاشور - أ.د. شمس الدين الرحالي، أ.د. وسام العربي

• في الأنجليزية : أ.د فتحي هلال. أ.د نادية بوشهيو

• في الفرنسية : أ.د ثرياء بن عمر ، أ.د إيناس بن رجب . أ.د هند السوداني

هيئة التحرير

• أ.د. خالد ميلاد. • أ.د. شكري السعديّ.

• أ.د. مليكة الولباني . • أ.د. سامية قصاب الشرفي.

• أ.د. عبد السلام عيساوي . • أ.د. فرح زعيم.

• أ.د. إبراهيم بن مراد. • أ.د. لبنى بن سالم.

• أ.د. شكري مبخوت . • أ.د شمس الدين الرحالي.

• أ.د. العادل خضر. • أ.د. وسام العربيّ.

• أ.د. نور الهدى باديس . • أ.د. هند السوداني.

• أ.د. توفيق قريرة. • أ.د. صابر الحباشة

تمّ طبع هذه المجلة في

الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم

SOTEPAGRAPHIC

12, نهج الخيرية- 1002 تونس, البلقدير

الهاتف : 933 901 71 / 380 904 71

البريد الإلكتروني Sotepagraphic@yahoo.fr

الهيئة العلمية الموسعة

- من المغرب: أ.د محمد غاليم ، أ.د أحمد المتوكل ، أ.د. محمد الخطابي ، أ.د. محمد الرحالي ، أ.د. عبدالسلام اسماعيلي علوي .
- من الجزائر: أ.د. صالح بلعيد، أ.د. مسعود الصحراوي، أ.د. عايدة حوشي .
- من السعودية: أ.د. نوال الحلوة، أ.د. عبدالرحمان فهد - أ.د. علي بن موسى بن محمد شبير .
- من قطر: أ.د. علي الكبيسي، أ.د. رشيد بوزيان ، أ.د. أحمد صفر .
- من عمان: أ.د. خليفة بن أحمد القصابي ، أ.د. حمود النوفلي، أ.د. زاهر الداودي .
- من الإمارات: أ.د. لعبيدي بوعبد الله .
- من مصر: أ.د. عمرو مذكور .
- من سوريا: أ.د. سامر رضوان .
- من فرنسا: أ.د. فرانسوا راستي، أ.د. جاك لوفي .
- من أستراليا: أ.د. جوزيف لوبيانكو (جامعة ملبورن) .

التعريف بالمجلة

هي مجلة علمية محكمة متخصصة في نشر الدراسات التي تنزل في المباحث اللسانية والعلوم اللغوية والمعجمية تشرف عليها هيئة علمية دولية تتألف من كبار الأساتذة والباحثين والأكاديميين. تهدف هذه المجلة إلى نشر المعرفة اللسانية وتعميمها وإيصال التفكير اللغوي وفلسفته إلى المتقبلين المتخصصين في علم اللسانيات والتعريف بالمحاولات العلمية القيمة، التي ينشط لها الباحثون استثمارا لطاقاتهم ورؤاهم في التجديد والإضافة المعرفية وتطوير أساليب التفكير ومناهج التحليل وطرائق المعالجة ومواكبة جديد النظريات.

هي مجلة فصلية وتصدر بثلاثة ألسن (عربية، فرنسية وإنجليزية) تعتمد الهيئة العلمية في تحريرها على معايير علمية صارمة وشروط منهجية دقيقة وملزمة تسير حركة البحث العلمي العالمي وتساهل مستجداته.

وستدور أعمال المجلة في كلّ عدد على محور من محاور البحث اللسانيّ في مختلف اتّجاهاته وأطواره وآلياته ممّا تقترحه الهيئة العلميّة وممّا يواكب نبض القضايا وجديد النظريات، وممّا يؤصّل أيضا لتاريخ التفكير اللسانيّ من المرحلة الكلاسيكيّة إلى المرحلة الحديثة.

ولا تقتصر أعمال المجلة على المقالات اللسانية فحسب إنّما تنفتح على كلّ المباحث التي تستثمر اللسانيات نتائجها وتتخذ منها خلفيّة نظريّة وأساسا مرجعيّا شأن علم النفس وفلسفة اللّغة والعلوم العصبيّة وعلوم الإعلاميّة والبيولوجيا والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة... وذلك تعزيزا وتوسيعا لآفاقها وتكثيفا لمادتها وتنمية لصلات الوصل بين اللّغة ومختلف العلوم.

وستعمل المجلة على إشهار البحوث والباحثين وتضمن جميع حقوقهم الفكرية والأدبيّة.

دليل الباحث: مجلة الفكر اللساني

يقدم الباحث مخطوط بحثه بما يتوافق مع تعليمات النشر في مجلة الفكر اللساني الواردة أدناه:

المرسلات للمجلة: عناوين التراسل-

ترسل البحوث بصيغة word مرفقة بخطاب طلب نشر إلى إدارة هيئة التحرير موجهة لرئيس هيئة التحرير على البريد الالكتروني الخاص بالمجلة ويشترط أن تكون المشاركات مصححة ومراجعة ومتوافقة مع معايير النشر وقواعده في المجلة الموضحة في هذا الدليل:

- البريد الالكتروني: alfikr.alissani@gmail.com
- مقر المجلة: كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، 2010 تونس.

رقم الهاتف القار: 216.71.600.700 (المكتب: 1173).

رقم الهاتف الجوال: 216. 98 352 547 - 216. 52 391 760

شروط النشر ومعاييرہ

يُرجى من الباحثين المقبلين على نشر مقالاتهم في مجلة «الفكر اللساني» أن يتقيدوا بالضوابط والإرشادات الآتية:

أولاً: متطلبات إعداد المخطوط

(1) تنسيق النص

- هوامش 1.5 بوصة، وتبعد مزدوج بين السطور.
- اعتماد أسلوب شيكاغو في التوثيق (Chicago Manual of Style).

(2) الملخصات والكلمات المفتاح

- ملخص بالعربية (حتى 150 كلمة) وآخر بالإنكليزية أو بالفرنسية.
- (من 5 إلى 8) كلمات مفتاحية بالعربية والإنكليزية أو الفرنسية.

(3) البنية والعناوين

- عنوان رئيس بخط غامق.
- عنوان مستوى ثان بخط غامق مائل.
- عنوان مستوى ثالث بخط عادي.
- إزاحة (Tab) لأول كل فقرة.

(4) الخط والحجم

- * نوع الخط: صقال مجلة (Sakkal Majalla)
- * حجم الخط: 16 للعناوين و 14 للمتن و 12 للهوامش.
- * عدد كلمات المقال (بما في ذلك المراجع والملاحق والصّور): بين 5 و 10 آلاف كلمة.
- * يجب إثبات السّدّات حيث وجدت ووضع تنوين الفتح على الحرف الأخير لا على الألف: (مثال: الصواب: كتب شيئاً، والخطأ: كتب شيئاً).
- * توضع أرقام الهوامش متسلسلة آلياً أسفل الصفحة.

(5) علامات التنقيط

- علامات التنقيط خارج علامات الاقتباس.
- رقم الهامش قبل علامة التنقيط.

ثانيًا: التوثيق العلمي

(1) الإحالات في الهوامش

أ. كتاب

تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها (القاهرة: عالم الكتب، 2006)، 115.

ب. مقال في كتاب محرّر

عبد الله صولة، «البلاغة العربية في ثوب عرفاني: الاستعارة وعلاقتها بالمستوى القاعدي نموذجًا» في في مفترق الكلمات أعمال مهداة للأستاذ الطيب البكوش، تحرير صالح الماجري (تونس: جامعة سوسة/ جامعة باريس 13، د.ت.)، 37-55.

ج. مقال في مجلة

وليد العناتي، «مقدمة في اللسانيات الجنائية: رؤية لسانية تطبيقية»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية 41، العدد 164 (2023): 309-346.

د. أطروحة جامعية

شكري المبخوت، «إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية» (أطروحة دكتوراه، جامعة منوبة، 2006)، 42.

(2) الإحالات المختصرة

- حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، 115.
- صولة، «البلاغة العربية في ثوب عرفاني»، 37.
- العناتي، «مقدمة في اللسانيات الجنائية»، 312.
- المبخوت، «إنشاء النفي»، 42.

عند الإحالة المتتابة لمصدر واحد:

المصدر نفسه، 48.

ثالثاً: قائمة المراجع (مرتبة ألفبائياً)

(1) كتب

حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: عالم الكتب، 2006.
المبخوت، شكري. إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية. تونس: مركز النشر الجامعي، 2006.

(2) مقالات في كتب محرّرة

صولة، عبد الله، «البلاغة العربيّة في ثوب عرفانيّ: الاستعارة وعلاقتها بالمستوى القاعديّ نموذجاً» في في مفترق الكلمات أعمال مهداة للأستاذ الطيّب البكّوش، تحرير صالح الماجري (تونس: جامعة سوسة/ جامعة باريس 13، د.ت.)، 37-55.

(3) مقالات مجلات

العناتي، وليد، «مقدمة في اللسانيّات الجنائية: رؤية لسانية تطبيقية»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية 41، العدد 164 (2023): 309-346.

(4) أطروحات جامعية

المبخوت، شكري، «إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية» (أطروحة دكتوراه، جامعة منوبة، 2006).

رابعاً: تعليمات عامّة

- يخضع البحث للتحكيم المزدوج السريّ.
- يشترط ألا يكون البحث منشوراً أو مقدّماً للنشر في مكان آخر.
- تُرفض المقالات غير المطابقة لشروط النشر.

Les conditions et critères de publication

Les auteurs souhaitant soumettre un article à la revue « Al Fikr al Lissânî » (La pensée linguistique) sont priés de se conformer aux règles suivantes :

Exigences relatives à la préparation du manuscrit

1. Mise en page

- Marges de 1,5 pouce (tous côtés), interligne double.
- Respect du style d'écriture, de ponctuation et de mise en forme selon le *Chicago Manual of Style*, **adapté aux usages typographiques francophones**.

2. Résumés et mots-clés

- Fournir un résumé en arabe (maximum 150 mots) et un résumé en français ou en anglais (selon la langue de l'article).
- Ajouter de 5 à 8 mots-clés, en arabe **et** en français ou en anglais.

3. Structure et rubriquage

- Titre principal en gras.
- Sous-titre de niveau 2 en gras italique.
- Sous-titre de niveau 3 en style normal.
- Indenter (tabulation) le début de chaque paragraphe.

4. Police et taille

- Type de police : Times New Roman
- Taille de la police : 14 pour les titres, 12 pour le texte et 10 pour les marges.

5. Ponctuation citationnelle

- Les signes de ponctuation se placent à l'extérieur des guillemets, conformément aux usages typographiques français.
- Le numéro de référence de la note de bas de page se place avant le signe de ponctuation.

Référencement scientifique

1) Références en notes de bas de page

a. Livre

Exemple :
 Émile Benveniste, *Problèmes de linguistique générale* (Paris : Éditions Minuit, 1966), 115.

b. Article dans un ouvrage collectif

Exemple :

Salah Mejri, « Introduction : Polysémie et polylexicalité », dans *Syntaxe & Sémantique*, no 5 (Caen : Presses universitaires de Caen, 2004), 13–30.

c. Article de revue

Exemple :
Claude Kannas, « Jean Dubois et la lexicographie », *LINX*, nos 34–35 (1996) : 21–25.

d. Thèse universitaire

Exemple :
Nom, Prénom, « Titre de la thèse » (thèse de doctorat, Nom de l'université, année), page(s) concernée(s).

2) Références abrégées (notes courtes)

- Benveniste, *Problèmes de linguistique générale*, 115.
- Mejri, « Introduction : Polysémie... », 15.
- Kannas, « Jean Dubois et la lexicographie », 22.
- (Nom de l'auteur), « Titre abrégé », page.

En cas de référence consécutive au même ouvrage : *Ibid.*, page.

Bibliographie (classée alphabétiquement)

Livres

Benveniste, Émile. *Problèmes de linguistique générale*. Paris : Éditions Minuit, 1966.

Articles dans des ouvrages collectifs

Mejri, Salah. « Introduction : Polysémie et polylexicalité. » Dans *Syntaxe & Sémantique*, no 5 (2004), 13–30. Caen : Presses universitaires de Caen.

Articles de revues

Kannas, Claude. « Jean Dubois et la lexicographie. » *LINX*, nos 34–35 (1996) : 21–25.

Thèses

Nom de l'auteur. « Titre de la thèse. » Thèse de doctorat, Nom de l'université, année.

Directives générales

- Les articles sont soumis à une évaluation en double aveugle.
- Le travail soumis ne doit pas être publié ailleurs ni en cours d'évaluation.
- Tout manuscrit ne respectant pas ces normes sera rejeté.

الفهرس

15	الاستعارة التصويرية والمزج التصوري: دراسة مقارنة في الأسس والآليات أ. عائدة بنت أحمد بن حمود الحراصية أ.د. عبد الرحمن محمد طعمة جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان
37	الممارسة الاجتماعية بعدا نظريًا وتطبيقًا خطابيًا أ. فاطمة البوبكري، جامعة منوبة
77	مبدأ الاسترسال ومسالك المعنى في الخطاب د.عربية اليفرنّي، جامعة منوبة
93	المكون الدلاليّ «الصدر» في ديوان (وكنّت أحفر في صدري) لطلال الصلتي د. سالم بن شّون السوطي، جامعة المنار، تونس
117	الفرضيّة الإنشائيّة ومفارقة الإنشاء د. عماد بنّور الجدي، جامعة سوسة
139	متعلّقات الفعل وتراتبية أدواره الدلالية القضية والجهية د. محمّد الصّغير بلقاسم، جامعة منوبة
165	الفضاء اللغويّ والفضاء العرفانيّ في النصّ الشعريّ من خلال فضاء الغاب في أغاني الشّابي د. فاطمة البكوش، جامعة منوبة
185	جذور تحليل الخطاب في التراث العربي القديم أ.عواطف السمعلي، جامعة منوبة

الاستعارة التصورية والمزج التصوري: دراسة مقارنة في الأسس والآليات

Conceptual Metaphor and Conceptual Blending: A
Comparative Study of Foundations and Mechanisms

أ. عائدة بنت أحمد بن حمود الحراصية

أ.د. عبد الرحمن محمد طعمة

جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

الملخص

تُعَدُّ اللسانيات العرفانية من أبرز المناهج اللسانية الحديثة التي أحدثت تحولاً جذرياً في دراسة اللغة، إذ قاربت الظاهرة اللغوية بوصفها انعكاساً للعمليات العرفانية العامة التي تجري في الذهن وليست نظاماً مستقلاً بذاته. وفي هذا الإطار، برزت نظرية الاستعارة التصورية (CMT) لـلايكوف وجونسون كإطار تأسيسي، وتلتها نظرية المزج التصوري (CBT) لـفوكوني و تيرنر. ونظراً للجدل الأكاديمي المستمر حول طبيعة العلاقة بين النظريتين في تفسير الظواهر العرفانية المعقدة - هل هي علاقة تنافس أم تكامل وتوسيع - خصصت هذه الورقة البحثية لسد فجوة في الأدبيات من خلال تقديم تحليل مقارن ومعمق للأسس وآليات كلتا النظريتين. وتهدف الدراسة إلى تحديد أوجه التشابه والاختلاف الجوهرية بين الإطارين النظريين، وإثبات أن نظرية المزج التصوري تمثل توسيعاً ضرورياً للإطار العرفاني الذي أرسته نظرية الاستعارات التصورية، لا بديلاً عنها، وذلك من أجل تفسير الظواهر المعرفية الإبداعية والمعقدة في اللغة والفكر.

الكلمات المفتاحية: نظرية الاستعارات التصورية، نظرية المزج التصوري،

اللسانيات العرفانية، الفضاءات الذهنية، الإسقاط التصوري

Abstract:

Cognitive Linguistics (CL) is considered one of the most prominent modern linguistic approaches that has brought about a radical transformation in the study of language, as it views the linguistic phenomenon as a reflection of general cognitive processes occurring in the mind, rather than an autonomous system. Within this framework, Conceptual Metaphor Theory (CMT) by Lakoff and Johnson emerged as a foundational framework, followed by Conceptual Blending Theory (CBT) by Fauconnier and Turner. Given the ongoing academic debate regarding the nature of the relationship between the two theories in explaining complex cognitive phenomena—whether it is a relationship of competition, complementarity, or extension—this paper is dedicated to filling a gap in the literature by providing a deep comparative analysis of the foundations and mechanisms of both theories. The study aims to identify the fundamental similarities and differences between the two theoretical frameworks and to demonstrate that Conceptual Blending Theory represents a necessary extension of the cognitive framework established by Conceptual Metaphor Theory, rather than a replacement, in order to account for the more complex and creative cognitive phenomena in language and thought.

Keywords: Conceptual Metaphor Theory, Conceptual Blending Theory, Cognitive Linguistics, Mental Spaces, Conceptual Projection.

1. مقدمة

شهد حقل اللسانيات العرفانية في العقود الأخيرة تطورًا ملحوظًا في فهم العلاقة بين اللغة والفكر والتجربة الإنسانية. ومن أبرز النظريات التي ظهرت محاولة تفسير كيفية بناء المعنى وتشكيل المفاهيم المجردة: نظرية الاستعارات التصورية (Conceptual Metaphor Theory) ونظرية المزج التصوري (Con-ceptual Blending Theory)، إذ انطلقت نظرية الاستعارة التصورية من فكرة أنّ الاستعارة ليست مجرد أداة بلاغية، بل هي آلية معرفية أساسية نفهم من خلالها المفاهيم المجردة مثل: (الحب والزمن) ومن خلال المفاهيم المحسوسة مثل: (الرحلة والحركة). وبعد أكثر من عقد، ظهرت نظرية المزج التصوري بوصفها

إطاراً أكثر شمولية، لا يهدف إلى تفسير الاستعارة فقط، بل مجموعة واسعة من الظواهر المعرفية الأخرى، من خلال آلية المزج التي تنشئ معاني جديدة غير موجودة في المدخلات الأصلية.

ويشير هذا التطور تساؤلاً جوهرياً حول طبيعة العلاقة بين هاتين النظريتين: هل نظرية المزج هي بديل يلغي نظرية الاستعارة؟ أم أنها توسيع وتطوير لها؟ أم أن كليهما تعملان بشكل متوازٍ لتفسير جوانب مختلفة من الظاهرة المعرفية الواحدة؟ وهذا ما تسعى هذه الورقة للإجابة عنه، وتؤكد أهمية هذه الدراسة من الحاجة الملحة إلى توضيح العلاقة بين هاتين النظريتين في الأدبيات العربية، حيث لا يزال هناك خلط أو عدم وضوح⁽¹⁾ حول ما إذا كانت نظرية المزج تلغي نظرية الاستعارة أم تكملها. كما تسهم الدراسة في تعميق الفهم النظري للباحثين العرب في مجال اللسانيات العرفانية، وتوفر إطاراً واضحاً لتطبيق هاتين النظريتين في تحليل النصوص العربية.

2. نظرية الاستعارات التصويرية: الأسس والمبادئ

2.1. نشأة النظرية والثورة المفهومية

أحدث كتاب «الاستعارات التي نحيا بها» (Metaphors We Live By) لجورج لاكوف ومارك جونسون عام 1980 ثورة في دراسة الاستعارة. قبل هذا الكتاب، كانت النظرة السائدة إلى الاستعارة في الفلسفة واللسانيات التقليدية تعتبرها ظاهرة لغوية هامشية، مقتصرة على الشعر والبلاغة، وتنتمي إلى مجال اللغة المجازية (figurative language) المقابلة للغة الحرفية (literal language). لكن لاكوف وجونسون قلبا هذا التصور رأساً على عقب، مؤكدين أن الاستعارة ليست استثناءً، بل هي القاعدة في تفكيرنا وحديثنا اليومي. ثم توالى الأبحاث النظرية والتطبيقية على النظرية، فأثرى النظرية عدد من

(1) ينظر على سبيل المثال لبعض الأبحاث التي فيها بعض الخلط بين النظريتين: البوعمراني، محمد الصالح، (2015). السيميائية العرفانية الاستعارية والثقافي، مركز النشر الجامعي، تونس، ص. 7-29. القلقاط، المنجي، (2012). «الاستعارة في المنظورين التداولي والعرفاني»، حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة، ع. 57، ص. 311-325.

الدارسين المؤثرين من بينهم: زولطان كوفيتش (Zoltan Kovecses)، وريموند جيبس (Raymond Gibbs)، وإيف سويتسر (Eve Sweetser)، ومارك تورنر (Mark Turner).

تمثل المقدمة الأساسية لنظرية الاستعارة تصوّرية في أن «الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إن النسق التصوريّ العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس» (لايكوف وجونسون، 2012، 253). إن هذه المقدمة تسقط التفريق القائم بين الحقيقة والمجاز، فالاستعارات كامنة في جميع الاستعمالات اللغوية في اللغة العادية اليومية وفي الاستعمالات اللغوية البليغة. وكذا فإن الاستعارة لا ترتبط بالألفاظ اللغوية فحسب، بل «إن النسق التصوريّ البشري مبني ومحدد استعارياً. فالاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوريّ لكل منا» (نفسه، ص 29). وعلى هذا تكون العبارات الاستعارية تجلّ وتحقق سطحيّ لعمليات الاستعارة الحاصلة في الذهن. ومن هنا نفهم السبب الذي لأجله سميت الاستعارة عند لايكوف وجونسون بالاستعارة التصورية، فهي أداة تصوّر وتمثيل تشمل كل مظاهر الذهن البشري.

إذن الفرضية الأساسية للنظرية هي أن الاستعارة ظاهرة تصوّرية في المقام الأول وليست لغوية، وأن نظامنا التصوريّ العاديّ منظم بشكل استعاريّ إلى حدّ كبير. بمعنى آخر، الاستعارة ليست مجرد طريقة في الكلام، بل هي طريقة في التفكير. نحن لا نستخدم تعابير استعارية لأنها جميلة أو بلاغية، بل لأن المفاهيم نفسها في عقولنا منظمة استعارياً.

وقد اعتنى لايكوف وجونسون بتتبع أمثلة كثيرة للعبارات الاستعارية، محاولين الكشف من خلال تحليلها عن التصورات الاستعارية التي تحكمها، ومستنتجين بذلك الأثر الذي تعكسه هذه الاستعارات في سلوكنا، فالعلاقة تبدو ثنائية الأقطاب، فإن تعرّف ما تنطوي عليه العبارات الاستعارية يساعدنا في فهم التصورات الاستعارية في أدمغتنا، وهذه الأخيرة تساعدنا في تفسير كثير من

سلوكياتنا، فإن «اشتغال العبارات الاستعارية في اللغة اليومية بإمكانه أن يفيدنا بصدد الطبيعة الاستعارية للتصورات التي تبين سلوكياتنا اليومية... وإذا كان صحيحاً أن نسقنا التصوري، في جزء كبير منه، ذو طبيعة استعارية، فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكياتنا في كل يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة» (لايكوف وجونسون، 2012، 27-31). فما جوهر الاستعارة؟

2.2. البنية الأساسية: الإسقاط بين المجالات

يكن جوهر الاستعارة في كونها تتيح لنا فهم شيء ما انطلاقاً من شيء آخر، وبعبارة أخرى هي تمكّننا من فهم وتمثّل مجال تصوّريّ أو أكثر من خلال مجال تصوّريّ آخر، من خلال علاقات الربط التصوري (Conceptual Mapping) التي تتوسط المجالين. والربط التصوري هو جملة التناسبات التي تقوم بين المجالين، من خلال إسقاط المعارف المتعلقة بالمجال المصدر (Source Domain) على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف (Target Domain)، وممكن الاستعارة في تلك التناسبات. فالإسقاط يكون من مجال مصدر محسوس ومألوف إلى مجال هدف مجرد ومعقد. المجال المصدر عادة ما يكون مستمداً من تجربتنا الجسدية المباشرة مع العالم المادي، بينما المجال الهدف هو مفهوم مجرد نحاول فهمه. وهذا الإسقاط ليس عشوائياً، بل يخضع لمطابقات أنطولوجية (ontological correspondences) محددة ومنهجية.

وبالمثال يتضح المقال، فعندما يقول أحد المتجادلين للآخر في حوار احتدّ بينهما:

- لا يمكنك أن تدافع عن ادعاءاتك.

تقوم هذه العبارة على تمثّل مجال الجدل على ضوء مجال الحرب، أي أن هذه العبارة الاستعارية يكمن خلفها تصور استعاري هو (الجدال حرب). فمجال المصدر هو الحرب، ومجال الهدف هو الجدل. وقوام هذه الاستعارة على الربط ما بينهما على أساس التناسب:

- فالشخص الذي تتجادل معه يعدُّ غريماً.

- ونحن نهاجم موقفه، وندافع عن موقفنا.

- ونربح أو نخسر.
 - ونضع الاستراتيجيات، وإذا وجدنا أننا في موقفٍ ضعيفٍ فإننا قد نتركه ونختار خطأ دفاعياً جديداً.
 - فلا فرق بين المعركة المادية والمعركة الكلامية. فالأخيرة خاضعة ومبنية بتصور الحرب. وفي هذه العبارة نحن لا نتحدث فقط عن الجدل بعبارات الحرب بل إننا ننتصر أو ننهزم فعلاً!
 - وعلى سبيل المثال أيضاً، في الاستعارة التصويرية الحب رحلة (LOVE IS A JOURNEY)، يتم إسقاط بنية مجال «الرحلة» على مجال «الحب». هذا الإسقاط يتضمن المطابقات الآتية:
 - المحبون يقابلهم المسافرون.
 - علاقة الحب تقابلها المركبة.
 - الأهداف المشتركة للمحبين تقابلها الوجهات المشتركة في الرحلة.
 - الصعوبات في العلاقة تقابلها العوائق في السفر.
 - والإسقاط في هذه الاستعارة أحادي الاتجاه (unidirectional) يحافظ على البنية الاستدلالية للمجال المصدر، مما يسمح لنا بالتفكير والاستدلال حول المجال الهدف. فالعبارات اللغوية مثل «علاقتنا وصلت إلى طريق مسدود» (Our relationship has hit a dead-end street) أو «نحن نسير في اتجاهين مختلفين» (We may have to go our separate ways) ليست مجرد تعابير مجازية، بل هي انعكاس لبنية تصويرية أساسية نفهم من خلالها الحب (لايكوف، 1992، ص 9).
 - وقد يصعب في أحيان كثيرة الانتباه إلى ما في هذه العبارات من استعارة أصلاً، «فهذه التعابير متجذرة في الطريقة التي تواضعنا عليها في تفكيرنا في اللغة إلى درجة أنه يصعب أحياناً أن نتخيل أنها لا تعكس الحقيقة» (لايكوف وجونسون، 2012، ص 36). وهي ما تعرف بالاستعارات السائرة أو الجارية على الألسن والتي -على حدّ عبارة البلاغيين العرب- لا يستوقفك المجاز فيها.
- 2.3. أنواع الاستعارات التصويرية

صنف لايكوف وجونسون الاستعارات التصويرية إلى ثلاثة أنواع رئيسية⁽²⁾:

- الاستعارات البنيوية (Structural Metaphors): تنظم مفهوماً مجرداً بالكامل من خلال مفهوم محسوس آخر، مثل «الحب رحلة» و«الجدال حرب».
- الاستعارات الاتجاهية (Orientational Metaphors): تنظم نظاماً كاملاً من المفاهيم بالنسبة لبعضها البعض بناءً على اتجاهات مكانية، مثل «السعيد فوق، الحزين تحت».
- الاستعارات الأنطولوجية (Ontological Metaphors): تسمح لنا بفهم التجارب والأحداث والعواطف كأشياء وكيانات، مثل «العقل آلة».

2.4. الأهمية النظرية والتطبيقية

أسهمت نظرية الاستعارة التصويرية في تغيير فهمنا لطبيعة المعنى واللغة. فقد أثبتت أن معظم المفاهيم المجردة التي نستخدمها يومياً (مثل الزمن، السببية، العواطف) لا يمكن فهمها إلا من خلال الاستعارة. كما أظهرت أن اللغة ليست نظاماً رمزياً تعسفياً منفصلاً عن التجربة، بل هي متجذرة في تجربتنا الجسدية والحسية مع العالم.

3. نظرية المزج تصوّري: توسيع الإطار العرفاني

3.1 نشأة النظرية والدوافع

تشكلت نظرية المزج التصوري من المحاضرات المشتركة لجيل فوكونيي (Gilles Fauconnier) ومارك تورنر (Mark Turner) التي أسفرت بدورها عن ظهور مقالهما المشترك في إبريل 1994 بعنوان: الإسقاط التصوري والفضاءات الوسيطة (Conceptual Projection and Middle Spaces). تلتته بعد ذلك تطويرات للنظرية وصولاً إلى العمل الأكثر اكتمالاً وهو كتاب: طريقة تفكيرنا:

(2) في عام 2003 أعاد مؤسسا النظرية نشر كتابهما الاستعارات التي نحيا بها، وقد أضافا إليه تذييلاً طويلاً مهماً، ردّاً فيه تصريحاً أو تلميحاً على نقاد النظرية، ووسّعا مجال التطبيقات، وأجريا بعض التعديلات والتصويبات لا سيّما تلك المتعلقة بالتقسيم الثلاثي لأنواع الاستعارات: الاتجاهية، والأنطولوجية والبنوية. فقد قررا أن الاستعارات جميعها بنوية (ينظر، لايكوف وجونسون، 2012، -248 253).

المزج التصوري وتعتقدات الذهن الخفية (The way we think: conceptual) الذي لقي تعديلات ومراجعات أهمها ما جاء في كتاب: (أصل الأفكار: المزج والإبداع وألق البشرية (The Origin of Ideas: Blending, Creativity, and the Human Spark) لمارك تورنر، والذي نشر عام 2014.

صاحب هذه التطورات تعدد في مسميات النظرية، منها: نظرية الدمج التصوري (Conceptual Integration)، والمناول متعدد الفضاءات (Many Spaces Model)، ونظرية الشبكة (Network Theory). وقد قدم جيل فوكوني ومارك تورنر نظرية المزج التصوري كعملية معرفية أساسية أكثر عمومية من الاستعارة (فوكوني وتورنر، 2003). لم تكن النظرية محاولة لنقض نظرية الاستعارة التصورية، بل كانت محاولة لتوسيع الإطار العرفاني ليشمل مجموعة أوسع من الظواهر المعرفية. فقد لاحظ فوكوني وتورنر أن هناك العديد من الأمثلة اللغوية والمفهومية التي لا يمكن تفسيرها بشكل كافٍ من خلال الإسقاط البسيط بين مجالين فقط، وتوصلا من خلال أبحاثهما إلى أن المزج التصوري هو عملية كلية ومركزية، تنشط في أدق لحظات التفكير، وتعد ضرورية لأبسط مستوياته. وتكمن أهمية هذه العملية في قدرتها على توحيد مجموعة واسعة من العمليات الذهنية التي كانت تُعد متباعدة في الأطر النظرية السابقة، مثل بناء المخالف للواقع (Counterfactuals)، والقياس (Analogy)، والتكرار (Recursion)، والمقولة التصورية (Conceptual Categorization)، والنمذجة الذهنية (Mental Modeling)، والتأطير (Framing)، إضافة إلى الكناية والاستعارة.

في هذا السياق، يؤكد فوكوني وتورنر على أن هذه الظواهر المتنوعة ليست سوى تجليات سطحية لآلية عرفانية واحدة، حيث ينطلقان من أن: «هذه الظواهر نتاجات لشبكات الدمج الموجهة بمبادئ عامة واحدة وبغايات شاملة واحدة ولا فكاك بينهما في النظرية ولا في التطبيق» (تورنر، 2013، ص 9)

وبناءً على ذلك، فإن جميع هذه العمليات العرفانية ما هي إلا تحقيقات وتمظهرات على مستوى السطح، تكمن خلفها عملية عرفانية موحدة هي المزج

التصوري، مما يرسخ مكانة المزج كآلية عرفانية محورية في توليد المعنى والإبداع الفكري.

وهو ما يؤكد أن المعنى لا ينتج فقط من نقل البنية من مجال إلى آخر، بل من دمج عناصر من مجالات مختلفة في فضاء جديد، حيث تتفاعل هذه العناصر لتنتج بنية ناشئة جديدة.

3.2 البنية الأساسية: شبكة المزج التصوري

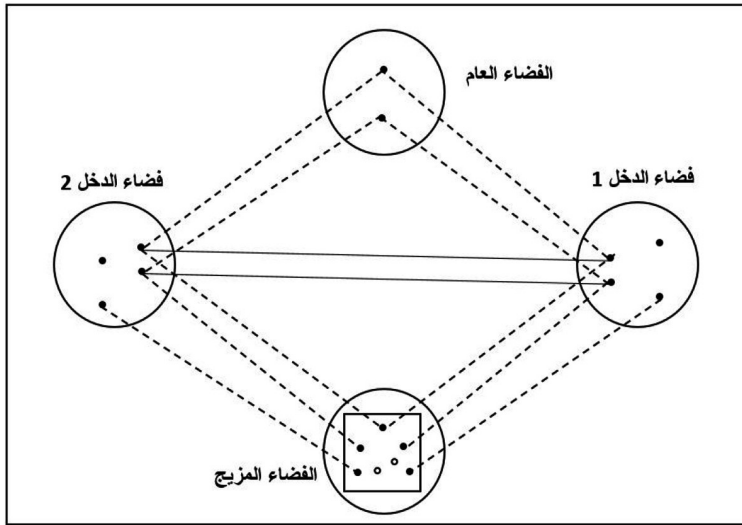
جوهر النظرية هو شبكة المزج التصوري ويطلق عليها أيضا شبكة التكامل، والتي تتكون عادةً من أربعة فضاءات ذهنية (mental spaces) (فوكونبي وتورنر، 2002، ص 46):

- فضاء الدخل الأول (Input Space 1): بنية تصويرية أولية تحتوي على عناصر ومعلومات من مجال معين.

- فضاء الدخل الثاني (Input Space 2): بنية تصويرية ثانية تحتوي على عناصر ومعلومات من مجال آخر.

- الفضاء العام (Generic Space): يحتوي على البنية المجردة المشتركة بين فضاءي الدخل، والتي تسمح بالمطابقة بينهما.

- فضاء المزج (Blended Space): فضاء جديد يتم فيه إسقاط عناصر من كلا فضاءي الدخل بشكل انتقائي، وتتفاعل هذه العناصر لإنتاج بنية ناشئة (emergent structure) غير موجودة في أي من المدخلات الأصلية.



الشكل (1): المخطط الأساسي لشبكة المزج التصوري

وتكمن الميزة الأساسية لنظرية المزج في قدرتها على تفسير الإبداع التصوريّ ونشوء معانٍ جديدة. على عكس الإسقاط أحادي الاتجاه في نظرية الاستعارة، فإن الإسقاط في نظرية المزج ثنائي الاتجاه، حيث يسهم كلا المدخلين في بناء الفضاء المزيج. علاوة على ذلك، فإن المزج عملية ديناميكية وآتية (on-line) تحدث في الوقت الفعلي للخطاب، مما يجعلها قادرة على تفسير الاستعارات الجديدة والمبتكرة.

3.3 العمليات الأساسية للمزج

يتأسس بناء البنية الناشئة (Emergent Structure) في فضاء المزج على ثلاثة مبادئ تكوينية أساسية، تعمل بشكل متضافر لضمان تماسك الشبكة التصورية وتوليد المعنى الجديد. هذه العمليات هي (فوكوني وتورنر، 2002، ص 48):

- التركيب (Composition): تُعنى هذه العملية بتجميع عناصر من فضاءات الدخل (Input Spaces) في فضاء المزج (Blended Space). يتم من خلال التركيب إنشاء علاقات جديدة بين هذه العناصر لم تكن موجودة في أي من

فضاءات الدخل الأصلية. وقد تتضمن العملية دمج عنصرين منفصلين من فضاءات الدخل ليشكلا عنصراً واحداً جديداً في المزيج (غنيم، 2019، ص109).

- الإتمام (Completion): هي عملية استدلالية لاواعية يتم فيها استدعاء الأطر المعرفية (Frames) أو السيناريوهات (Scripts) المناسبة من المعرفة الخلفية (Background Knowledge) لاستكمال البنى الناقصة في فضاء المزج بملء النمط في المزج بناءً على معلومات الذاكرة طويلة المدى. تهدف هذه العملية إلى تأييد المزيج بالمعلومات الضرورية التي تتوافق مع التجربة الثقافية والاجتماعية، مما يحقق التوازن والاستقرار المعرفي اللازم لفهم البنية الجزئية للمزيج.

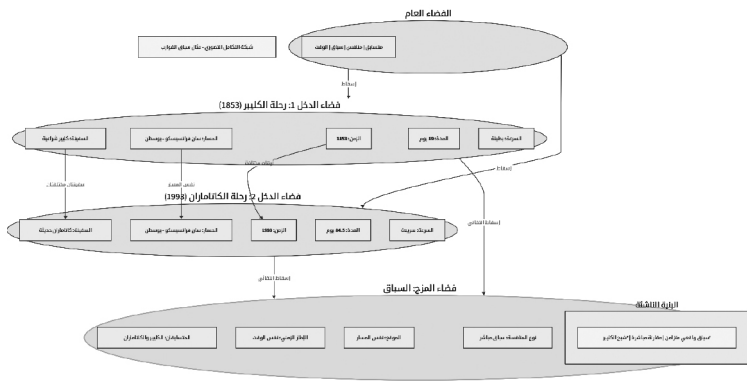
- البلورة والتفصيل (Elaboration): بعد اكتمال التركيب والإتمام، يبدأ المزيج في العمل (Running the Blend) بصورة خيالية أو محاكاة ذهنية، وفقاً لفوكوني و تيرنر. ونتيجة لهذا التشغيل، تجري عملية البلورة عبر توسيع المعاني وإنشاء معاني جديدة (Emergent Meaning) لم يكن من الممكن التنبؤ بها انطلاقاً من فضاءات الدخل وحدها من خلال إجراء «تجارب ذهنية» في الفضاء الممزوج لاستكشاف النتائج والاستدلالات. وتتوقف هذه العملية الديناميكية حالما تصل الشبكة المزجية إلى حالة من الاتزان المعرفي.

3.4 مثال توضيحي: سباق القوارب

يقدم فوكوني و تيرنر مثال «سباق القوارب» (The Boat Race) كمثال كلاسيكي على المزج (فوكوني و تورنر، 2002، ص123). في عام 1993، أبحرت سفينة حديثة (كاتاماران) من سان فرانسيسكو إلى بوسطن، محاولة التفوق على الرقم القياسي الذي حققته سفينة شراعية قديمة (كليب) عام 1853 على نفس المسار. عبرت إحدى المجلات عن هذا بقولها: «بينما كنا نذهب للطباعة، كان ريتش ويلسون وبيل بيونيجا بالكاد يحافظان على تقدم بـ 4.5 أيام على شبح الكليب Northern Light».

في هذا المثال، هناك حدثان منفصلان تمامًا في الزمان: رحلة الكليب عام

1853 ورحلة الكاتاماران عام 1993. لكن في الفضاء الممزوج، يتم دمج هذين الحدثين في سباق واحد يحدث في نفس الوقت، حيث القاربان يتنافسان وجهاً لوجه. هذا «السباق» هو بنية ناشئة غير موجودة في أي من فضائي الدخل الأصليين. إنه ليس حدثاً حقيقياً، بل هو تصور ذهني نشئه من خلال المزج، يسمح لنا بفهم ومقارنة الأداء بطريقة حيوية ومباشرة.



الشكل 2: شبكة التكامل التصوري لمثال سباق القوارب (The Boat Race) (3)

4. العلاقة بين النظريتين: تحليل مقارن

إن التميز الدقيق بين النظريتين يمثل ضرورة منهجية للباحثين المشتغلين في حقل الدلالة المعرفية (Cognitive Semantics)؛ بهدف تمكينهم من انتقاء الإطار النظري الأكثر ملاءمة لمعالجة الإشكاليات البحثية التي يضطلعون بها. وقد استدعت هذه الإشكالية جهوداً بحثية رصينة سعت إلى تحديد أوجه التداخل والافتراق بين النظريتين. ومن أبرز هذه الدراسات تلك التي قام بها كل من جراي (Grady) وأوكلي (Oakley) وكولسون (Coulson) عام 1999، والتي حملت عنوان: المزج التصوري والاستعارة (Conceptual blending).

(3) تم إنشاء هذا المخطط بواسطة نموذج ذكاء اصطناعي (AI) بناءً على نموذج شبكة التكامل التصوري (Conceptual Integration Network) الذي طوره فوكوني وتيرنر (2002). المخطط توضيحي ويعكس الفهم الحالي للنظرية.

(and metaphor). كما تناولت كولسون هذا الموضوع بعمق في دراستها عام 2006، المزج التصوري في الفكر والبلاغة والإيديولوجيا والإيديولوجيا (Conceptual blending in thought, rhetoric, and ideology). بالإضافة إلى ذلك، قدمت أطروحة الدكتوراه لـ تيموثي جيل (Timothy Gill) عام 2010، المزج التصوري والاستعارة وتكوين المعنى في العصر الجليدي في أوروبا (Conceptual Blending, Metaphors, and the Construction of Meaning in Ice Age Europe) إسهاماً نوعياً في بحث العلاقة بين المفهومين وتطبيقاتهما.

4.1 أوجه التشابه الأساسية

على الرغم من الاختلافات التي سنناقشها لاحقاً، تشترك النظريتان في عدة مبادئ أساسية تعكس انتمائهما إلى الإطار العرفاني ذاته:

- أولاً: الطبيعة التصويرية للظواهر اللغوية. تتفق النظريتان على أن الاستعارة (والظواهر المعرفية الأخرى) ليست مجرد ظواهر لغوية سطحية، بل هي انعكاس لعمليات تصويرية عميقة في الذهن البشري (جرادي وأوكلي وكولسون، 1999، ص5).

- ثانياً: الإسقاط بين البنى التصويرية. تعتمد كلتا النظريتين على فكرة الإسقاط أو الربط الإسقاطي (Mapping) كآلية أساسية لبناء المعنى. في نظرية الاستعارة، يتم إسقاط بنية من مجال مصدر إلى مجال هدف. وفي نظرية المزج، يتم إسقاط عناصر من فضاءين ذهنيين إلى فضاء مزيج.

- ثالثاً: المطابقات المنهجية. تؤكد النظريتان على أن العلاقات بين المجالات أو الفضاءات ليست عشوائية، بل منهجية ومحكمة البنية. هناك مبادئ تحكم ما يمكن إسقاطه وما لا يمكن.

- رابعاً: المحافظة على البنية الاستدلالية. في كلتا النظريتين، لا يقتصر الإسقاط على نقل العناصر المفردة، بل يشمل نقل العلاقات والبنى الاستدلالية، مما يسمح بالاستدلال في المجال الهدف أو الفضاء المزيج.

4.2 أوجه الاختلاف الجوهرية

لفهم العلاقة بين النظريتين بشكل أعمق، يمكننا عقد مقارنة منهجية بينهما بناءً

على عدة معايير أساسية، كما هو موضح في الجدول الآتي:

المعيار	نظرية الاستعارات التصورية (CMT)	نظرية المزج التصوري (CBT)
الوحدة الأساسية	المجالات التصورية (Domains) - بنى معرفية واسعة ومستقرة	الفضاءات الذهنية (Mental Spaces) - بنى جزئية ومؤقتة
عدد البنى	نموذج ثنائي (مجال مصدر ومجال هدف)	نموذج رباعي (فضاء عام، فضاء مزيج، فضاءي دخل، فضاء عام، فضاء مزيج)
اتجاه الإسقاط	أحادي الاتجاه (من المصدر إلى الهدف)	ثنائي الاتجاه (من كلا المدخلين إلى المزيج، أو من المزيج إليهما)
النتائج الرئيسي	فهم المجال الهدف من خلال بنية المصدر	بنية ناشئة جديدة في فضاء المزج
نوع الاستعارات	تركز على الاستعارات الراسخة والتقليدية	تعالج الاستعارات الجديدة والآنية
طبيعة العملية	علاقات تصورية راسخة (مخزنة في الذاكرة طويلة المدى)	عملية آنية وديناميكية (في الوقت الفعلي)
نطاق التطبيق	الاستعارات اللغوية والتمثيلات المفهومية	ظواهر معرفية متنوعة (استعارات، كنايات، مخالف للواقع...)
البنية الناشئة	لا تفسرها بشكل كافٍ	محور أساسي في النظرية

4.3 مثال تطبيقي: «هذا الجراح جزار»

أحد أبرز الأمثلة الكلاسيكية الشهيرة التي تبرز الفرق الجوهرية بين النظريتين هو استعارة «هذا الجراح جزار» (فوكونيني وتورنر، 2002، ص 296-298). هذه العبارة تُستخدم للتعبير عن أن الجراح غير كفء أو فاشل في عمله.

أولاً: التحليل وفق نظرية الاستعارة التصورية:

وفق نظرية لايكوف وجونسون، يمكننا تحديد المطابقات التالية بين مجال الجراحة (المصدر) ومجال الجراحة (الهدف):

- الجزار ↔ الجراح
- الحيوان ↔ الإنسان (المريض)

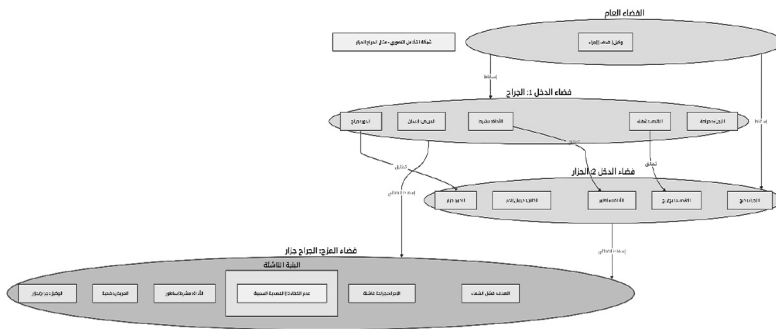
- البضاعة (اللحم) ↔ جسم المريض
- السكين ↔ المشرط
- المسلخ ↔ غرفة العمليات

لكن تظهر لدينا هنا مشكلة: كيف ننتج معنى «عدم الكفاءة» أو «الفشل» من هذه المطابقات؟ الجزار في مجاله المصدر هو شخص كفء في عمله، فهو يقوم بتقطيع اللحم بمهارة. إذن، من أين يأتي معنى عدم الكفاءة؟ نظرية الاستعارة التصويرية تفشل في تفسير هذا المعنى الناشئ (جمعان، 2015).

ثانياً: التحليل وفق نظرية المزج التصوري:

تفسر نظرية المزج هذا المعنى الناشئ بشكل واضح من خلال التحليل التالي الآتي (جرادي وأوكلي وكولسون، 1999):

- فضاء الدخل الأول (الجراحة): يحتوي على جراح، مريض، مشرط، غرفة عمليات، والهدف هو الشفاء.
- فضاء الدخل الثاني (الجزارة): يحتوي على جزار، حيوان، سكين، مسلخ، والهدف هو تقطيع اللحم.
- الفضاء الممزوج (المزيج): يحتوي على شخص (الجراح) يستخدم وسائل الجزار (تقطيع اللحم) في سياق الجراحة (حيث الهدف هو الشفاء). في الفضاء المزيج، يحدث تعارض بين وسائل الجزار (تقطيع اللحم) وأهداف الجراح (الشفاء). هذا التعارض يولد معنى ناشئاً جديداً: عدم الكفاءة أو الفشل. هذا المعنى لم يكن موجوداً في أي من الفضاءين الأصليين، بل نشأ من التفاعل بينهما في الفضاء الممزوج (الزناد، 2010، ص 225).



هذا المثال يوضح بجلاء القوة التفسيرية لنظرية المزج في التعامل مع الحالات التي تعجز نظرية الاستعارة عن تفسيرها.

الشكل (3): شبكة التكامل التصوري لمثال الجراح جزار

4.4 مثال تطبيقي آخر: «فيروس الكمبيوتر»

لتوضيح الفروق بين النظريتين بشكل أعمق، سنتناول مثلاً معاصراً لم يكن موجوداً عند ظهور نظرية الاستعارة التصورية، وهو مفهوم «فيروس الكمبيوتر» (Computer Virus). هذا المثال يبرز بوضوح كيف يولد المزج التصوري مفاهيم جديدة لا يمكن تفسيرها بالكامل من خلال الإسقاط المباشر بين مجالين فقط.

أولاً: التحليل وفق نظرية الاستعارات التصورية (CMT):

وفقاً لنظرية الاستعارة التصورية، يمكن تحليل مفهوم «فيروس الكمبيوتر» من خلال الاستعارة التصورية البرامج الضارة هي أمراض بيولوجية (MALWARE IS BIOLOGICAL DISEASE). في هذا التحليل، يتم إسقاط بنية مجال «المرض البيولوجي» (المصدر) على مجال «عطل الكمبيوتر» (الهدف).

هذا التحليل ناجح في تفسير كيف نفهم المفهوم المجرد للبرامج الضارة من خلال المفهوم المحسوس للمرض. فهو يسمح لنا باستعارة لغة وبنية استدلالية من مجال الأمراض لوصف ما يحدث في أجهزة الكمبيوتر لدينا. ومع ذلك، فإن هذا التحليل يظل قاصراً في تفسير جوانب مهمة من مفهوم «فيروس الكمبيوتر»:

- القصدية والفاعلية (Intentionality and Agency): نحن ننسب إلى

فيروسات الكمبيوتر قصدية وفاعلية لا تملكها الفيروسات البيولوجية. نقول «الفيروس يحاول سرقة بياناتي» أو «الفيروس يختبئ من برنامج الحماية». الفيروسات البيولوجية لا «تحاول» أو «تختبئ» بوعي؛ إنها تتكاثر بشكل أعمى. من أين يأتي هذا التصور للقصدية؟ ونظرية الاستعارة التصويرية لا تقدم إجابة واضحة.

- **الخلق المتعمد (Deliberate Creation):** فيروسات الكمبيوتر يتم إنشاؤها بشكل متعمد من قبل مبرمجين لأغراض محددة (التخريب، التجسس، السرقة). بينما تتطور الفيروسات البيولوجية بشكل طبيعي. لا يوجد في مجال المصدر (المرض) مفهوم «المبرمج الخبيث».

ثانياً: التحليل وفق نظرية المزج التصوري (CBT):

تقدم نظرية المزج التصوري تفسيراً أكثر ثراءً ودقة من خلال شبكة التكامل التصوري:

- فضاء الدخل الأول (المرض البيولوجي): يحتوي على فيروس، كائن حي مضيف، آلية تكاثر ذاتي، عدوى، وأعراض.
- فضاء الدخل الثاني (برامج الكمبيوتر): يحتوي على كمبيوتر، برامج، بيانات، مبرمج (خالق)، وقصدية.
- فضاء المزج (فيروس الكمبيوتر): في هذا الفضاء، تظهر بنية ناشئة جديدة. يظهر كيان جديد يجمع بين خصائص لم تكن مجتمعة من قبل: برنامج خبيث يتكاثر ذاتياً، تم إنشاؤه بقصدية وله فاعلية. هذا الكيان يكتسب القدرة على التكاثر مثل الكائنات الحية، وفي نفس الوقت يمتلك القصدية والهدف المحدد للبرامج الحاسوبية. هذا المزيج هو ما يسمح لنا بالقول إنه «يحاول» سرقة البيانات.

يوضح مثال «فيروس الكمبيوتر» أن نظرية المزج التصوري لا تكتفي بوصف الإسقاط بين مجالين، بل تفسر كيف يتم دمج أجزاء من مجالات متعددة بشكل انتقائي لخلق مفاهيم جديدة تماماً ذات بنية ومنطق خاص بها. بينما توفر نظرية الاستعارة التصويرية الهيكل الأساسي للفهم، فإن نظرية المزج تفسر التفاصيل

الدقيقة والإبداعية التي تجعل المفهوم غنياً وقوياً، خاصة البنية الناشئة مثل القصيدة والفاعلية التي لا يمكن استنتاجها مباشرة من مجال المصدر وحده.

5. التكاملية بين النظريتين وليس التنافس

5.1 مستويات مختلفة من التحليل

على الرغم من الاختلافات الجوهرية بين النظريتين، فإن الإجماع المتزايد بين الباحثين هو أن النظريتين متكاملتان وليستا متنافستين (جرادي وأوكلي وكولسون، 1999). ويمكن النظر إلى هذه التكاملية من زاوية أن كل نظرية تعمل على مستوى مختلف من التحليل:

- نظرية الاستعارة التصويرية: تعمل على مستوى الأنماط الكلية والعلاقات المنهجية الراسخة في الثقافة واللغة. فهي تحدد الاستعارات التقليدية المستقرة التي تشكل فهمنا للمفاهيم الأساسية.

- نظرية المزج التصوري: تعمل على مستوى أكثر دقة، حيث تحلل العمليات الدقيقة لبناء المعنى في سياقات محددة. وتفسر كيف تُستخدم الاستعارات (والمفاهيم الأخرى) في الوقت الفعلي لإنتاج معانٍ جديدة.

5.2 الاستعارات كأساس للمزج

العلاقات الاستعارية الراسخة التي وصفتها نظرية لايفوف وجونسون غالباً ما تعمل بوصفها مدخلات جاهزة لشبكات المزج التصوري. فالاستعارات التقليدية توفر القوالب والأطر المفهومية التي يمكن استخدامها وتطويعها في بناء مزوج جديدة ومبتكرة. بهذا المعنى، نظرية الاستعارة التصويرية توفر الأساس الذي تبني عليه نظرية المزج، إذ يرى Joseph Grady أن الاستعارات الأولية (Primary Metaphors) التي حددتها نظرية الاستعارة التصويرية تعمل كمدخلات لعمليات المزج التصوري الأكثر تعقيداً. هذا يعني أن الاستعارات البسيطة الراسخة (مثل «المزيد هو فوق» أو «السعيد هو فوق») يمكن أن تُدمج في شبكات تكامل معقدة لإنتاج معانٍ جديدة ومركبة.

5.3 المزج التصوري توسيع لا إلغاء

تمثل نظرية المزج توسيعاً للإطار العرفاني، وليست إلغاءً لنظرية الاستعارة التصويرية. فهي تعالج الظواهر التي كانت نظرية الاستعارة قاصرة عن تفسيرها (مثل البنية الناشئة)، وتوحيدها مع ظواهر أخرى (مثل الكناية والقياس وأبنية المخالف للواقع) تحت مظلة نظرية واحدة. إنها تقدم الآليات التفصيلية لكيفية عمل الإسقاطات التي وصفتها نظرية الاستعارة بشكل عام. وبمعنى آخر، الاستعارات التقليدية ليست ملغاة، بل هي تقيد وتوجه عمليات المزج الجديدة.

5.4 الاستعارات الراسخة مقابل الاستعارات الآنية

أحد الفروق الأساسية بين النظريتين هو التركيز على الاستعارات الراسخة مقابل الاستعارات الآنية:

- **نظرية الاستعارة التصويرية:** تهتم أساساً بالاستعارات الثابتة المتجذرة في اللغة والثقافة، والمخزنة في الذاكرة طويلة المدى، إذ تفترض وجود مطابقات ثابتة ومستقرة بين المجالات.
 - **نظرية المزج التصوري:** تهتم بالاستعارات الحادثة الجديدة التي تُنشأ في الوقت الفعلي خلال الخطاب. وتؤكد على المزج كعملية آنية حال الخطاب تخلق معاني جديدة من خلال تجميع مواد مألوقة.
- لكن هذا لا يعني أن النظريتين متعارضتان. بل يمكن القول إن نظرية الاستعارة تفسر كيف ترسخ الأنماط الاستعارية في الثقافة واللغة، بينما تفسر نظرية المزج كيف تُستخدم هذه الأنماط (وتُبتكر أنماط جديدة) في السياقات المحددة.

6. خصوصية اللغة العربية بين عالمية النظريات المعرفية وتجذرها الثقافي

تشير دراسة اللغة العربية من منظور نظريتي الاستعارة والمزج التصوري تساؤلاً جوهرياً حول عالمية الآليات المعرفية مقابل خصوصية التجربة اللغوية والثقافية. فمن جهة، تؤكد الأبحاث التطبيقية على النصوص العربية القديمة، كالقرآن الكريم والشعر الجاهلي، على عالمية النظريتين؛ إذ يمكن بسهولة تحديد الاستعارات التصويرية الأساسية (مثل: الجدل حرب، الزمن مورد) التي تتجذر

في التجربة الجسدية المشتركة للبشر. هذا التوافق يبرهن على أن اللغة العربية، كأى لغة طبيعية، تتبع المبادئ العرفانية العامة التي تحكم التفكير البشري.

ومع ذلك، فإن هذا لا ينفي وجود خصوصية ثقافية تظهر في مستويين:

- التجذر الثقافي للاستعارات: تظهر الخصوصية في اختيار المجال المصدر (Source Domain) الذي يعكس البيئة والتجربة الثقافية العربية. على سبيل المثال، الاستعارات التي تستمد مفاهيمها من الصحراء، أو الإبل، أو الخيمة، أو الفروسية، قد تكون أكثر شيوعاً ورسوخاً في النسق التصوري العربي القديم مقارنة باللغات الأخرى. فالاستعارة التصويرية المرأة نخلة (في وصف القوام) أو الدهر عدو (في الشعر الجاهلي) هي استعارات عالمية في بنيتها (الكيان المجرد كيان مادي)، لكنها تتخذ طابعاً خاصاً في مفرداتها وتجلياتها اللغوية.

- التعقيد البلاغي والمزج التصوري: تبرز الخصوصية أيضاً في التعقيد البلاغي للنصوص العربية القديمة، حيث تتطلب الظواهر البلاغية الراقية، مثل الكناية والاستعارة المركبة في القرآن الكريم، تطبيق نظرية المزج التصوري لتفسير المعاني الناشئة. ففي قول الشاعر:

«إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ حوادثه أناخَ بأخرينا»

إذ لا يقتصر الأمر على استعارة الدهر إنسان (CMT)، بل يتطلب الأمر شبكة مزج تصوري (CBT) لدمج مفهوم الزمن (الدهر) مع مفهوم الكائن الحي الذي «يجر» و«ينخ» (البنية الناشئة)، مما يولد معنى جديداً للقصيدة والفاعلية في الزمن، وهو ما كان محورياً في البلاغة العربية التقليدية.

عليه، يمكن القول إن اللغة العربية ليست «متميزة» عن اللغات الأخرى في آلياتها المعرفية الأساسية بل هي لغة طبيعية تتبع المبادئ العرفانية العالمية. لكنها تتميز في تجلياتها الثقافية ومستويات تعقيدها البلاغي، مما يجعلها حقلاً خصباً لتأكيد عالمية النظريات المعرفية وفي الوقت نفسه إثراءها بتطبيقات تكشف عن ثراء التجربة الإنسانية المتمثلة في الثقافة العربية.

7. الخاتمة

كشف لنا هذا التتبع المعمّق لأوجه التشابه والاختلاف بين نظرية الاستعارة التصويرية ونظرية المزج تصوّري أنّه لا يمكن اعتبار نظرية المزج التصوري بديلاً يلغي نظرية الاستعارات التصويرية. بل يجب النظر إليهما كأداتين تحليليتين متكاملتين في صندوق أدوات اللسانيات العرفانية. لقد وضعت نظرية الاستعارة تصوّرية الأساس من خلال الكشف عن الطبيعة التصويرية للاستعارة والأنماط المنهجية التي تحكمها، مؤكدة أنّ فهمنا للمفاهيم المجردة متجذر في تجربتنا الجسدية. ثم جاءت نظرية المزج التصوري لتبني على هذا الأساس، وتقدم نموذجاً أكثر ديناميكية وتفصيلاً يفسر الإبداع المفهومي ونشوء المعاني الجديدة في الوقت الفعلي. إذ العلاقة بينهما ليست علاقة تنافس أو إحلال، بل هي علاقة تكامل وتوسيع. حيث توفر نظرية الاستعارة تصوّرية الأنماط الراسخة والمستقرة التي تشكل أساس فهمنا، بينما نظرية المزج تفسر الآليات الديناميكية التي نستخدمها لتوليد معانٍ جديدة ومبتكرة. معاً، فهما تشكّلان إطاراً شاملاً وقوياً لفهم الطبيعة التصويرية للغة والفكر البشري.

8. المراجع:

المراجع العربيّة:

- تورنر (مارك)، مدخل في نظرية المزج، ترجمة الأزهر الزناد، منشورات جامعة منوبة، ط 1، تونس، 2013م.
- الزناد (الأزهر)، نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، بيروت، 2010م.
- غنيم (أميرة)، المزج التصوري: النظرية وتطبيقاتها في العربية، مسكلياني للنشر والتوزيع، ط 1، تونس، 2019م.
- عبد الكريم (جمعان)، «نظرية المزج والأفضية الذهنية»، صحيفة الجزيرة، 2015/08/29، متاح في:

<https://www.al-jazirah.com/20150829/2015/cu12.htm>

المراجع الأعجمية:

- Lakoff, G. and Johnson, M. (1980), *Metaphors we live by*, University of Chicago Press, Chicago.

- Fauconnier, G. and Turner, M. (2008), *The way we think: Conceptual blending and the mind's hidden complexities*, Basic Books, New York.

- Lakoff, G. (1992), «The contemporary theory of metaphor», in Ortony, A. (ed.), *Metaphor and thought*, 2nd ed., Cambridge University Press, Cambridge. Retrieved from

• <https://terpconnect.umd.edu/~israel/lakoff-ConTheorMetaphor.pdf>

• Fauconnier, G. and Turner, M. (2003), «Conceptual blending, form and meaning», *Recherches en communication*, n° 19. Retrieved from

• <https://tecfa.unige.ch/tecfa/maltp/cofor-1/textes/Fauconnier-Turner03.pdf>

• Grady, J. E., Oakley, T. and Coulson, S. (1999), «Blending and metaphor», in *Metaphor in cognitive linguistics*, pp. 101–124, John Benjamins, Amsterdam. Retrieved from

• <https://markturner.org/blendaphor.html>

الممارسة الاجتماعية بعدا نظريًا وتطبيقًا خطابيًا

أ. فاطمة البوبكري

مخبر «المباحث الدلالية واللسانيات الحاسوبية» (LR18ES46)

كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة

الملخص

ما يدفع إلى النظر في مقارنة التحليل النقدي للخطاب هو انفتاح التحليل فيها على جملة من التخصصات الأخرى، هذه التخصصات تَنشُط وتَتَطَوَّر بالخطابات المنتجة فيها. وقد أُنْبَتَ مقاربات التحليل النقدي الخطاب على أسس نقدية، وتتناول هذه الدراسة منظورات هذه المقاربة أولاً من حيث أنها نظرية وثانياً من حيث أنها منهج مطروح وتطبيق ممكن وهو مرتكز هذه الورقة.

ارتكزت منهجيات البحث في التحليل النقدي للخطاب على تحليل الممارسة الاجتماعية وهو ما يبرز التفاعل الاجتماعي وما يُحدثه من تغيّرات. هو تفاعل يتسم بجدلية التأثير والتأثر بين البنى اللغوية والبنى الاجتماعية بمختلف مؤسساتها. فانبعاث حركة نقدية جديدة ربط العلاقة بين الخطاب والمؤسسات الاجتماعية، وخصّها نورمان فيركلاف بمصطلح «الجدلية العلائقية»، واعتبر اللغة المستعملة كيانا حياً في ديناميّة لا تتوقّف يجعل من الخطاب حدثاً اجتماعياً يتغيّر ويُغيّر. وإن سلّمنا بهذا فنحن أمام جملة من الأسئلة المتعلقة بالجانب النظري في التحليل النقدي للخطاب والجانب التطبيقي منه.

الكلمات المفتاحية: تحليل الخطاب - التحليل النقدي للخطاب - التفاعل

الاجتماعي - الممارسة الاجتماعية - مقارنة - منهج - إيديولوجيا.

Résumé

L'Analyse Critique du Discours (ACD) étudie la relation dialectique entre le langage et les pratiques sociales. Elle postule que le discours, loin d'être neutre, est une pratique sociale qui produit du savoir, du pouvoir et contribue au changement social. Cette approche analyse l'interaction entre les structures linguistiques, les institutions et les idéologies sous-jacentes. Fairclough considère le discours comme un événement social dynamique. Malgré ses multiples approches, la clarté de son cadre théorique et de ses outils d'application, notamment dans des champs comme l'éducation, reste une question ouverte.

Mots-clés : Analyse du discours, Analyse critique, Pratique sociale, Interaction, Idéologie, Méthodologie

مقدمة

انطلق البحث عامة في استقراء العالم لبلوغ معرفة ووضع قوانين للكون ثابتة مع أرسطو الذي اعتمدت فلسفته على وضع معطيات نظرية والانطلاق منها لبناء منهج بحث.

ولقد واصلت تيارات فكرية أخرى بحوثاً مختلفة، هي أكثر نبشاً في المعرفة وأكثر عقلانية في البحث، وقد ساهمت في بلورة المناهج التي طبقتها العلوم الاجتماعية واللسانية. ومن بينها المناهج التي توخاها البحث اللساني بعد انتقاله من تناول الظواهر اللغوية الخاصة بمستويات اللغة وتحليل الجملة إلى ما هو أشمل، وللساني أن يتعامل مع النص على أنه وحدة دلالية كبرى له خصائص لسانية وسياقية يُصنع منها، واعتماد بنيته الكبرى مجالاً غنياً للتحليل يزيده الجانب النقدي ثراءً واتساعاً من حيث التحليل والاستفادة وذلك بالاستعانة بمختلف العلوم المجاورة، مما يساهم في إدراج البحث اللساني ضمن العلوم الاجتماعية التي تخضع للشروط العلمية منهجاً وبناءً وممارسة لنظرية قائمة الذات. فاعتبار الخطاب ممارسة اجتماعية عند رواد حركة التحليل النقدي للخطاب أسهم بشكل أو بآخر في تعدد المناهج التي اتخذتها دراسات بعضهم في تناول الخطاب كل حسب توجهه فكريّ معيّن وباستراتيجية بحثية خاصة به رغم ما يجمعهم من توحيد الغاية المراد بلوغها.

1 - التحليل النقدي للخطاب

شكّل الاتجاه الحديث لتحليل الخطاب ذو النزعة النقدية توجُّهاً استقطب الباحثين والمهتمين بتحليل الخطاب بوجهة نظر تركّز على الأبعاد الاجتماعية وتأثيرها في بناء الأفراد ضمن نظام اجتماعي وما يجرّه معه من ظروف مثلّت «نطقاً» لحياتها. ظهر التحليل النقدي للخطاب Critical Discourse Analysis في أواخر القرن العشرين، ومنذ تسعينات القرن الماضي كان قد اتخذ شكلاً مؤسسياً (سنة 1991)، وذلك مساهمة من الباحثين الأوروبيين لإثراء البحث الأكاديمي الذي يشهد في تلك الفترة تشعّبات المواضيع وعمق التخصص، هذا التوجّه الذي ظهر وأخذ شكل مدرسة في تحليل الخطاب سعى رواده إلى أن يتخذ مسار بحثهم إطاراً أكاديمياً انتشر في أوروبا، وهو ما نجده في قول فان دايك «أكدت بصورة متزايدة في الثمانينات والتسعينات أنا وباحثون آخرون في مجال تحليل الخطاب وما يتّصل به من دراسات، أنّ تحليل الخطاب ينبغي أن يكون له بعد «نقدي» أيضاً. ومعنى هذا أنّ تحليل الخطاب - في اختيار توجّهه وموضوعاته ومشكلاته وقضاياها - ينبغي أن يساهم مساهمة إيجابية، في طريقته الأكاديمية الخاصة به، في القضايا الاجتماعية، وأن تخدم أبحاثه من يحتاجونها أكثر لا من يدفعون أكثر»⁽¹⁾ أو ما أكدّه فيركلاف وهو يذكر سبب إنتاجه لكتابه (تحليل الخطاب التحليل النصّي في البحث الاجتماعي) في قوله «كتبت هذا الكتاب لأجل نوعين من القراء: الطلاب الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية (كعلم الاجتماع، والعلوم السياسية والتربية، والجغرافيا، والتاريخ، والإدارة الاجتماعية، والدراسات الإعلامية، والدراسات الثقافية، ودراسة المرأة) الذين لا يعرفون شيئاً - أو لا يعرفون الكثير - عن التحليل اللغوي، والطلاب والباحثين المتخصصين في اللغة»⁽²⁾، وكلّها ميادين واختصاصات تتعلق بمختلف الفئات

(1) توين فان دايك، «من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي: سيرة ذاتية أكاديمية موجزة»، ترجمة أحمد صديق الواحي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 77 (2010): 36.

(2) نورمان فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في البحث الاجتماعي، تعريب

الاجتماعية مهما كانت الخطابات المنتجة أثناء الممارسات اليومية منها والرسمية والأكاديمية أيضا.

1-1- الخلفية الفلسفية

أخذ التحليل النقدي للخطاب من جذور عديدة الاختصاصات ومن مجالات أخرى مثل الأنثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم النفس الاجتماعي، والعلوم العرفانية، والدراسات الأدبية، واللسانيات الاجتماعية، وكذلك اللسانيات التطبيقية واللسانيات النصّية، والتداولية والبلاغة. واعتمادا على هذا التنوع في المجالات المساعدة على بلورة التوجّه النقدي لدى رواد هذه الحركة، نرى أن نحصر بعض المرجعيات التي اعتمدها التحليل النقدي للخطاب إذ نجدها قد ارتكزت بالأساس على فلسفة مدرسة فرانكفورت وفلسفة جورج لوكاتش وميشال فوكو وأيضا على قواعد الممارسة الاجتماعية عند بيير بورديو (Pierre Bourdieu)، وهي مرجعية تركز أساسا على الفكر الماركسي ممّا جعلها تبني منهجها على اعتبار أن النقد لا ينفصل عن الواقع الذي يحيا فيه الإنسان. فهو نقد يرتبط بالممارسة والعمل والفعل من أجل بلوغ تغييرٍ ضروريٍّ للواقع الاجتماعي. لذلك ارتبط اسم النظرية النقدية بمدرسة فرانكفورت للبحث الاجتماعي التي هي أساسا نقد للمجتمع يركز على الجانب الاجتماعي للسلوك الإنساني، بما يتضمّن من قدرات وحاجات إلى الحرية والعدالة وأيضا كيف يكون الفرد سعيدا في حياته التي يحياها.

من أجل ذلك الهدف توخّت المدرسة تشخيص المشاكل والأوضاع المزعجة في الواقع، وتناولت العلاقات التي بين الأفراد والمجتمع وبين الأفكار السائدة والعمل التي اتسمت بها المجتمعات الحديثة. هي مجتمعات وُصفت بالمتسلّطة نتيجة للهيمنة الثقافية والاقتصادية التي أرسّت قواعدها العقلانية التكنولوجية.

1-2- مفاهيم ومرتكزات اصطلاحية

إن توجّه البحث اللساني نحو استعمال اللغة وسياقاتها الاجتماعية أخذ المسار النقديّ - مع مجموعة من المهتمّين بالشأن الاجتماعي والنفسي والتاريخي

والاقتصادي- لتطوّر المجتمعات وطرق تعاملها مع الأوضاع الراهنة التي تعيشها شعوبهم، وهو ما قامت عليه حركة التحليل النقدي للخطاب باعتبارها المنعطف الذي سلك بتحليل الخطاب نحو وجهة نقدية اجتماعية بحتة تهدف إلى تغيير الواقع المعيش. هذا الواقع برزت فيه مظاهر نقدية جديدة تقوم على تجديد المنهج وانتشار الرؤية النقدية التي تواكب تيارات الحداثة وما بعد الحداثة، وهو ما يتطلب استعمالاً جديداً للمفهوم والمصطلح. فلا بدّ إذن من إعادة النظر في هذه المصطلحات بعد الانتقال الذي تمّ من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، أي من تحليل الآليات التي يسخرها المتخاطبون لتحقيق التواصل إلى تحليل العوامل التي تحكم اختيار تلك الآليات والكيفية التي تُستعمل بها لخدمة توجّهات معيّنة، وتكريس قيم ومقاصد تنبني على أيديولوجيات معيّنة. وعلى أساسه سيختصّ هذا التوجّه الفكريّ اللسانيّ بجهاز مفاهيميّ متفرّد من قبيل الخطاب، النقد، السياق، التفاعل الاجتماعي، السلطة، الأيديولوجيا، الممارسة الاجتماعية، الفاعل الاجتماعي، الممارسة النصيّة...

1-2-1 - الخطاب / التحليل: Discours /Analyse

إنّ مصطلح «الخطاب» يستخدم في العلوم الاجتماعية بطرق مختلفة، فقد انبنت فكرة تحليل الخطاب عند رواد التحليل النقدي للخطاب انطلاقاً من فكر ميشال فوكو وفلسفته التي تعتبر ذاك المجال حفراً في المعرفة ونشأ في خباياها إذ اعتبر الخطاب أنّه «عبارة عن ركام من الأحداث داخل فضاء الخطاب»⁽³⁾، ولُيِّن ذلك «الركام» يرى فوكو أنّه يستوجب الحفر في لغة ذلك الخطاب حتى نعرّي ما خفي من معانٍ تفيد مظاهرَ لسلطة تُمارس. فالخطاب هو مجموع ذلك الركام بتداخله وباختلاف عناصر المادة التي تُبنى «بناءً صناعياً» من مجموع عبارات ووقائع.

(3) ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1987)، 26.

أما فيركلاف فهو يعتبر الخطاب حدثاً اجتماعياً، كما أنه يستخدم «الخطاب» بمعناه العام على أنه أحد عناصر الحياة الاجتماعية الذي تربطه علاقة جدلية مع عناصر أخرى من حياة البشر. فقد تحدّث عن الخطاب وضروب الخطاب، وجعل الاستعمال اللغوي يتنوّع حسب المقامات والفاعلين الاجتماعيين من مخاطب ومخاطب وما يتّسم به كلّ طرف من سمات تحدّد مجال مشاركته في الفعل الاجتماعي، أيضاً حسب دينامية الممارسة الخطابية والتفاعل الحاصل واتجاهه. واعتباراً لأنّ الخطاب كما يراه بنفسيت هو «كل لفظ يفترض متكّلاً ومستمعاً ولدى الأول هدف التأثير على الثاني بصورة ما»⁽⁴⁾، فإن الكشف عمّا تضمّنه الخطاب من رسالة ومقاصد أرادها منتجه هو الكشف عن ذلك «التأثير» وتلك النية. فكل خطاب يدعو إلى تحليل وفكّ شفرة لغته التي تتضمّن غالباً معاني لم تُقل أكثر مما قيلت.

إن تحليل الخطاب مجال دراسي بالغ التنوّع لذلك نجده يقف في مفترق العلوم الإنسانية، وهو يميّز بعدم استقرار وعدم التزام بمنحى واحد في التحليل. خاصة أنّنا نجد محلّلي الخطاب من هم علماء اجتماع، ومن هم لسانيون، وبعض آخر علماء نفس وغير ذلك. فحسب رأي مانغونو فإنه «يصعب التمييز بين تحليل الخطاب والتخصّصات الأخرى التي تدرس الخطاب، لذا نرى أنّه من المستحسن اعتبار تحليل الخطاب التخصّص الذي بدّل أن يُقدّم على التحليل اللغوي للنصّ في ذاته أو على التحليل السوسولوجي أو النفسي لـ «محتواه»، يسعى إلى مفصلة articuler تلفّظه مع موقع اجتماعي بعينه»⁽⁵⁾.

1-2-2 - النقد Critique والنظرية النقدية

تنتسب النظرية النقدية أساساً لمدرسة فرانكفورت رغم ما أخذته هي بدورها عن فلسفات سابقة. تمثّل النظرية نموذجاً فكريّاً تحليليّاً نقديّاً للواقع الاجتماعي

Emile Benveniste, *Problème de Linguistique générale* (Paris : Edi. Gallimard, (4) Tome. I, 1966) 129 -130.

(5) دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن (الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008)، 10

على اعتبار أن هذا النموذج قد ساهم مساهمة كبيرة في إثراء الجانب النظري للمدرسة النقدية في علم الاجتماع المعاصر عامة. فما يعنينا في هذا البحث هي النظرية النقدية في بعدها الاجتماعي باعتبار التوجّه الذي سلكته حركة النقد ومقارباتها.

إنّ التحام صفة «النقدي» بعملية التحليل تتعلّق بنظرة التحليل النقدي للخطاب إلى العلاقات بين التغير الخطابي والاجتماعي والثقافي. هي علاقات لا تتسم بالشفافية والصدق عند الأشخاص الذين يرتبطون بها، ولذلك يرى فيركلاف مثلاً أنّ النقد «يعني ضمناً أنّه يبيّن الروابط والأسباب الخفية. كما يعني التدخل كذلك، بمعنى توفير الموارد للذين يُضارون بسبب التغير».⁽⁶⁾ أمّا عند روث ووداك فقد جعلت النقد يقوم أساساً على محطات الوقوف عند العوامل المؤثرة والمتدخلّة في النسق التاريخي الذي يسبب التغير الاجتماعي، فكان السياق هو نقطة الانطلاق ونقطة الوصول للتحليل النقدي التاريخي، إنّ بنية المجتمع في مقاربة ووداك التاريخية تعيش تغييرات خاضعة لسيورة تاريخية تتحكم في حركة المجتمع وتغير بنيته من طور إلى آخر. فما الخطاب إلّا استعمال للغة تمّ اختيارها والتصرّف في تلك الاستعمالات، فيقوم التحليل النقدي للخطاب برصدها والوقوف عند العلاقات الخفية القائمة بين تلك اللغة وما تتضمنه من خلفيات معرفية وأيديولوجية، فوحده تضافر الاختصاصات وإدماج المقاربات والنظريات يستطيع فكّ شفرات الخفي من اللغة ومقاصد استعمالها. ورغم اختلاف ووداك البسيط مع بقية مقاربات التحليل النقدي للخطاب في الأدوات والمداخل إلّا أنّها تشترك معها في أنّ السلطة تُمارَس على الأفراد عن طريق التوظيف اللغوي الذي يهدف عادة إلى التضييل والتزوير.

إنّ العملية النقدية هي التي تحوّل النظرية إلى الواقع التطبيقي، وكلّها إجراءات يطبّق فيها محلل الخطاب رؤيته ومعارفه السابقة كما فعل منتجه عند إنتاجه. يحصل ذلك في الممارسة الخطابية التي تشمل إنتاج النص وتفسيره، وهو البعد

(6) فيركلاف، الخطاب والتغير الاجتماعي، 22.

الثاني من أبعاد المقاربة الاجتماعية التي ذهب إليها فيركلاف لتحليل الخطاب. فالمنهج النقدي في تحليل الخطاب مختلف عما سبقه وذلك في قول فيركلاف «المدخل النقديّ يختلف عن المداخل غير النقدية في أنّها لا تقتصر على وصف الممارسات الخطابية بل تبين أيضاً كيف يتشكّل الخطاب بفعل علاقات السلطة والأيدولوجيات، والآثار البناء للخطاب في الهويّات الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية ونُظم المعرفة والعقيدة»⁽⁷⁾.

1-2-3 - السلطة / Autorité

لقد أعطى التحليل النقدي للخطاب الأولوية الكبرى والقيمة المهمة للسلطة. إنّ «السلطة مفهوم أساسي مركزي في التحليل النقدي للخطاب وتعريفاته تأتي حسب مجالاته مثل الفلسفة وعلم اجتماع والتربية»⁽⁸⁾ فمفهوم السلطة يُعدّ من أكثر المفاهيم السوسيولوجية استخداماً في إطار علم الاجتماع بصفة عامة، وعلم الاجتماع السياسي بصفة خاصة وفي مجال اللسانيات الاجتماعية بصفة مخصوصة، فلا يمكن الاستغناء عن ربط السلطة بالدولة ولا تبرئة اللغة من إبلاغ تلك السلطة. إذ أنّ «الدولة كيان سياسي يمارس السلطة عن طريق استخدام القوة المشرّعة، فإذا كانت السلطة تعني القوة الشرعية، فإنّ النفوذ هو الاستطاعة والقدرة على التأثير، فالسلطة هي نفوذ مشروع بينما النفوذ هو سلطة غير مشروعة»⁽⁹⁾.

شرحها جميل صليبا في معجمه الفلسفي بأنّها لغة «القدرة والقوة على الشيء، (...) وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية والسلطات التربوية والسلطات القضائية وغيرها»⁽¹⁰⁾ لقد ربطها بـ «الأجهزة الاجتماعية» وما تستوجهه من ممارسات تحكّمية تسلّطية لضبط سيرورة محدّدة.

(7) فيركلاف، الخطاب والتغير الاجتماعي، 27.

(8) منية عبيدي، محاضرات في علوم الخطاب (تونس: جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، السنة الجامعية 2020-2021).

(9) مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي (ليبيا: منشورات السابع من أفريل، 2007)، 74.

(10) جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1978)، 670.

أما فوكو فيعتبر السلطة في ارتباط وثيق بالمعرفة لا بالسياسة فقط التي تمثل اتّجاهاً عمودياً فوقياً، بل جعل المعرفة والسلطة في عبارة واحدة «المعرفة – السلطة»، فهما لا ينفصلان، وأنّ المعرفة «تنتج نوعاً من السلطة كما أنّ السلطة تقتضي نوعاً من المعرفة... وإلى عمليات التوزيع والاستهلاك والتداول، وذلك بإشراف بعض الأجهزة السياسية والاقتصادية الكبرى مثل الجامعة والجيش والكتابة، بتعبير آخر لا وجود لعلاقة سلطة بدون تأسيسٍ مناسب لحقل معرفة، ولا وجود لمعرفة لا تفترض ولا تُقيم بذات الوقت علاقة مع السلطة»⁽¹¹⁾

وقد علّل هذا التفسير على أساس أنّها ليست جهازاً أو مؤسسة، وبأنّها ليست متمركزة في نقطة معيّنة بل هي منتشرة وموزّعة على الجسد الاجتماعي كلّ، مثلاً في ذلك مثل الخطاب أي أنّها «حاضرة في كل مكان... ولائها تنتج ذاتها في كل لحظة»⁽¹²⁾. وقد ربط فوكو السلطة بكلّ علاقة قوة، إذ اعتبر أنّ كل علاقة قوى هي علاقة سلطة، فهو قد جاء بمفهوم للسلطة مخالف للمدرسة الماركسية، ففي حين كان يُنظر للسلطة على أنّها فوقية تتمثّل في أجهزة الدولة التي تمارس العنف والقهر اللذان يكتسبان صبغة الشرعية ويتحوّلان قوانين، جاء فوكو وأعطى مفهوماً آخر للسلطة وبيّن أنّها موجودة في كل مجالات المجتمع ومؤسساته إذ نجد في الأسرة سلطة وفي المدرسة وفي الإدارات وفي غيرها من المؤسسات فجميعها تمارس السلطة وتجتهد لخدمة ما تنتجه من خطاب سلطوي مهيم. فالسلطة عند فوكو تغيّر اتّجاهها من الاتّجاه العمودي الهرمي إلى اتّجاه أفقيّ. وللبحث في هذه الظاهرة الاجتماعية، وضع ميشيل فوكو أداة أو وسيلة لمعرفة كيف تتشكّل الخطابات ذات الطابع السلطوي فاختر «الحفريات المعرفية». فالحفريات تحفر فيما اختفى من مفاهيم وأفكار عبر تراكمها التاريخي عندما تُنتج الخطابات.

ركّز فان دايك في التحليل النقدي للخطاب أثناء بحوثه في مجال الإعلام على دور «السلطة». فقد بيّن «كيف أنّ السلطة أيضاً يُعاد إنتاجها خطابياً، بل وتصبح

(11) الزواوي بغوره، الخطاب بحث في بنيته وعلاقته عند ميشال فيكو دراسة ومجمع (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون صائغ، 2015)، 389.

(12) المصدر نفسه، 235.

نافذة وتفصى عليها الشرعية عن طريق الخطاب أيضا. وأكدت أن السلطة ليست مجرد وسيلة للسيطرة على أفعال الآخرين، بل هي وسيلة للسيطرة على عقولهم، وأن عملية السيطرة على العقول التي هي أساس السيطرة على الأفعال هي عملية خطائية في المقام الأول. وبعبارة أخرى، يؤدي الخطاب دورًا رئيسيًا في دائرة إعادة إنتاج السلطة الاجتماعية»⁽¹³⁾.

أما السلطة كما تراها روث ووداك فنجد أنها اهتمت بسلطة الخطاب السياسي (من خطابات معادية للسامية والتمييز...)، وترى أن اللغة هي التي تعبّر عن السلطة فتضفي شرعيتها أو تتحدّها وتقاومها. فاللغة القوة التي يمكن أن توفر الأساس الخصب لتوجيه الاختلافات على السلطة، كما يتوفّر في اللغة الأشكال (معجم - بلاغة - تركيب جمل...) التي توضع في خدمة السلطة أو ضدها، فالخطاب عندها «هو الاستعمال» وأيضاً هو موقع صراع إذ يحمل أثر الأيديولوجيا المتصارعة من أجل السلطة. فالتحليل النقدي للخطاب تراه يهتم بالطرق التي تُستخدم بها الأشكال اللغوية في مختلف تعابير السلطة⁽¹⁴⁾.

1-2-4- الإيديولوجيا Idologie

تعارف لدى الدراسات النقدية أن الإيديولوجيا تعمل على تسمية الأشياء بغير أسمائها، وتعطي للواقع صيغة غير التي يوجد عليها، وهي شبيهة بالستار الذي يحجب الحياة، فهي تقوم بأدوار اجتماعية من خلال مجموعة من الأجهزة والمؤسسات، فنجد أنها تأخذ تعريفات متشابهة عند التيارات الفلسفية ذات الاهتمام بالخطاب وتحليله، نورد بعضها كالتالي:

تناولها ن. فيركلاف من وجهة نظر نقدية اجتماعية، إذ أكد أنها من أولى اهتمامات التحليل النقدي للخطاب ولا تقل أهمية عن مفهوم السلطة، فما النتائج الأيديولوجية إلا «أحد أنواع النتائج التي تسببها النصوص والتي تحظى باهتمام التحليل النقدي للخطاب: تأثير النصوص في تثبيت الأيديولوجيات أو دعمها أو

(13) فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، 36.

(14) منية عبيدي، محاضرات في علوم الخطاب.

تغييرها. الأيديولوجيات ممثليات لجوانب من العالم، يمكن إبانة إسهامها في إقامة العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالسلطة والسيطرة والاستغلال وصيانة هذه العلاقات أو تغييرها.⁽¹⁵⁾

فمثلما أولاهما كل المنتمين إلى حركة التحليل النقدي للخطاب أهمية فائقة، نجد فان دايك يصرّح في خصوصها بقوله «الأيديولوجيات العنصرية ليست وحدها، ولكي نفسّر تأثيرها في المجتمع نحتاج إلى نظرية أكثر عمومية للأيديولوجيا. (...) على أن أطوّر في مشروعات لاحقة كل نظرية جزئية، أي العلاقات بين الأيديولوجيا والإدراك الاجتماعي، وبين الأيديولوجيا والمجتمع، وأخيرًا بين الأيديولوجيا والخطاب.»⁽¹⁶⁾، فما نفهمه أنّ الأيديولوجيا ليست تلك «الفكرة المجردة أو العقيدة وإنّما هي الفكر غير المطابق للواقع»⁽¹⁷⁾

إنّ فان دايك هنا يعترف ضمّنًا أن نظرية التحليل النقدي للخطاب مازال في طور البناء ولم يكتمل بعد، فهي حية متغيرة متطورة تتغيّر وتطوّر الخطابات في المجتمعات. إن الايديولوجيا «لا تعكس فقط ممارسة طبقة اجتماعية واحدة ومطالبها، إنّها تعكس الواقع الموضوعي من خلال تشويه وتدليس تلك الممارسة وتلك المطالب»⁽¹⁸⁾، وانطلاقًا من عمليتي التدليس والتشويه تنتفي الحقيقة ولم تعد تعكس العلاقات (الواقعية) الرابطة بين الأفراد. وما يؤكد ارتباطها بالمجال السياسي والاجتماعي والثقافي أنّها حُدّدت «بوصفها علما يهدف إلى دراسة الأفكار وخصائصها وقوانينها وعلاقاتها بالمعاني والإشارات التي تمثلها أو ترمز إليها. ثم تطور معناه ليدلّ على جملة الأفكار والاعتقادات السياسية والأخلاقية الخاصة بمجتمع معين أو طبقة اجتماعية معينة أو فئة اجتماعية خاصة»⁽¹⁹⁾.

(15) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في البحث الاجتماعي، 35.

(16) فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، 37.

(17) عبد الله العروي، مفهوم الايديولوجيا (الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي، 2012)، 124.

(18) المصدر نفسه، 64.

(19) بغوره، الخطاب بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشال فوكو، 380 - 381.

1-3 - مقارباته، أبعادا وأهدافا

النظرية النقدية في العلوم الاجتماعية هي نظرية اجتماعية تدرس ديناميكية التغيير الاجتماعي وقوانينه، وهي تتجاوز الوصف والشرح وصناعة المعنى «إلى البحث في الكيفيات التي يتم بها تشكّل هذه المعاني»⁽²⁰⁾ وإلى تحديد الكيفية التي يكون للإنسان فيها دور في صناعة التغيير، أي أنّ مناهجها تفتح المجال أمام البشر ليصنعوا تاريخهم عن طريق النقد وعدم الأخذ بالمسلّمات، هدفها هو اعتناق هؤلاء البشر من ظروف الهيمنة والقهر في مجتمعاتهم إذ أنّها تنتقد المجتمع وما يحدث فيه عن طريق التحليل النقدي للظواهر اللغوية لأجل تغيير واقع.

ربط التحليل النقدي للخطاب بحثه بالمشاغل الاجتماعية من خلال تحليل الخطاب وبشكل نقدي مراقب، فكان اهتمامه بكلّ ما يخصّ الحياة العامة للمستضعفين، لذلك جاء برنامجه مبنياً على ذلك الأساس موجّها تركيزه نحو تحقيق أهداف تخدم الحياة اليومية للبشر. وفي ذلك يقول فان دايك «ونموذجياً ندرس الأوجه الكثيرة للسلطة (أو لإساءة استعمال السلطة) فيما يتعلّق بالعرقية والطبقية، كما نرى في التفرقة الجنسية والعنصرية. ونهدف إلى أن نعرف كيف يجسّد الخطاب عدم المساواة، وكيف يعبر عنها ويُسوّغها ويساهم في إعادة إنتاجها. ونستمع في الوقت نفسه إلى تجارب الجماعات المستضعفة وآرائها، وندرس أكثر الطرق فعالية للمقاومة والرفض»⁽²¹⁾.

عُرف عن حركة التحليل النقدي للخطاب أنه توجّه يدرس العلاقات التي بين اللغة والسلطة ومدى تأثيرها في تقرير مصير أفراد المجتمع من خلال الآثار التي تتركها الخطابات في المجتمع والتغيير الحاصل لدى متلقّي تلك اللغة في حياة الجماعات. إنّ الجزء الأكثر اشتراكاً بين مقارباته هو الفهم العام لعلاقة السلطة بالخطاب، وهذا الاتفاق في الرؤية لم يمنع من اختلاف في زاوية النظر لتحليل الظواهر اللغوية والاجتماعية، فنحن نجد بعض الاختلافات الأساسية بين رواده، رغم اتفاقهم في الأهداف، وشملت مستويات متفاوتة:

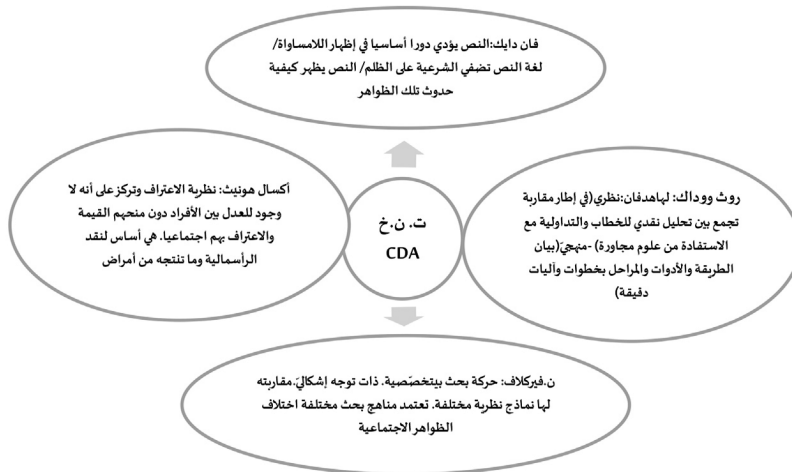
(20) ديان مكدونيل، مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة وتقديم عز الدين إسماعيل (القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 2001)، 9.
(21) فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، 36.

جدول 1 - الاختلاف والتقارب بين هؤلاء الرواد

من حيث نقطة التركيز	من حيث الخلفية النظرية	من حيث الموضوعات تهتمّ بـ :	
البعد الجدلي بين اللغة والمجتمع	النظرية الاجتماعية واللسانيات الوظيفية النسقية	التغيير الاجتماعي في حقبة الرأسمالية الجديدة	نورمان فيركلاف
البعد الاجتماعي المعرفي بين اللغة والمجتمع.	لسانيات النصّ وعلم النفس الاجتماعي	العنصرية واللامساواة وإعادة إنتاجها في المجتمع	فان دايك
البعد التاريخي الاجتماعي.	اللسانيات الاجتماعية والنظرية الاجتماعية النقدية	الصور النمطية المهيمنة في الخطاب السياسي.	روث وودالك

ما نلاحظه من خلال الجدول أن رؤود التحليل النقدي للخطاب اتّسمت أعمالهم باتحاد المجال الاجتماعي بينهم في الدراسة واختلاف المقاربة التي يتناولها كلّ منهم. وهو ما يجعلنا نستنتج أنّه بحث واسع متعدد التخصصات تسعى مقارباته إلى كشف العلاقات بين استعمال اللغة من جهة والبنى الاجتماعية التي تُعتبر ساحةً تنشط فيها تلك اللغة فتشهد مختلف الاستعمالات القابلة للتحليل والنقد. واختلاف المقاربات بين رواد التحليل النقدي للخطاب كان سببا في تنوع رؤاهم وبرنامجه من إنشاء هذه الحركة الفكرية النقدية وكيفية المساهمة في تحليل الخطابات من أجل تحقيق الأفضل للأفراد الذين يرون ظلمهم واستضعافهم من قبل من يوجّه لهم تلك الخطابات بشتى أنماطها وصيغها. نحاول من خلال المخطط الآتي تحديد توجّهات أبرز أعلام التحليل النقدي للخطاب ونذكر منهم توين فان دايك وروث ووداك ونورمان فيركلاف وأكسال هونيث.

شكل 1- التوجهات والرؤى في التحليل النقدي



وقد وضح فيركلاف في مقدمة كتابه (تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي) الهدف من تأليفه الكتاب إذ لا يعتبره كتابا في التحليل اللساني رغم تركيزه فيه على التحليل اللساني للنصوص، بل اعتبره «جزءا من

مشروع أوسع هدفه تنمية التحليل النقدي للخطاب باعتباره مصدراً للتحليل والبحث الاجتماعيين.⁽²²⁾

ثمّ في موطن آخر يبيّن أنّ «الغرض الأول من هذا الكتاب هو توفير هذا المصدر، لذلك لا أرصد بالتفصيل سيرورة صناعة المعنى، مع أنّ معالجاتي تسلّم بالحاجة لمثل هذا الرصد. إنني أنظر إلى النصوص في ديناميكيّتها، أنظر في كيفية صناعة الفاعلين الاجتماعيين النصوص أو «نسجها» بإقامة علاقات بين عناصرها»⁽²³⁾. وهي عناصر يقوم التحليل النقديّ بالتدقيق في تحليلها وربطها بعلاقات السلطة في المجتمع، وهو المبدأ الذي نجده في مؤلفات أخرى من قبيل ما كتبه فيركلاف أيضاً في «اللغة والسلطة» إذ جعل سبب تأليفه يقوم على غايتين أساسيتين:

بأنّه نظرية تهدف إلى المساعدة على منح التقدير اللازم لأهميّة اللغة في إنتاج العلاقات الاجتماعية للسلطة والحفاظ عليها وتغييرها. وبأنّه عمليّة تهدف إلى المساعدة على زيادة الوعي بمساهمة اللغة في سيطرة بعض الأفراد على الآخرين، باعتبار الوعي هو الخطوة الأولى نحو التحرّر من عديد القيود والهيمنة. فالوقوف على نماذج من استخدامات متنوعة للغة يفتح البحث عن كيفية توظيفها بوصفها أداةً للقمع والهيمنة. إنّ النّش في الكيفيات وفصح نوايا مستخدمي اللغة يتحقق به الوعي الذي يدفع بالمستضعف نحو المقاومة وتحريك فكره إلى التغيير ليأخذ بعده شكل التطبيق العملي وبلوغ نتيجة.

2 - الممارسة الاجتماعية

تعدّدت محاولات روّاد هذا التوجّه لتقديم تعريف للتحليل النقدي للخطاب. لقد تطوّرت رؤاهم خاصة منذ تسعينيات القرن العشرين، وعرّفه نورمان فيركلاف Norman Fairclough قائلاً «تحليل الخطاب يهدف إلى الكشف المنهجي عن علاقات السببية والتعيين الغامضة والمعتادة بين الممارسة والأحداث الخطابية

(22) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في التحليل الاجتماعي، 22.

(23) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في التحليل الاجتماعي، 40.

والنصوص من جهة، والبنى والعلاقات والعمليات الاجتماعية والثقافية الواسعة من جهة أخرى، من أجل تحرّي كيف تنشأ تلك الممارسة والأحداث والنصوص وتُشكّل من خلال علاقات السلطة والصراعات حولها، وكيف أن إخفاء هذه العلاقات بين الخطاب والمجتمع يعدّ بحدّ ذاته عاملاً من عوامل تأمين القوة والسلطة»⁽²⁴⁾. وتبيّن أبعاد هذه الممارسات من خلال مستويين، خصّصنا للأول البعد النظريّ وللثاني التطبيق الخطابي.

2-1- البعد النظريّ

يرى التحليل النقدي للخطاب أن المنهج النقديّ في تحليل الخطاب مختلف عمّا سبقه وذلك ما نستشفه في قول فيركلاف «المداخل النقديّة تختلف عن المداخل غير النقديّة في أنّها لا تقتصر على وصف الممارسات الخطابية بل تبين أيضاً كيف يتشكّل الخطاب بفعل علاقات السلطة والأيدولوجيات، والآثار البناءة للخطاب في الهويّات الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية ونُظم المعرفة والعقيدة»⁽²⁵⁾. وهنا تجاوز واضح للوصف إلى النقد والكشف.

2-1-1 شروط منهجية للتحليل الاجتماعي

عمد روّاد التحليل النقديّ للخطاب، وأبرزهم فان دايك وروث ووداك ونورمان فيركلاف، إلى مقاربات تجمع بين المستوى اللغويّ والظروف الاجتماعيّة، وهو أمر يستوجب توفير منهجية في التحليل تتجاوز التحليل اللغويّ إلى ما يساعد على الإلمام بكلّ ما هو محيط بذلك الخطاب موضوع الدراسة. فالمنحى «البين - تخصصي» يوازي بين العناصر اللغويّة والعناصر الاجتماعيّة داخل تركيبة خطابية أنتجت عوامل تجاوزت اللغة إلى ما هو خارج اللغة.

Fairclough Norman, *Critical discourse analysis, The critical* (24) *-study of language*, (London and New York: Longman, 1995), 132-133.

(25) نورمان فيركلاف، الخطاب والتغير الاجتماعي، ترجمة محمد عناني (القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2015)، 27.

في هذا السياق تطوّرت حركة التحليل النقدي للخطاب لُنشئ في الأخير مقارنة لسانيّة اجتماعيّة تتعامل مع النصّ والخطاب بنظرة نقدية محضّة بل تتخذ من تحليل المستويات اللغويّة ومداخلها مثل الصّوت والمعجم والعلاقات النحويّة والتركيبية داخل الجملة أو بين الجمل أو التفاعل داخل الخطاب نفسه، مداخل للتحليل تساعد في مرحلة التحليل النقدي للكشف عن الأسباب الحقيقيّة لاستعمال لغويّ دون آخر ضمن ممارسة أُصطلح عليها بـ «الممارسة الاجتماعية»، يهدف المحلّل الناقد من ورائها فضح الأطماع السلطوية وغايات الهيمنة والتحكّم عن طريق الخطاب فيضحى الخطاب بواسطة اللغة القوة الفاعلة المغيّرة في المجتمع.

لنا أن نلخص ما ذهبت إليه اتجاهاتهم نحو الشروط التالية ليكون التحليل خاضعا لمنهج فعّال يبني لنظرية متماسكة قائمة الذات، وذلك انطلاقا مما أورده نورمان فيركلاف في قوله «هذه في وضع مدخل لتحليل الخطاب يمكن استخدامه باعتباره منهجا من بين مناهج أخرى للبحث في جوانب التغير الاجتماعي. (...) تتوقّف فائدة أيّ منهج من مناهج تحليل الخطاب في مثل هذه السياقات على تلبّيته عددا من الشروط كحدّ أدنى (...)»⁽²⁶⁾ فهذا المنهج لا بدّ أن تتوفر فيه الشروط التالية فيجب أن يكون:

(26) فيركلاف، الخطاب والتغير الاجتماعي، 21.

جدول 2- شروط التحليل النقدي في المقاربة الاجتماعية

لأن العلاقات بين: التغير الخطابي والثقافي ليست شفافة/ إخضاع الخطاب للتكونولوجيا.	■ لأن العلاقات بين: التغير الخطابي والثقافي ليست شفافة/ إخضاع الخطاب للتكونولوجيا.	■ لأن العلاقات بين: التغير الخطابي والثقافي ليست شفافة/ إخضاع الخطاب للتكونولوجيا.	■ لأن العلاقات بين: التغير الخطابي والثقافي ليست شفافة/ إخضاع الخطاب للتكونولوجيا.
■ «نقدي» يعني ضمناً: يبين الروابط والأسباب الخفية. التداخل أي توفير الموارد للذين يضرهم التغير.	■ «نقدي» يعني ضمناً: يبين الروابط والأسباب الخفية. التداخل أي توفير الموارد للذين يضرهم التغير.	■ «نقدي» يعني ضمناً: يبين الروابط والأسباب الخفية. التداخل أي توفير الموارد للذين يضرهم التغير.	■ «نقدي» يعني ضمناً: يبين الروابط والأسباب الخفية. التداخل أي توفير الموارد للذين يضرهم التغير.
■ النقد له هدف: لتجنب التغير الخطابي ذي التوجه من القمة إلى القاعدة، في ذلك استجابة دون قبول بل «يجارونها وحسب»	■ النقد له هدف: لتجنب التغير الخطابي ذي التوجه من القمة إلى القاعدة، في ذلك استجابة دون قبول بل «يجارونها وحسب»	■ النقد له هدف: لتجنب التغير الخطابي ذي التوجه من القمة إلى القاعدة، في ذلك استجابة دون قبول بل «يجارونها وحسب»	■ النقد له هدف: لتجنب التغير الخطابي ذي التوجه من القمة إلى القاعدة، في ذلك استجابة دون قبول بل «يجارونها وحسب»
■ تحليل الخطاب يركز على: عمليات الهيكلية في بناء النصوص «نظم الخطاب» وهي الصورة الكلية للممارسة الخطابية في مؤسسة معينة أو مجتمع معين.	■ تحليل الخطاب يركز على: عمليات الهيكلية في بناء النصوص «نظم الخطاب» وهي الصورة الكلية للممارسة الخطابية في مؤسسة معينة أو مجتمع معين.	■ تحليل الخطاب يركز على: عمليات الهيكلية في بناء النصوص «نظم الخطاب» وهي الصورة الكلية للممارسة الخطابية في مؤسسة معينة أو مجتمع معين.	■ تحليل الخطاب يركز على: عمليات الهيكلية في بناء النصوص «نظم الخطاب» وهي الصورة الكلية للممارسة الخطابية في مؤسسة معينة أو مجتمع معين.
■ مستوى النصوص: - النصوص بُنى من خلال نصوص أخرى (التناسخ) - طريقة الإفصاح عنها تعتمد الظروف الاجتماعية وتتغير بتغيرها.	■ مستوى النصوص: - النصوص بُنى من خلال نصوص أخرى (التناسخ) - طريقة الإفصاح عنها تعتمد الظروف الاجتماعية وتتغير بتغيرها.	■ مستوى النصوص: - النصوص بُنى من خلال نصوص أخرى (التناسخ) - طريقة الإفصاح عنها تعتمد الظروف الاجتماعية وتتغير بتغيرها.	■ مستوى النصوص: - النصوص بُنى من خلال نصوص أخرى (التناسخ) - طريقة الإفصاح عنها تعتمد الظروف الاجتماعية وتتغير بتغيرها.
■ العلاقات بين الممارسات الخطابية تتغير بالتدرج وفق اتجاهات التغير الاجتماعي	■ العلاقات بين الممارسات الخطابية تتغير بالتدرج وفق اتجاهات التغير الاجتماعي	■ العلاقات بين الممارسات الخطابية تتغير بالتدرج وفق اتجاهات التغير الاجتماعي	■ العلاقات بين الممارسات الخطابية تتغير بالتدرج وفق اتجاهات التغير الاجتماعي
■ الممارسة الخطابية المتغيرة تسهم في التغير في المعرفة/ في العلاقات الاجتماعية/ الهويات الاجتماعية	■ الممارسة الخطابية المتغيرة تسهم في التغير في المعرفة/ في العلاقات الاجتماعية/ الهويات الاجتماعية	■ الممارسة الخطابية المتغيرة تسهم في التغير في المعرفة/ في العلاقات الاجتماعية/ الهويات الاجتماعية	■ الممارسة الخطابية المتغيرة تسهم في التغير في المعرفة/ في العلاقات الاجتماعية/ الهويات الاجتماعية
■ مدخل ثلاثي الأبعاد يتيح تقسيم العلاقات بين التغير الخطابي والتغير الاجتماعي	■ مدخل ثلاثي الأبعاد يتيح تقسيم العلاقات بين التغير الخطابي والتغير الاجتماعي	■ مدخل ثلاثي الأبعاد يتيح تقسيم العلاقات بين التغير الخطابي والتغير الاجتماعي	■ مدخل ثلاثي الأبعاد يتيح تقسيم العلاقات بين التغير الخطابي والتغير الاجتماعي
■ يتيح إقامة العلاقة بين: خصائص النصوص/ الخصائص الاجتماعية للأحداث الخطابية/ الأحداث الاجتماعية	■ يتيح إقامة العلاقة بين: خصائص النصوص/ الخصائص الاجتماعية للأحداث الخطابية/ الأحداث الاجتماعية	■ يتيح إقامة العلاقة بين: خصائص النصوص/ الخصائص الاجتماعية للأحداث الخطابية/ الأحداث الاجتماعية	■ يتيح إقامة العلاقة بين: خصائص النصوص/ الخصائص الاجتماعية للأحداث الخطابية/ الأحداث الاجتماعية

ما نستشفه من خلال هذه الشروط أن المنهج المناسب لنظرية التحليل النقدي للخطاب هو منهج يقوم أساسا على تحليل متعدد الأبعاد، متعدد الوظائف، أن يكون به التحليل تاريخيا، وأخيرا أن يكون المنهج نقديا. فأن نربط بين البناء النصي والبناء الاجتماعي والبناء الثقافي والسياسي لهُو من الضرورات التي يفرضها النص اللغوي بما يوفره ضرورة من سياقات متجددة عبر القراءات المنفتحة على نصوص أخرى في ذهن المتلقي ومحلل الخطاب، وأيضا تعدد التأويلات عند التفاسير وصناعة المعنى.

2- 1- 2 الأبعاد الثلاثة لمقاربة نورمان فيركلاف

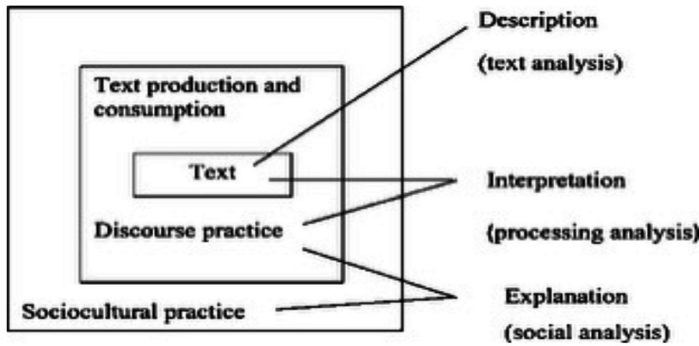
يكون التحليل متكاملًا في نظرية فيركلاف إذا «ارتكز على ثلاثة أسس منهجية، ذلك أنه يستفيد من التحليل النصي Analyse textuelle ومما تقدّمه اللغة وما يتوفّر فيها من خصائص شكلية للنص وبنى تركيبية يقوم عليها»⁽²⁷⁾، ثم هو يستفيد أيضا من التأويل أو الممارسة الخطابية Pratique discursive (التي تهتم بعلاقة النص وسيرورات إنتاجه وتأويله والتفسير الذي يوضح العلاقة مع السياق الاجتماعي) وما توفره نظم الخطاب Ordres de discours من آليات التأويل والتفسير، كذلك هو يستفيد من تحليل العوامل والمؤثرات الاجتماعية وهو ما عرف بالممارسة الاجتماعية Pratique socioculturelle. فبالنسبة إلى فيركلاف لا يكون التحليل مكتملا إذا لم تُطبّق المراحل الثلاث وذلك حسب مكوّنات الخطاب المختلفة، يوضحها لنا الشكل⁽²⁸⁾ التالي:

(27) Adèle Petitclerc, «Introduction aux notions de contexte et d'acteurs sociaux en Critical Discourse Analysis », Semen Revue de sémio-linguistique des textes et discours, N° 27 (2009), <https://doi.org/10.4000/semen.8540>

(28) Fairclough Norman, *Critical Discourse Analysis, The Critical Study of Language*, 98.

(وانظر أيضًا: فيركلاف، الخطاب والتغير الاجتماعي، 97).

الشكل 2 - الأبعاد الثلاثة لتحليل الخطاب من منظور فيركلاف



يكشف الشكل العلاقة بين النص والممارسة الخطابية والاجتماعية، فهي تبدو علاقة احتواء متبادل وهو ما عرف عن مقارنة فيركلاف بالجدلية العلائقية، فالنص جزء من الممارسات الخطابية من ناحية والممارسات الاجتماعية الأوسع من ناحية أخرى باعتبار أن الممارسات الخطابية في حد ذاتها جزء من تلك الممارسات الاجتماعية. ففي المخطط كشف عن أهمية الممارسات الخطابية بما فيها عمليات إنتاج الخطاب وتلقيه حيث يمرّ إلى مرحلة التفسير والتأويل من قبل المخاطب. وهي عملية تتطلب وعياً بالأبعاد المختلفة للحدث الخطابي أثناء عملية التأويل *Interprétation*.

يهتمّ التحليل النقدي للخطاب بفهم النتائج الاجتماعية للخطاب وهو أمر لا يمكن فهمه دون النظر عن قرب في ما يحصل عندما يتكلم الناس أو يكتبون. فـ «اللغة جزء من الحياة الاجتماعية وبينها وبين عناصر الحياة الاجتماعية الأخرى علاقة منطقية جدلية تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغة بعين الاعتبار»⁽²⁹⁾ ونظرًا لتداخل الاختصاصات التي اهتمّت هذه الحركة بدراسة العديد من قضاياها، فقد واجهت محاولات تعريفه صعوبة كبيرة، فتعدّدت توجّهات الدارسين الذين انضمّوا إلى هذا التيار واشتغلوا فيه، كما أن جلّهم استفادوا إفادة كبيرة من نظريات ومناهج سابقة.

(29) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في البحث الاجتماعي، 19.

قدّم فيركلاف منذ أول كتابه «تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي» منهجه، إذ يقول «تنتهي معالجتني، في إطارها الواسع إلى تراث هو «علم الاجتماع النقدي» العلم الذي يحركه السعي إلى توفير أساس علمي للتساؤل النقدي حول الحياة الاجتماعية من منطلقات أخلاقية وسياسية، أي بالنظر إلى العدالة الاجتماعية والسلطة»⁽³⁰⁾ وما ربطه بين الخطاب الذي يتضمّن معرفة حسب ما ذهب إليه فوكو، وبين الحياة الاجتماعية إلّا توجّه نحو جعل المعرفة أيضاً هي التي تشكّل الفعل، والفكرة لفوكو من خلال حفريات.

ترتكز مراحل التحليل، وفق منظور فيركلاف، على مراحل ثلاث رئيسية:

- **الممارسة النصية:** وهي تمثّل البعد الأوّل في التحليل: هو مستوى تحليل النص، وتتمّ من خلال التحليل النصّي دراسة الجوانب اللغوية للخطاب وكيفية تنظيم مكوناته مثل المفردات والمعجم والتراكيب والدلالات ممّا يحقق التماسك النصّي وبنائه.

- **الممارسة الخطابية:** وتمثّل المستوى أو البعد الثاني في نظرية التحليل النقدي من منظور فيركلاف. وهو البعد الذي يهتمّ بتحليل الخطاب بوصفه شيئاً يُنتج ويوزّع ويُستهلك في المجتمع، واعتباراً أن النصّ ممارسة خطابية تعتمد تفاعلات متواصلة بين مشاركين اجتماعيين فلا بدّ من التوجّه أثناء تحليل تلك المكونات نحو الاهتمام «بالتمثيل الخطابي» ودوره في صناعة المعنى وتماصكه من جهة والخطاب وما عبر عنه فيركلاف بـ «الأحوال الاجتماعية» من جهة ثانية، وجميعها عناصر تربط النصّ بسياقه.

- **الممارسة الاجتماعية:** تعتبر الممارسة الاجتماعية البعد الثالث من مقاربة فيركلاف، والمتمثلة في أنّها تعبير لفظي لأنماط مختلفة من عناصر اجتماعية ترتبط بمجالات معيّنة من الحياة الاجتماعية، مثال: المتعلم والبرامج والنصوص التعليمية هي عناصر لنمط معيّن من الحياة الاجتماعية، وهو مرتبط بمجال التعليم باعتباره ممارسة اجتماعية تتضمّن أبعاداً معرفيّة وثقافية وإيديولوجية. وقد اقترح

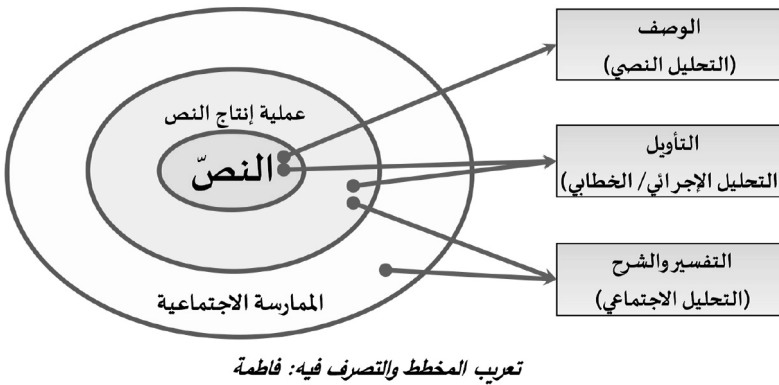
(30) المصدر نفسه، 46.

فيركلاف قائلا «أنا أقترح في استعمال مصطلح «الخطاب» اعتبار استخدام اللغة شكلا من أشكال الممارسة الاجتماعية، لا مجرد نشاط فردي محض أو ردّ فعل للمتغيرات الموقفية»⁽³¹⁾.

2- 1- 3 ارتباط النصوص بالسياق الاجتماعي والثقافي

يتحدث ن. فيركلاف في مقدمة كتابه «الخطاب والتغير الاجتماعي» عن ضرورة تقدير «أهمية استخدام التحليل اللغوي باعتباره منهجا لدراسة التغير الاجتماعي. ولكننا نفتقر إلى الآن إلى منهج للتحليل اللغوي يجمع بين الكفاءة النظرية وإمكان تطبيقه عمليا»⁽³²⁾ ولذلك ذكر السبب الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب قائلا: «إنّ هدفي الرئيسي في هذا الكتاب أن أبني مدخلا للتحليل اللغوي يمكنه الإسهام في سدّ هذه الفجوة، أي أن أبني مدخلا ذا فائدة خاصة للبحث في التغير اللغوي ويمكن استعماله في دراسات التغير الاجتماعي والثقافي»⁽³³⁾. لذلك قدم لنا هذا النموذج المتداخل:

الشكل 3 - الأبعاد الثلاثة لتحليل الخطاب من منظور ن. فيركلاف



(31) فيركلاف، الخطاب والتغير الاجتماعي، 86.

(32) فيركلاف، الخطاب والتغير الاجتماعي، 13.

(33) المصدر نفسه، 13.

من خلال المخطّط نلاحظ أنّ تحليل النص جزء من تحليل الخطاب، لكن تحليل الخطاب لا يقتصر على التحليل اللساني للنصوص. ما نلاحظه هو أنّ أهميّة نموذج فيركلاف تكمن في أنّ الرجل لا يقتصر على شرح مبادئ التحليل النقدي للخطاب ومصطلحاته، بل إنّّه يركّز أساساً على كيفية تطبيق هذه المبادئ والمصطلحات في تحليل النصوص، يتناول فيها التحليل النصّي والتحليل الاجتماعي، وقد وضع لذلك منهجاً يربط به العلاقات القائمة بين جماعات معيّنة تشهد حياة أفراد يحتلون أدواراً ومواقع معيّنة في المجتمع، وتشترك هذه الأدوار عبر تفاعلها الخطابى في إنتاج الخطاب واستهلاكه عبر تأويله وفهمه، فيترك كلّ خطاب أثراً يكون عاملاً من العوامل المغيرة لمواقف الأفراد المتفاعلة اجتماعياً.

إنّ مساهمة فيركلاف في هذا النوع من البحوث المركّبة البنيّة قد قال عنها في حديثه عن مشروعه «ترتكز محاولتي للجمع بين التحليل اللغوي والنظرية الاجتماعية على الجمع بين المعنى الاجتماعي النظري للخطاب وبين معنى «النص والتفاعل» في تحليل الخطاب ذي التوجّه اللغوي. وهذا المفهوم للخطاب وتحليل الخطاب له أبعاد ثلاثة. فأبّى حادثة خطابية (أي حالة من حالات الخطاب) يُنظر إليها باعتبارها - في الوقت نفسه - قطعة نصّية، وحالة ممارسة خطابية، وحالة ممارسة اجتماعية»⁽³⁴⁾ وقد خصّ الخطاب بأنّه نصّ وتفاعل، وهذا التفاعل يحدّد طبيعة عمليّتي إنتاج النصّ وتفسيره، كما وضّح بعد الممارسة الاجتماعية الذي يرى أنّه يُعالج القضايا المهمّة في التحليل الاجتماعي من قبيل الظروف المؤسّسة للحدث الخطابى وتأثير تلك الظروف في تشكّل الممارسة الخطابية من حيث البناء والشكل للخطاب. ولذلك يأخذ منهج تحليل الخطاب تعدّد المداخل، «أرى أنّ تحليل الخطاب يتأرجح بين التركيز على نصوص معيّنة والتركيز على ما يسمّى نطاق الخطاب Order of discours وهو البناء الثابت نسبياً للغة الذي يشكّل مكوّناً في مكوّنات الممارسات الاجتماعية والشبكة التي تؤلفها»⁽³⁵⁾. ولذلك فقد تجاوز التحليل المستوى النصّي وإذا بـ

(34) المصدر نفسه، 16.

(35) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في البحث الاجتماعي، 21.

«تحليل الخطاب لا يُعتبر تحليلًا لسانيًا فقط، إنّه يتضمّن أيضًا ما أُسمّيه تحليل التفاعل الخطابى Interdiscursive Analysis، أي: معالجة النصوص من منطلق ضروب الخطاب والأصناف والأساليب المختلفة التي تستند إليها وتمفصلها بعضها مع بعض»⁽³⁶⁾. لقد سعى فيركلاف إلى الدفاع عن ذلك المبدإ بأن تناول مسألة المنهج النقدي في تحليل الخطاب، وأكّد أنّه المنهج الذي يحقق فعلا هدف الوعي بضرورة المقاومة والرفض والتغيير الممكن حصوله على خلاف التحليل اللغوي، إذ أنّه منهج مستقلّ عن أيّ ممارسة اجتماعية أو علاقة جدلية تربط بين الخطاب ونطاقاته المؤثرة.

وبسبب هذا التداخل والتعقيد في التحليل الاجتماعي يرى فان دايك أنّ المسألة متشعبة متعقدة مما يجعلها تُتناول في إطارٍ تعدّدت فيه المناهج والاختصاصات وهو ربط يراه بين «بنى الخطاب والبنى الإدراكية من جهة، والبنى الاجتماعية من جهة أخرى»⁽³⁷⁾. فهو هنا لا يختلف كثيرا مع نورمان فيركلاف باعتبار اتفاقهما على الجانب الاجتماعي وضرورة اللجوء إليه في تحليل الخطاب إذ أن الخطاب نتاج عقليّ إدراكيّ وممارسة اجتماعيّة ثقافيّة.

فقد قامت مقارنة ن. فيركلاف أساسا على الجدلية العلائقية التي ترى أنّ هناك علاقة تحاور بين النصّ والمجتمع يسيرها نسق جدليّ، وهو يبيّن أنّ بنية النص تقودها بنية المجتمع والمجتمع بدوره يتأثر بما تفرزه بنية النص من معاني وأفكار ويحدث ذلك بتفاعل كل ذلك مع السياق. وذلك أن إبعاد تناول المادة اللغوية عن السياق والمجتمع والثقافة والسياسة لم يعد ممكنا ولا نكتفي بدونه لتتبع حاجيات الحياة المعاصرة للمجتمعات في الوقت الذي أصبح فيه المجتمع يعيش تحت تأثير إيديولوجيات تتخذ اللغة والخطاب سبيلا للسيطرة على المعارف الاجتماعية، ويظهر ذلك من خلال ما يتركه الخطاب من تأثيرات متنوّعة.

(36) المصدر نفسه، 21.

(37) توين فان دايك، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، تقديم عماد عبد اللطيف، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014)، 41.

وهو ما يجعلنا نفهم أنّ تأثير النص على المقام الاجتماعي من ناحية وتأثير المقام الاجتماعي على النص من ناحية أخرى يمارسهما مستعمل اللغة حسب استعداده المعرفي من خلال مواقفه وآرائه ومصالحه وحاجاته، إذ أنّ تفسيره للواقع الاجتماعي هو ما يجعله يؤثر على فهم النص. فأنّ نربط بين البناء النصّي والبناء الاجتماعي والبناء الثقافي والسياسي لهُو من الضرورات التي يفرضها النصّ اللغوي بما يوفره ضرورةً من سياقات متجدّدة عبر القراءات المفتوحة على نصوص أخرى في ذهن المتلقّي ومحلّل الخطاب، وأيضا تعدّد التأويلات عند التفاسير وصناعة المعنى.

وقد تناول فيركلاف مسألة المنهج النقدي في تحليل الخطاب الذي يحقق هدف إيقاظ الوعي بضرورة المقاومة والرفض والتغيير الذي يمكن حصوله، على خلاف التحليل اللغوي باعتباره منهجا مستقلاً عن أيّ ممارسة اجتماعية أو علاقة جدلية تربط بين الخطاب ونطاقاته المؤثرة.

2-2 - التطبيق الخطابي

تكمن أهميّة ما أُلّف في التحليل النقدي للخطاب في أنّه تجاوز شرح مبادئ هذه النظرية وما ابتدعته من مصطلحات تناسب البحث فيها، إلى التركيز على كيفية تطبيق هذه المبادئ والمصطلحات في تحليل النصوص بطريقة تركّز أساساً على البعد البنائي والاجتماعي معاً، باعتبار الخطاب حدثاً اجتماعياً تنخرط لغته ضمن البنى الاجتماعية. ومرحلة التطبيق هذه أوردتها العديد من مؤلفاتهم مثل كتاب فان دايك «علم النص مدخل متداخل الاختصاصات»، أو ما كتبه فيركلاف في الغرض أو ما أكّدت عليه روث ووداك من تحليل المستوى البلاغي والتداولي بمثابة الأدوات والوسائل للكشف عمّا لم يُقل في اللغة الصريحة من الخطاب.

2-2-1 - الممارسة الخطابية حدثاً اجتماعياً

صرّح فيركلاف في كتابه (تحليل الخطاب التحليل النصّ في البحث الاجتماعي) أنّه سيّتبّع تحليلاً وضع له منهجا وهدفا محدّدين يطبّق بهما مبادئ مقارنته الاجتماعية. فيقول «تستند معالجتني في دراسة الخطاب إلى: التسليم بأنّ

اللغة جزء من الحياة الاجتماعية وبينها وبين عناصر الحياة الاجتماعية الأخرى علاقة منطقية جدلية تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغة بعين الاعتبار⁽³⁸⁾، فالتحليل النقدي للخطاب حسب هذه المقاربة يوفق بين محطات التحليل الثلاث ويدرس العلاقة الجدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع، وهو يسعى بجدية لكشف مظاهر السلطة التي تُمارس عبر مداخل شتى في الخطاب، فهي مقاربة تعتبر اللغة وسيطا فاعلا يوظفه صاحب السلطة للهيمنة على المستوى الاجتماعي. ومن ثمّ يتحقق هدف التحكم في الاختيارات والمواقف لدى الأفراد. فمن خلال تفكيك البنى اللغوية للنصوص وتحليل عناصر السياق والعلاقات التفاعلية بين المشاركين في الخطاب وسبر أغوار العلاقات اللسانية الضمنية تنكشف لمحلل الخطاب أنواع السلطة الممارسة وخطورتها وتأثيرها في البنى الاجتماعية.

تقوم نظرية التحليل النقدي للخطاب على فهم أنواع الخطابات المتداولة في المجتمع وذلك عن طريق تحليل النصوص سواء مكتوبة أو منطوقة، وبذلك يُحدّد النظام الذي يقوم عليه الخطاب السائد والمرتبط بالإطار الاجتماعي، هذا الإطار هو الذي يُنتج فيه النصّ للوصول في الأخير إلى الكشف عن العلاقة بين الخطاب المقصود بالبحث والممارسة الاجتماعية. فمقاربة فيركلاف هي أساسا مقاربة علائقية. وقد استقى فيركلاف منهجه من فلسفة ميشال فوكو الذي انبنت على المعرفة والقوة والممارسة، وقد شدّد على أنّ المعارف التي تحتويها الخطابات يمكن إخضاعها للتحليل سواء كانت معرفة يومية، منتشرة، ومتداولة في التواصل اليومي، أو معرفة علمية أخذت من الإنتاج العلمي والثقافي. ويرى أنّ وسائل الإعلام والمدرسة تتكفل بنشر هذه المعرفة وتبليغها للفئة المقصودة، فكلّ مظاهر المعرفة عند فوكو هي قابلة للتحليل النقدي.

(38) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في البحث الاجتماعي، 19.

2-2-2 - علاقة الممارسات اللغوية بالتغير الاجتماعي

ما يميز مجال التحليل النقدي للخطاب أنّه ينظر إلى الخطاب بوصفه شكلاً من أشكال الممارسة الاجتماعية، أي أنّه يُكوّن علاقة جدلية بين الحدث الخطابي ومختلف العناصر المجتمعية التي تحيط به من مؤسسات وبنى اجتماعية مختلفة. وهو أمر مميّز مقارنة فيركلاف النقدية التي حرص على بيان قيمة التغير الحاصل جراء مجموعة الممارسات الاجتماعية التي يكون انطلاقها أساساً ممارسة خطابية تضمّنت نصاً ابني في حدّ ذاته على توظيف استعمالات معيّنة من اللغة في شكلها ومعناها «إنّ وجوه التغير في الممارسات اللغوية قد ساهمت إلى حدّ كبير في إحداث هذه التحوّلات الاجتماعية»⁽³⁹⁾. ولهذا التغير التأثير الكبير في التغير الاجتماعي والثقافي، والسبب في ذلك هو «طبيعة المحاولات المبذولة للتحكّم في مسار التغير. إذ أصبحت تضمّ محاولات متزايدة لتغير الممارسات اللغوية»⁽⁴⁰⁾.

بيّنت المقاربة العلائقية الجدلية العيب الذي وقعت فيه المحاولات التي سبقت حركة التحليل النقدي للخطاب والتي تتمثل خاصة في مرحلة التحليل اللغوي إذ قال فيركلاف متحدثاً عن المحاولتين البريطانية (هاليداي) والفرنسية (بيشوه) «إنّ المحاولتين تقومان على نظرة ستاتيكية (ساكنة، ثابتة) (...) ولا يكاد يُلتفت إلى الصراع والتحوّل في علاقات السلطة ودور اللغة في ذلك. ونجد تأكيداً مماثلاً لوصف النصوص وتفسيرها، ولا إلى جوانب التوتر التي تميّز هذا أو ذاك. ومن ثمّ فإنّ محاولات التركيب المذكورة لا تناسب البحث الدينامي في اللغة أثناء عمليات التحوّل الاجتماعي والثقافي»⁽⁴¹⁾. ورغم ما استنقصه من منهج هاليداي وعاب فيه الاكتفاء بالمستوى اللغوي، إلّا أنّه أخذ عنه وأضاف ما يراه ضرورياً ليكون التحليل نقدياً، واعتبر ذلك هو المنهج الخاص به والذي صرّح

(39) فيركلاف، الخطاب والتغير الاجتماعي، 19.

(40) المصدر نفسه، 19.

(41) المصدر نفسه، 14-15.

بأنه يتبعه. ويمكن استنتاج ذلك عندما وضح أن تصوّره الإجمالي ومنهجه⁽⁴²⁾ يقوم أساساً على جملة من الإجراءات:

جدول 3 - الإجراءات الأساسية في تحليل نقدي للخطاب

المرحلة والإجراء النقدي	الهدف من الإجراء
1 - أبدأ من مشكل اجتماعي وليس من «إشكالية بحث» كما في المنهج التقليدي	وأكثر من الطابع النقدي للمعالجة لأجل إنتاج معرفة يمكن أن تحدث تغييراً مُحرّراً.
2 - أحدّد العوائق أمام معالجة الموضوع بتحليل: (أ) شبكة الممارسات التي تتواجد فيها المشكلة. (ب) علاقة سيرورة المعنى بالعناصر الأخرى في الممارسة أو الممارسات المعيّنة. (ت) الخطاب نفسه (سيرورة المعنى): - تحليل بنائي (نطاق الخطاب) - تحليل نصّي / تفاعلي، من منظور التفاعل الخطابي والتحليل الألسني (السيمائي).	والهدف منه هو: معرفة كيفية نشوء المشكل كيفية تجذّرها في طريقة تنظيم الحياة الاجتماعية، وذلك بالتركيز على العوائق أمام حلّها، على ما يجعلها إلى حد ما مستعصية.
3 - أنظر فيما إذا كان النطاق الاجتماعي (شبكة الممارسات) «يحتاج» بمعنى ما، للمشكلة.	المسألة المطروحة: ما إذا كان من مصلحة الذين يستفيدون أكثر من غيرهم من الطريقة التي تُنظّم فيها الحياة الاجتماعية في حينه، أن لا يتم حل المشكلة.
4 - أحدّد الطرق المحتملة لتخطّي العوائق.	هذه المرحلة هي تكملة أساسية في الإطار المطروح.
5 - تفحص المراحل الأربعة السابقة بعين ناقدة.	التبث والدقة

بعد هذا التحديد لمراحل البحث الاجتماعي للظواهر اللغوية ينبّه فيركلاف إلى أن كتابه «يركّز على الجزء «ج» من المرحلة الثانية في تصوّر الإجمالي، وخاصة على التحليل الألسني للنصوص مع أنني أشرت إلى تحليل التفاعل الخطابي (من منطلق تهجين الأصناف وبين ضروب الخطاب وبين الأساليب).»⁽⁴³⁾ وما

(42) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في البحث الاجتماعي، 383 - 384.

(43) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصّي في البحث الاجتماعي، 384 - 385.

يؤكد ذلك استعماله أفعالاً إجرائية من نوع (أبدأ - أحدد - أنظر في - أكثر من - تفحص) وهي تضيف صبغة التطبيق الإجرائي للمنهج الذي حدده تطبيقاً لنظرية التحليل النقدي للحدث الخطابي.

2-2-3 - أمثلة تطبيقية

يقوم التحليل النصي أساساً على معالجة تجعل العناصر المكونة للنص في علاقة مستمرة متفاعلة تساهم في حركية الخطاب وديناميكية النص فيه. وهذه العلاقة على حدّ منظور فيركلاف تطلّ الأحداث الاجتماعية، هذه الأحداث التي تأخذ في النظرية العلائقية شكل علاقاتها الاجتماعية، وتحديد هوية الأشخاص، وهذا النصّ يُصاغ بدوره ضمن خطاب حدّد بالسياق الاجتماعي الذي سيق فيه، فأدخل النص في علاقات وممارسات كوّنت به البعد الثاني من الأبعاد الثلاثة للتحليل النقدي للخطاب كما يراه فيركلاف والبعد الثالث هو الحاضن للممارسات اللغوية برمتها. وقد نقد فيركلاف الاتجاه القائل بأنّ التحليل يجب أن ينطلق من وصف النصّ في مرحلة أولى ثمّ تحليله ونقده ثانياً إذ يقول «يوجد اعتقاد يقول إنّ علينا وصف النصوص أولاً، ثمّ عندها فقط يمكن تحليلها ونقدها اجتماعياً»⁽⁴⁴⁾ وهو ما لم يتّبعه في تحليله للخطاب من وجهة نظر اجتماعية بل جعل الأبعاد الثلاثة متداخلة وقد جاء تحليلها على نسق متوازٍ وذلك للروابط القائمة بين عناصر الأبعاد الثلاثة في التحليل ولصعوبة الفصل بينها..

إنّ منظور فيركلاف في تحليل الخطاب يقوم أساساً على تداخل المراحل وتعالّقها في عملية شبه موحّدة وإن كانت ضمن مرحلة تحليل كلّ بُعد. وننطلق في تناول هذه المراحل بتحليل أمثلة من بين أنماط معينة من الخطابات التي ارتأينا أن نختار منها النصوص التعليمية المخصصة لمرحلة ابتدائية من التعليم حسب النظام التربوي التونسي، محاولين إبراز إمكانية تطبيق نظرية التحليل النقدي للخطاب متّبعين إحدى المقاربات التي انبنت عليها مناهج التحليل المتّبعة. وقد انتقينا بعض القضايا التي يتناولها التحليل النقدي للخطاب بالدرس لإبراز بُعد

(44) المصدر نفسه، 48.

الممارسة الاجتماعية من بين بقية أبعاد المقاربة العلائقية الجدلية وذلك بتفحص التغير الاجتماعي الحاصل على المستوى الفردي والجماعي. نسوق مثالا لهذه القضايا:

■ الرأسمالية الجديدة والخطاب

إنّ مفهوم الحداثة يُحيلنا على كونها فكرا وغاية ترمي إلى إحداث تطوّر يخلقه النمو الاقتصادي والسياسي. فلقد رافق الحداثة ظهور أنماط جديدة من الاستهلاك وتسارع أشكال الموضة وسيطرة الإعلانات والتلفزيون ووسائل الإعلام بصورة عامة، واختراقها للمجتمع بصورة غير مسبقة وزوال الفوارق القديمة بين القرية والمدينة والتقاليد والمستحدث وغير ذلك مما كان يميّز الحياة التقليدية الخاصة بكلّ بيئة في مجتمع ما ليحلّ محله تسارع وضغط وانشغال بتلبية الرغبات المادية والربح المتواصل. وما من حدث اجتماعي إلّا ويخضع لبنية اجتماعية مجردة متمثلة في التبادل اللغوي والتفاعل الخطابي، لذلك نجد أنّ للرأسمالية الحديثة تأثيرا بليغا على الخطابات المتداولة بين الأفراد المشاركين في الحياة الاجتماعية إن كانوا من ضعاف الحال فيقبلون أو يثرون، وإن كانوا من أصحاب السلطة فسيهيمنون وينتجون الخطاب الذي يخدم مصالحهم. وهذا ما يسمح لمحاولة بحثنا هذا بأن يحدّد مظاهر لبعض السمات الاجتماعية التي يصنعها نمط الحياة الرأهنة تحت سيطرة الصناعة والتطوّر الاقتصادي، وقد اخترنا مقتطعات من نصّ (السلسلة الجهنمية)⁽⁴⁵⁾ تتناول وضعية عاملات المصانع ونمط حياتهنّ اليوميّ تلخّصه بعض المظاهر التي جلبها ذلك النمط المستحدث للحياة الخاصة بفئة معيّنة هي الفئة الضعيفة من المجتمع. وهو ما يمثّل بذلك مشهدا من الحياة الاجتماعية اليومية لفئة معيّنة من المجتمع، تعيش تحت ربح العمل المتسلسل وأزمة الشئ وآثار التوتر والعجز النفسية والاجتماعية. وقد تناولها أكسيل هونيث بالنقد والتحليل من خلال نظرية الاعتراف ومبدأ الاحتقار الذي يلحق الأفراد. إلّا أنّ الأمر الذي يثير التساؤل هو خلفية إدراج مثل هذه

(45) عالم القراءة، كتاب النصوص لتلاميذ السنة السادسة من التعليم الأساسي، تأليف محرز بلعيد وآخرون (تونس: وزارة التربية، المركز الوطني البيداغوجي)، 83.

النصوص في وثيقة مدرسية لفئة عمرية تفتقد القدرة على تحليل تلك الظواهر وفهم الأبعاد النقدية، ولا يحصل ذلك إلا إن تكبد المدرّس عناء توجيهها نحو طرح الإشكال ومناقشته فيكون قد مارس مع المتعلمين نشاطاً يرتقي إلى مستوى التحليل والنقد. فالمتعلم هو متلقّي الخطاب، فهل يمكنه التحليل من بلوغ الوعي بمثل هذه الإشكالات الاجتماعية؟ لنفترض ذلك، ونجعله متلقياً مرتبة ثانية بعد العاملات اللائي تلقين خطابات الطبقة الرأسمالية فاستجبن لذلك نتيجة الحاجة والعوز.

نتناول بالتحليل بعض الظواهر الاجتماعية ذات الخصائص المتعلقة بممارسات اقتصادية تخضع لسياسة رأسمالية تصوّر ممارسات اجتماعية مكبّلة بنظام مكبّل هو الآخر بضوابط رأسمالية. هذه الضوابط والأحداث الاجتماعية والانخراط فيها ساهمت في بناء الخطاب.

■ ظاهرة العمل المتسلسل

مثّلت الحركة الصناعية في أوروبا حركة تحوّل من اقتصاد الزراعة والحرف إلى الاقتصاد الذي تهيم فيه الصناعة والآلات. وهذا التحوّل قد غير كيفية إنجاز العمل وإنتاج البضائع، إلى جانب تأثيرات امتدّت إلى العلاقات وكيفية ارتباط الأفراد بعضهم ببعض. ولتحقيق نموّ أكثر لجأ أصحاب الصناعات إلى أسلوب العمل المتسلسل سبيلاً لربح الوقت وزيادة في المنتج ومن ثمّ مضاعفة الربح الذي كان شغلهم الوحيد.

مظاهر العمل المتسلسل

تُحرّكُ (آمنة) الشفرة الحادّة/ تأخذ عاملة أخرى القطع.../ هذه تخطط.../ وتلك.../ وثالثة تركّب.../ ورابعة.../ وخامسة.../ وسادسة...، لكنّ إحدى الفتيات تعبت من العمل السريع فوضعت كفّيهما على وجهها طلباً لقليل من الراحة. وسرعان ما ارتفع صوت زميلتها: إنّي أنتظر قطعك لتركيبها / انكبت العاملات على أكداش القماش وحوّلنها بسرعة مذهلة إلى أقمصّة

العمل المتسلسل نمط فرضه نظام اقتصادي معين خاص بالنظام الرأسمالي واستثمار اليد العاملة لتطوير الإنتاج في السوق العالمية ولضمان زيادات الربح المالي للسيطرة على النشاط الاقتصادي والتجارة الربحية في الأسواق بشتى أنواعها، فلا يتم ذلك إلا إن انتشرت آلية العمل بشكل تسلسلي لنفس البضاعة المصنوعة للإسراع في الإنتاج دون الاهتمام بأنها طريقة للإسراع أيضا في القضاء على الذات الإنسانية.

نتوقف عند شخصية آمنة وبقية العملات في علاقتهن برئيسة العملات، وقد تم تجاهلهن وإثبات الصراع الطبقي الذي تتسم به العلاقات في الصناعة من صراع وصدام، وذلك بطريقة تمثيل العملات عن طريق تصنيفهن لا بتسميتهن ما عدا واحدة «آمنة» وربما لإحداث اهتزاز لحالة «الأمن» المفقود في «المعمل الكبير». التشديد على التصنيف وذكرهن بـ«العملات» أو استعمال التعداد... والثانية... والثالثة... والرابعة... و...» دون التسمية هو تعبير عن تجريدهن من إنسانيتهن واستبعاد التركيز عليهن كإناس، فتمثيلهن ورد «آليا أو بنويا كعناصر في بنى وسيرورات تنظيمية»⁽⁴⁶⁾ فهذا التجاهل والتعامل معهن كأرقام يضاعف مفهوم التشيؤ الذي حلل مظاهره التحليل النقدي للخطاب وقاومه وكشف عن صورة الحقيقة للتقنية و«العقل الآداتي» في العصر الحديث.

■ ظاهرة التشيؤ

العقل الآداتي حسب هذه النظرية هو أن يجعل الإنسان العقل مسخرا لكل ما هو مادي ولا ينظر للعناصر المحيطة به ولا يحللها إلا من منطلق الاستفادة منها، وجعل العقل الأداة المسيطرة عليها فتخدمه وتلبى حاجيات هو يبتدعها لا طبيعية فيه، وعندها يشكل طبيعة جديدة يحيا بها دون اعتبار للجوانب الإنسانية والأخلاقية، فأصبح تعامله مع ما يحيط به معاملة الأشياء ومنه جاء مفهوم التشيؤ. فلا نظن أن بعض الشخصيات الفاعلة في نص ما ومنهم صاحب المصنع ورئيسة العملات قد اختلفوا عن هذه الصورة للتعامل مع الإنسان «الشيء» في نظرهم.

(46) فيركلاف، تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، 285.

ظاهرة التشبيـؤ

- قيّدتها الآلة الضخمة تقييداً
- حُشرت في مكان ضيّق
- تشغّل (الآلة) وتراقبها وتقوم معها بحركات تتكرّر في رتبة آلاف المرات كل يوم
- تتحرّك الآلة من الخلف إلى الأمام فتُصاحبها الفتاة بعينيها ويديها وبكامل جسدها. تميلُ إلى اليسار فتميل معها، تعلو فتعلو (مصيرها متعلّق بالآلة)، وتنزل فتتنزل مثلها، تدور في كل الاتجاهات فتلاحقها في سباقٍ (إحالة إلى الزمن والسرعة في الفعل ونسق الحياة) لا نهاية له.
- لقد تعودت مع زميلاتِها ذلك العمل المُتعب والحرارة والأزيز والوقوف والانحناء...» (رتابة)

هذه قرائن نصيّة ناتجة عن الظاهرة الأولى (العمل المتسلسل) ذات الطابع الصناعي المملّ المتعب، فخضوع العاملة إلى نسق مُضنّ لإنجاز عملها جعلها خاضعة لقيّد تسلّطه عليها «الآلة الضخمة». وقد تواترت عبارات الضغط واللاوعي بما تقوم به إذ تحوّلت الواحدة منهنّ إلى نسخة لآلة من آلات المصنع، انظر إلى إحدى صور التشيؤ الساطعة من خلال «تحرّك الآلة من الخلف إلى الأمام فتُصاحبها الفتاة بعينيها ويديها وبكامل جسدها. تميلُ إلى اليسار فتميل معها، تعلو فتعلو (مصيرها متعلّق بالآلة)، وتنزل فتتنزل مثلها، تدور في كلّ الاتجاهات فتلاحقها في سباقٍ (إحالة إلى الزمن والسرعة في الفعل ونسق الحياة) لا نهاية له». لو حاولنا التقاط العبارات التي مثّلت بؤرة التمثيل الدلاليّ لوضعيّة العاملة وتحولها إلى آلة، لوجدنا مثلاً أنّ ما تعمّدنا تسطيره يثبت ذلك الارتباط الشديد بالآلة في عمليّة «مصاحبة» و«ملاحقة» و«صعود» و«نزول» لا تنتهي، فيكون أثرها بليغاً على ذات العاملة التي تغيب عنها خاصيّة تلك الدّات فقط لأنّها «تعودت مع زميلاتِها ذلك العمل المُتعب والحرارة والأزيز والوقوف والانحناء». وفعلُ التعود هو غياب كلّيّ للعقل والوعي بما ينجزه الجسم فتحوّله تلك العادة إلى آلة تشغل لا غير «وتقوم معها بحركات تتكرّر في رتبة آلاف المرّات كلّ يوم». وهنا تكمن الخطورة حيث تفقد الدّات البشريّة صفاتها الطبيعيّة

لتصطبغ بصفات الآلة ومنها تتحوّل إلى واحدة من تلك الأشياء الموجودة في قاعة المعمل الكبير الذي يملكه صاحب المصنع. فلا ينظر إليها إلا بما توفّره من منتج وما تساهم به من مدخول ماديّ فهي الأداة وما تنتجه هو الغاية.

توضّح هذه القرائن النّزعة العقلانيّة التي ارتبطت بفكرة السيطرة على الطّبيعة ثمّ على الإنسان أيضا بعد جعل التقنية والعلوم تعمّ حتى تشمل الإنسان وتسيطر عليه وتستوعبه، إذ أصبح يعيش الاغتراب والتشيؤ بفقد حرّيته واستقلاله الذاتيّ تحت غطاء التحرّر والاستقلال الماديّ عبر توفير المتع والاستهلاك الحرّ (في ظاهره). إذن فالعقلانيّة «الأدائيّة»، هي عبارة عن نمط من المعرفة تقوم بتوظيف العقل وتوجيهه نحو كلّ ما هو عمليّ وهو المنحى الذي قصد به مفكّرو مدرسة فرانكفورت: نوع التفكير السائد في المجتمع الحديث والذي وصفه ماركيز بالتفكير «ذي البعد الواحد» الذي يتّضح بأجلّ صوره في أسلوب التفكير العلميّ والتقنيّ لهذا المجتمع وتجريده من كلّ سماته الإنسانيّة الأخلاقيّة ذات الأبعاد الفنيّة الإبداعية. وابتعاد الإنسان عن إنسانيّته والجانب الطبعيّ المبدع فيه جعله يحيا حياة «تتجاوزها تقابلات ونزعات أنتجت انفصام المجتمع بين فكرين: مستنير وعقلانيّ وديمقراطيّ من جهة، وواقع استلابيّ، إقصائيّ مأساويّ من جهة ثانية. فمفهوم الحداثة يحمل في ذاته بنية تناقضيّة وحركيّة ذات اتجاهات متعارضة».⁽⁴⁷⁾ وهو أمر تناوله رّواد التحليل النقدي للخطاب مثل ما نجده عند جورج لوكاتش الذي يعتبر كلّ ما أحدثته نظم الاقتصاد الرأسماليّ هو السبب الرئيسيّ لنشأة ظاهرة التشيؤ في المجتمع ودخول الإنسان في نمط من العيش أثر في حياته وتعامله مع مكّونات التبادل الاجتماعيّ في العصر الرّاهن.

ضمن هذا السياق يقول لوكاتش: «وتنفصل هذه الأشياء عن الإنسان، رغم أنّ جوهرها مرتبط بعمل الإنسان، فتنعكس القضية الأصليّة، فبدلا من أن يتحكّم الإنسان في الأشياء المحيطة به مثل المصانع، والبنوك، تتغيّر هذه الأشياء، وتتحكّم

(47) عامر عبد زيد، الحداثة ومازقها في مدرسة فرانكفورت (دمشق: دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، 2013)، 17.

في حياة البشر، وبدلاً مما كان يفعله الإنسان في العصور القديمة حيث كان يحاول تعديل الطبيعة من حوله لتتفق مع حاجاته، أصبح الإنسان يحاول أن يوائم نفسه مع الأشياء المحيطة به، ومن ثم أصبحت الأشياء هي التي تصوغ حياة الإنسان وليس العكس، كما كان سائداً⁽⁴⁸⁾ وهو أمر نجد له صدهاء في نصّ (السلسلة الجهنمية)⁽⁴⁹⁾ باعتباره عيّنة لحياة فردٍ كادح ينتمي لطبقة ضعيفة في المجتمع، وهي الطبقة التي أراد منها لوكاتش أن تعي بالهيمنة المسلّطة عليها وتدرّك مرحلة الشيء التي بلغتها حتى تتمكّن من تغيير وضعها وبلوغ وضعيّة أفضل إذ أنّ مرحلة الوعي عنده أهمّ مرحلة في التغيير والتحرّر من هيمنة أصحاب المال.

خاتمة

إنّ قضية المنهج النقدي يحتلّ مساحة كبيرة في مجال البحوث اللسانية ومنها مناهج البحث في التحليل النقدي للخطاب. إذ تشغل تحديد الرؤية النقدية فيه. فالقراءة الناقدة تشترط تحققَ فائدة لا تحصل إلّا في «ضوء توفّر البعد المنهجي المتأسس على رؤية نقدية واضحة وعميقة، فإن العلاقة بين الفضاء المنهجي العام الذي تتمظهر فيه الملامح النظرية للمنهج وحساسية الإجراء القرائي بآلياته ومستوياته وطرائق اشتغاله، يجب أن تكون جدلية بأعلى مستوى ممكن وبأمثل صورة متاحة. لأنّ افتقار العلاقة إلى هذا المستوى من الاندماج من شأنه أن يحدث شرخاً أكاديمياً عميقاً بين منطقة الفضاء النظريّ ومنطقة التطبيق الإجرائي»⁽⁵⁰⁾.

يوفق التحليل النقدي للخطاب حسب المقاربة الاجتماعية لفيركلاف، بين محطّات ثلاث للتحليل، تتمثل أولاً في وصف الممارسة النصيّة، ثم تحليل الممارسة الخطابية، وأخيراً تفسير الممارسة الاجتماعية. وهذه المقاربة تدرس العلاقة الجدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع، وهي تسعى بجديّة لكشف مظاهر

(48) جورج لوكاتش، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة حنا الشاعر (بيروت: دار الأندلس، 1989)، 77.

(49) عالم القراءة، كتاب النصوص لتلاميذ السنة السادسة من التعليم الأساسي، 83.

(50) محمد صابر عبيد، النظرية النقدية - القراءة، المنهج، التشكيل الأجناسي (بيروت: الدار العربية ناشرون، 2015)، 59.

السلطة التي تُمارس عبر مداخل شتى في الخطاب. هي مقارنة تعتبر اللغة وسيطا فاعلا يوظفه صاحب السلطة للهيمنة على المستوى الاجتماعي. ومن ثمّ يتحقّق هدف التحكم في الاختيارات والمواقف لدى الأفراد. فمن خلال تفكيك البنى اللغوية للنصوص وتحليل عناصر السياق والعلاقات التفاعلية بين المشاركين في الخطاب وسبر أغوار العلاقات اللسانية الضمنية ينكشف لمحلّل الخطاب أنواع السلطة الممارّسة وخطورتها وتأثيرها في البنى الاجتماعية.

هدف محلّل الخطاب هو الكشف عن السلطة الممارّسة من خلال تفكيك البنى اللغوية للنصوص وشبكات علاقاتها اللسانية الداخلية، وتحليل عناصر السياق والعلاقات التفاعلية بين المشاركين لتحديد الذوات والمواقع والمرجعيات الأيديولوجية، ثمّ فضح السلطة المتوارية خلف الاختيارات اللغوية على الصعيد الاجتماعي. لذلك فإنّ ما تتجاوز به هذه المقاربة سابقاتها في نظرية تحليل الخطاب هو دراسة كيفية تحقيق الاستعمال اللغوي المخادع الذي يخدم الأيديولوجيات، والتّوافق إلى السيطرة على مناطق القرار في البنى الذهنية لدى الفئات المستهدفة وليس الاقتصار على تحليل المضمون فقط، ذلك أنّ هدفه إمالة اللثام عن سبل الهيمنة الفكرية والمادية للأفراد التي تُحدث في نمط حياتهم تغييرا يسبب في تغيير في مواقفهم وسلوكاتهم وهُويّاتهم. فالتحليل النقدي للخطاب قدّم إضافة مؤثرة في التفكير والنظرة للخطاب في حد ذاته، فطوّرها فكرا ومنهجيا إذ حوّل الأسئلة عن المعلومات الحقيقية في الخطاب إلى البحث والكشف عن حقيقة تلك المعلومات والبحث عن الظروف والسياقات الاجتماعية والنفسية والتاريخية التي أنتجت ذلك الخطاب والكشف عن كيفية استعمال الظواهر اللغوية ليكون للخطاب أثره في المتلقي بالشكل المرجو من منتجه.

المصادر والمراجع العربية

- بغورة، الزواوي. الخطاب بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشال فيكو دراسة ومعجم. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون صائغ، 2015.
- زايد الطيب، مولود. علم الاجتماع السياسي. الزاوية: منشورات السابغ من أفريل، 2007.
- صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1978.
- عبيد، محمد صابر. النظرية النقدية- القراءة، المنهج، التشكيل الأجاسي. بيروت: الدار العربية ناشرون، 2015.
- عبد زيد، عامر. الحداثة ومازقها في مدرسة فرانكفورت. دمشق: دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.
- عالم القراءة. كتاب النصوص لتلاميذ السنة السادسة من التعليم الاساسي، تأليف محرز بلعيد وآخرون. تونس: وزارة التربية، المركز القومي اليبداغوجي.
- العروي، عبد الله. مفهوم الايديولوجيا. الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي، 2012.
- فوكو، ميشال. حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1987.
- فيركلاف، نورمان. تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، تعريب طلال وهبة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009.
- فيركلاف، نورمان. الخطاب والتغير الاجتماعي، ترجمة محمد عناني. القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2015.
- فان دايك، توين. الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، تقديم عماد عبد اللطيف. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014.
- فان دايك، توين، «من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي: سيرة ذاتية أكاديمية موجزة»، ترجمة أحمد صديق الواحي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 77 (2010): 36.

- لوكاتش، جورج، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة حنا الشاعر. بيروت: دار الأندلس، 1989.
- مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008.
- عبيدي، منية. محاضرات في علوم الخطاب. تونس: جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، السنة الجامعية 2020 - 2021.
- مكدونيل، ديان. مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة وتقديم عز الدين اسماعيل. القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 2001.

المصادر والمراجع الأعجمية

- Petitclerc, Adèle. «Introduction aux notions de contexte et d'acteurs sociaux en Critical Discourse Analysis». Semen Revue de sémio-linguistique des textes et discours, N° 27 (2009), <https://doi.org/10.4000/semen.8540>
- Benveniste, Emile. *Problème de Linguistique générale*. Paris: Edi. Gallimard, Tome. I, 1966.
- Fairclough, Norman. *Critical discourse analysis, The critical study of language*. London and New York: Longman, 1995.

وثيقة النص للمثال التطبيقي في الخطاب التعليمي



كانت أمينة جالسة في قاعة المعمل الكبير أمام آلة قص القماش الكهربائيّة. توضع أمامها لفافات قماش وإريد من الخارج قد رُسِمَتْ عَلَيْهِ أشكالٌ دَقِيقَةٌ لقميصٍ مُوحَّدٍ، فَحَرَكَ فِيهَا الشُّفْرَةَ الْحَادَّةَ مُتَّبِعَةً الْخُطُوطَ. وَحِينَ تَفْرَغُ مِنْ مُهِمَّتِهَا تَأْخُذُ عَامِلَةً أُخْرَى الْقِطْعَ فَتَضَعُهَا فِي عَرَبَةٍ وَتُزَعِّعُهَا عَلَى بَقِيَّةِ الزَّمِيلَاتِ. هَذِهِ تَخِيطُ الصَّدَارَ، وَتِلْكَ الْأَكْمَامَ، وَثَالِثَةٌ تُرَكِّبُ الْأَزْرَارَ، وَرَابِعَةٌ تَكْوِي، وَخَامِسَةٌ تُرَاقِبُ، وَسَادِسَةٌ تُرَصِّفُ الْقَمِيصَ الْجَاهِزَ فِي صُنْدُوقٍ قَبْلَ أَنْ يَوْضَعَ فِي شَاحِنَةٍ وَيُرْسَلَ عِبرَ أَلْمِينَاءِ لِيُبَاعَ فِي أَسْوَاقٍ خَارِجِيَّةٍ أَوْ يَعودَ إِلَى الْبِلَادِ سِلْعَةً أجنبيّةً. كَثُرَتْ تَنَقُّلاتُ رَئِيسَةِ الْعَامِلَاتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ بَحْثًا عَنْ مَزِيدِ السَّرْعَةِ فِي الْإِنْجَارِ «إِنَّمَا مُرْتَبَطُونَ بِالتَّزَامَاتِ وَوُعودٍ مَعَ الْأَسْوَاقِ، وَلَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ مَا نَعْمَدُنا بِهِ مَعَ الْحَرَفَاءِ حَتَّى لَا يَهْرُبُوا عَنَّا، فَالْمَرَّاحِمَةُ، كَمَا تَعْلَمُنَ، شَدِيدَةٌ!». كَانَتْ أَمِينَةُ فِي الْمَصْنَعِ

تَلَهَتْ وَرَاءَ الزَّمَنِ، تُرِيدُ أَنْ تُنْسِكَ بِهِ فَيَقْلِتُ مِنْهَا. حُشِرَتْ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ، وَقَيَّدَتْهَا
آلَةُ الصُّخْمَةِ تَقْيِيدًا. كَانَتْ تُشْغَلُهَا وَتُرَاقِبُهَا وَتَقُومُ مَعَهَا بِحَرَكَاتٍ تَتَكَرَّرُ فِي رَتَابَةِ
آلَافِ الْمَرَاتِ كُلِّ يَوْمٍ. تَحْرُكُ الآلَةُ مِنَ الْخَلْفِ إِلَى الْأَمَامِ فَتُصَاحِبُهَا الْفَتَاةُ بِعَيْنَيْهَا
وَيَدَيْهَا وَبِكَامِلِ جَسَدِهَا. تَمِيلُ إِلَى الْإِسَارِ فَتَمِيلُ مَعَهَا، تَعْلُو فَتَعْلُو، وَتَنْزُلُ فَتَنْزُلُ
مِثْلَهَا. تَدُورُ فِي كُلِّ الْأَتَجَاهَاتِ فَتَلَا حَقَّهَا فِي سَبَاقٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ. وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ تَكْسُرَتْ
حَلَقَةٌ مِنَ السَّلْسِلَةِ الْجَهَنَّمِيَّةِ الَّتِي لَا تَرْحَمُ.

لَقَدْ نَعَوَدَتْ مَعَ زَمِيلَاتِهَا ذَلِكَ الْعَمَلَ الْمُتَعَبَ وَالْحَرَارَةَ وَالْأَزْيِرَ وَالْوُقُوفَ
وَالْإِنْجِنَاءَ... كَانَ الْعَمَلُ يَسِيرُ عَادِيًا فِي الظَّاهِرِ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تُحِسُّ بِالتَّوَتُّرِ وَالْإِخْتِنَاقِ
يُخَيِّمَانِ عَلَى الْقَاعَةِ الْكَبِيرَةِ. وَاتَّكَبَتِ الْعَامِلَاتُ عَلَى أَكْدَاسِ الْقِمَاشِ وَحَوَّلْنَهَا بِسُرْعَةٍ
مُذْهِلَةٍ إِلَى أَقْمِصَةٍ زَاهِيَةِ الْأَلْوَانِ جَذَابَةٍ. لَكِنْ إِحْدَى الْفَتَيَاتِ نَعَبَتْ مِنَ الْعَمَلِ السَّرِيعِ
فَوَضَعَتْ كَفَّيْهَا عَلَى وَجْهِهَا طَلِبًا لِقَلِيلٍ مِنَ الرَّاحَةِ. وَسُرْعَانَ مَا ارْتَفَعَ صَوْتُ
زَمِيلَتِهَا: «إِنِّي أَنْتَظِرُ قِطْعَتَكَ لِتُرْكِبِهَا!»

الْتَفَتَتْ أَمِينَةُ لِتَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ وَنَسِيَتْ الْمَقْصُ الْكَهْرَبَائِيَّ الْكَبِيرَ الْمُعْلَقَ أَمَامَهَا.
كَانَ يَسِيرُ عَلَى الْقِمَاشِ كَمَا اتَّفَقَ... وَتَحَرَّكَتِ الشُّفْرَةُ الْحَادَّةُ فِي اتِّجَاهِ الْكِفِّ الْيُمْنِيِّ
الْمُنْبَسِطَةِ الْآمِينَةِ الضَّاعِطَةِ عَلَى الْقِمَاشِ، وَدَاهَمَتْهَا فِي لَمَحِ الْبَصْرِ. أَحَسَّتْ أَمِينَةُ
بِصَدْمَةِ الشُّفْرَةِ عَلَى يَدِهَا فَجَذَبَتْهَا بِسُرْعَةٍ...

مبدأ الاسترسال

ومسالك المعنى في الخطاب

د.عربية اليفرنى

مخبر المباحث الدلالية واللسانيات الحاسوبية (LR18ES46)

كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة

الملخص

ينتج المتكلم الخطاب أثناء استعماله للغة فيتجاوز فيه مجرد التجميع البسيط للكلمات إلى استبطان وعيه بالعالم المحيط به والمتضمن للمقاييس الجماعية المتراكمة بالتجربة والتعايش وسط المجموعة البشرية. ويشترط نجاح التواصل فيه حسن التنضيد والاتساق والانسجام عبر التوليف بين التركيب وبناء المعنى. وساهمت النظريات اللسانية من مختلف مواقعها في ضبط المبادئ الأساسية التي وضحت مفهوم الخطاب بإضاءة جوانب منه ولم يشذ منوال النحو الإدراكي عن ذلك وهو فرع من نظرية اللسانيات الإدراكية تبلور مع «رونالد لانفاكر» الذي أسس له سنة 1987.

إدراكياً يتكوّن الخطاب من سلسلة من أحداث الاستعمال المحكومة بمبدأ الاسترسال ويتكوّن كلّ حدث استعمال من قطبين الأوّل تعبيريّ والثاني مفهوميّ، ويتكوّن كلّ قطب من مجموعة من القنوات ورغم اختلاف القطبين إلا أنّهما وجهان متلازمان للخطاب.

سنحاول في هذه الورقة العلمية تبين مبدأ الاسترسال ودوره في التدرّج من البساطة إلى التركّب في الخطاب إضافة إلى السعي إلى تبين خصائص الخطاب في النحو الإدراكي، بنية وانتظاما ومكونات وكيفية تفاعلها لرسم مسالك المعنى.

الكلمات المفتاح: الخطاب / القطب التعبيريّ / القطب المفهوميّ / الاسترسال

/ تجريد خطاطيّ / النحو الإدراكيّ.

Abstract

In language use, the speaker produces discourse not as a mere linear aggregation of words, but as a process grounded in the internalization of their awareness of the surrounding world, an awareness that incorporates collectively shared standards sedimented through experience and social coexistence within the human community. Successful communication, therefore, presupposes appropriate structuring, cohesion, and coherence, achieved through the integration of syntactic organization and meaning construction.

Linguistic theories, from their various perspectives, have contributed to identifying the fundamental principles that clarify the concept of discourse by shedding light on its different aspects. Cognitive Grammar is no exception in this regard. As a branch of Cognitive Linguistics, it was developed by Ronald Langacker, who laid its foundations in 1987.

From a cognitive perspective, discourse consists of a series of **usage events** governed by the **principle of continuity (sequentiality)**. Each usage event is composed of two interrelated poles: an **expressive (phonological) pole** and a **conceptual (semantic) pole**. Each pole comprises a set of channels, and despite their functional distinction, the two poles remain inseparable facets of discourse, jointly constituting symbolic structure.

In this paper, we aim to examine the principle of continuity and its role in the progression from simplicity to complexity in discourse. We also seek to identify the properties of discourse within Cognitive Grammar, in terms of its structure, organization, components, and the manner in which these elements interact to delineate pathways of meaning construction.

Keywords: Discourse / expressive pole / Conceptual pole / Continuum / Schematization / Cognitive Grammar

الإطار النظري

اخترنا في هذه الورقة البحثية التّموّج في إطار نظريّ لسانيّ إدراكيّ وتحديدًا منوال النّحو الإدراكيّ الذي يقوم على ما تمليه التجريبيّة من أساس حسّي جسديّ ومن تجربة ينصهر فيها الفرديّ والجماعيّ المتضمّن للاستعمال والتّفاعل مع

المحيط وهو إطار قشطلتيّ شامل أساسه شبكة من التداخلات بين العلوم منها البيولوجي العصبي الإحيائي والنفسي والاجتماعي إذ لا انفصال بين اللغة وبقية الملكات لأنّ المعنى موسوعيّ مرتبط بالإدراك والتجربة الحسّ حركيّة والتفاعل الاجتماعي والثقافي لذلك تتداخل العلوم في أدواتنا ومبدؤنا الاستفادة من النتائج الثابتة في علومها والانخراط في إزالة الحدود بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعيّة والصّحيحة.

المقدمة

تجتهد النظريات اللسانية على اختلاف مرجعيّاتها في تفسير طرق انتظام المعنى في الذهن وما يتعلّق به من عمليّات إدراكيّة في مستويات مختلفة للإنجاز انطلاقاً من مستوى المفردة ثمّ المركّب ثم الخطاب مروراً بالجملة وانطلاقاً من هذا المبدأ تسترسل الوحدات اللسانية من أدنى درجات التركّب إلى أقصى درجاته، ويتغيّر المجهود الذهنيّ لإدراك المعنى بتغيّر درجة التركّب. لذلك سنسعى إلى البحث في مفهوم الاسترسال في النحو الإدراكي ودوره في بناء المعنى وفتح مسالكه في الخطاب. وهي محاولة للبحث في سبل نجاعة التواصل البشريّ في مختلف أشكاله التعبيريّة إذ يتخذ أشكالاً يصعب حصرها شفوياً كانت أو مكتوبة، فيجري كلّ من الكلام والكتابة في أجناس متنوّعة.

1. مبدأ الاسترسال⁽¹⁾

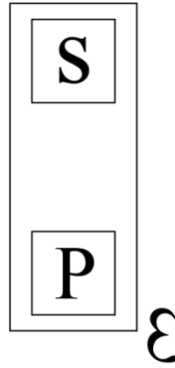
يتعلّق هذا المبدأ بكيفيّة إصدار الأحكام واتّخاذ القرار». تبلور مع «هاموند»⁽²⁾ واستفاد منه اللسانيّون الإدراكيّون في ضبط العلاقات بين مكوّنات المعنى في الاستعمال اللّغوي «بتجاوزنا لتصنيف التعميمات نجد مسترسلاً متنوّعاً يتضمّن مستويات التحليل اللّغويّ التقليديّة من تصويت وعلم أصوات وصرف وتركيب

(1) Continuum

(2) Hammond Kenneth, judgment Under Stress(New York: University Press, 2000).

ودلالة وتداولية، هو مسترسل يبدأ من المتصورات الأكثر حسية الى الأكثر تجريدا: من الأصوات الى التداولية.⁽³⁾

تُبنى المعاني بتعالق بين أبنية ثلاث (دلالية⁽⁴⁾ / صوتية⁽⁵⁾ / رمزية⁽⁶⁾). فثالوث المعجم والصرف والإعراب يكون استرسالا، ذلك أنّ الأبنية الرمزية «ليست مختلفة عن الأبنية الدلالية والصوتية ولكنها تشتمل عليهما معا كما يبين في الرسم: تكمن بنية رمزية (ع) في صلة بين بنية دلالية (ك) وبنية صوتية (أ) بوجه تكون فيه الواحدة منها قادرة على استحضار الأخرى.⁽⁷⁾ ولذلك توصف كلّ بنية رمزية بكونها ثنائية القطب.



استنادا إلى هذا المبدأ تنتفي صفة انغلاق النحو على ذاته هو انغلاق وصفه لانفاكر "بحجة الاستقلال الواهية"⁽⁸⁾ وطرح بديلا سمّاه البديل الرمزي.⁽⁹⁾ فهو

(3) Cutting across the taxonomy of generality we find a very different continuum, which includes the traditional analytical levels of linguistics—phonetics, phonology, morphology, syntax, semantics, and pragmatics, ranging from the most concrete (phonetics) to the most abstract (pragmatics)Hudson, Richard: The Routledge Handbook Of Cognitive Linguistics, (New York 2021), p114

(4) Semantic structure

(5) Phonological structure

(6) Symbolic structure

(7) لانفاكر، رونالد، مدخل في النحو العرفاني، ترجمة الأزهر الزناد (تونس: معهد تونس للترجمة، 2018)، ص 35.

(8) نفسه ص 313

(9) Symbolic Alternative

يتصور المعجم والتركيب والصرف مسترسلا غير قابل للتجزئة. وهو استرسال قابل للاختزال التام «في تجميعات من الأبنية الرمزية، وإذا ما كانت هذه الفكرة صالحة مثلت توحيدا مفهوميًا أساسيًا»⁽¹⁰⁾

وهو أساسي في المقولة في منوال النحو الإدراكي، وبناء على ذلك ينتفي فيها الثبات فهي مرنة في حدودها متحوّلة قائمة في بنائها على «البروز الإدراكي»⁽¹¹⁾ لذلك يعكس المعنى معرفة لغوية متعلقة مع معرفة العالم المتضمنة لتفاعل مخزون المعرفة البشرية، والسلوك الإنساني، والعلاقات والخبرات. وتتألف هذه العناصر لتشكّل التصوير الذهني في إدراك جشطلتي يكون المعنى فيه لا في الدلالة المعجمية فحسب، بل في انبائها في سياق التلفظ بمقتضى مبدأ الاسترسال.

2. الخطاب في النحو الإدراكي

أسست نظرية النحو الإدراكي فرضياتها الأساسية على اللغة في الاستعمال، على اعتبار أنّها تتجاوز الوظيفة المرجعية إلى وظيفة تداولية تختلف حسب القصد أو الهدف الذي من أجله يسوق المتكلم خطابه وعرفه لانفاكراً بأنه «الحيز الذي تلتقي فيه البنية، والاستعمال، والاكتساب، والتقاء واحداً. فاللغة تتعلّم من خلال استعمالها التفاعلي في المقامات الاجتماعية، ولذلك يكون انبثاقها من الاستعمال والتفاعل الاجتماعي، عاملاً مفتاحاً في وصف البنية اللغوية»⁽¹²⁾

على هذا الأساس يقتضي الخطاب لتحقيقه حضور ملكات متداخلة في إنشائه هي ملكات تحدّث عنها فان دايك⁽¹³⁾ هي :

- الملكة النحوية وهي القواعد اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وتركيب

- الملكة المنطقية

(10) المصدر نفسه، 34.

(11) Cognitive Prominence

(12) المصدر نفسه، ص 749

(13) Dick Van ;Text And Context; London; Longman; 1977

-الملكة المعرفية

-الملكة الإدراكية

-الملكة الاجتماعية: لا يملك المتكلم القدرة على إنتاج الخطاب فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى معرفة كيف يقوله لسامع معين في موقف تواصلية معين لتبليغ رسالة معينة.

وتقودنا هذه الملكة الأخيرة الى انفتاح الخطاب على الإدراكية الاجتماعية. لأنّ المتكلم ينجز خطابه وهو على وعي تامّ بأربعة عناصر موجهة لاستراتيجياته التواصلية وهي

-ماذا أريد أن أقول؟

-إلى من أتوجه بالخطاب

-كيف أخاطبه؟

-لماذا أخاطبه؟

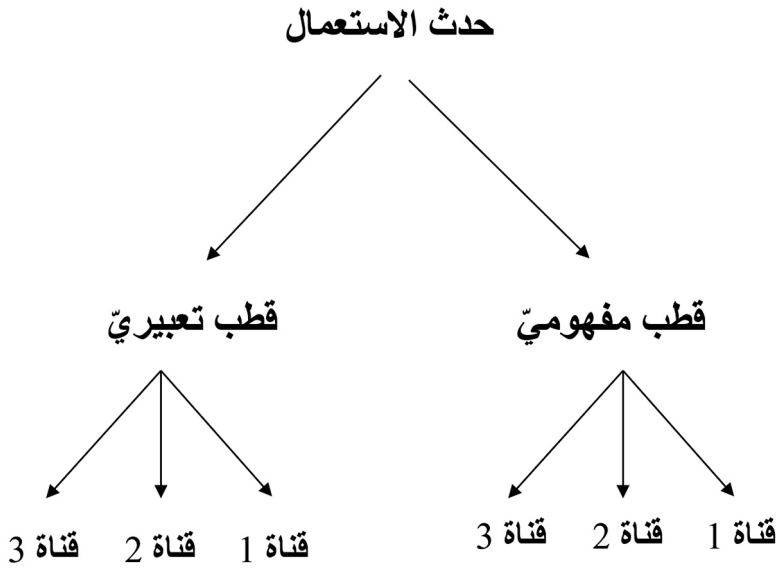
يؤصل الخطاب المناويل الثقافية التي تعدّ أداة لتمثّل الكون. لذلك تمثّل الإدراكية الاجتماعية مظهرا من مظاهر التقاء الخطاب والمجتمع والمتكلم بما يحتويه من انتماء ثقافي واجتماعي: «تمثّل الإدراكية الاجتماعية التصافح ما بين الخطاب والمجتمع وما بين الأفراد المشاركين في الحدث التواصلية والفئات الاجتماعية التي ينتمون إليها كما تمثّل جملة الاستراتيجيات الجماعية والتمثيلات المشتركة التي توجّه إنتاج الخطاب وتحكم تأويله»⁽¹⁴⁾

تتفاعل هذه العناصر في عملية الإنشاء لتحقيق نجاعة تواصلية مع السامع وضبط لانقار مكوّناته في نظرية النحو الإدراكي فجعله متكوّنًا من سلسلة من أحداث الاستعمال ويتكوّن كلّ حدث استعمال من قطبين الأول تعبيرى والثاني مفهومي ويتألف كلّ قطب من مجموعة من القنوات ورغم اختلاف القطبين

(14) Van Dijk, Principles Of Critical Discourse, Analysis Discourse And Society, (1993), p119

<https://doi.org/10.1177/0957926593004002006>

ألا أنّهما وجهان متلازمان مسترسلان لحدث الاستعمال «يتضمّن الخطاب سلسلة من أحداث الاستعمال وهي عيّنات من إجراء اللّغة بما فيها من التّعقّد والخصوصيّة وليس لحدث الاستعمال أيّ حجم مضبوط.»⁽¹⁵⁾ فعملية التّواصل البشري تستبطن العنصر الجماعي المشترك بين المتكلّم والسّامع الذي يمثّل مكوّنًا أساسيًا في عملية التمثّل والفهم.



«لكل حدث استعمال قطب ثنائيّ يتكوّن في آن من المفهومة ومن وسائل التعبير.»⁽¹⁶⁾

1.2. القطب التعبيريّ

يشتمل القطب التعبيري على مجموعة من القنوات هي:

* القناة الإشاريّة المتضمّنة للإشارات اليدويّة وتعابير الوجه وهيأة الجسد. وهي مكوّنات متواضع عليها في المجموعة اللغويّة، ومحلّ تنسيق مع سائر العمليّات اللغويّة. لأن الطريقة التي يقال بها الشيء، تعد جزءاً ممّا يقال

(15) لانفاكر، 2018، ص 749

(16) لانفاكر، 2018، ص 750

أثناء عملية التّواصل. «وتتفاعل المكوّنات اللسانية وغير اللسانية، فتنتج بنية لسانية معيّنة خاصّة بدرجة التّفاعل الذي يحدث في كلّ عمليّة تلفّظ وهو ما يجعل دراسة التسلسل لا تقف عند المظهر اللساني فقط وإن كان يمثل الأساس في نسيج المحادثة»⁽¹⁷⁾. فحركات الجوارح والأطراف وحركة الرأس وطريقة الإداء قد تفوق قيمتها أحيانا قيمة العناصر اللسانية. وتمثّل هذه القناة العنصر الرئيسي في لغة الإشارة. «إن المحادثة في جوهرها نشاط لساني وحركي، تؤدي فيها الحركات دورا أساسيا في عملية الترابط»⁽¹⁸⁾

* القناة الصّوتيّة القطعيّة المتضمّنة لسلاسل الأصوات أو الصّواتم التي يتألّف منها خطاب ما.

* قناة المادّة العروضيّة التي تتكوّن من «الظواهر ما فوق القطعيّة من قبيل التّبرّة والنّغمة والتّجميع الإيقاعي ومنحنيات التّنغيم»⁽¹⁹⁾. وترابط هذه القناة في استرسال في حدث الاستعمال بشكل واضح.

2.2. القطب المفهومي

يمثّل القطب المفهومي في الفهم السياقي التّام لعبارة ما «ما الوحدات اللغويّة التواضعيّة إلّا موردا واحدا من كثير يشغل في أحداث الاستعمال فخلال التكلّم والفهم نعتد على مجموعة كبيرة من معرفتنا ومن قدراتنا الدّهنيّة ومن المهارات التّفاعليّة بين الأشخاص ومما يكون أساسيا كذلك إدراكنا للمقام الذي يمثّل الخطاب الجاري وجها منه»⁽²⁰⁾ ويتكوّن هذا القطب من:

* القناة الرّئيسيّة وهي الوضعيّة التي يجري وصفها «إذ يمثّل دور هذه الوضعيّة في كونها موضوعا للوصف يمكننا أن نطلق عليها المادّة المضمونيّة»⁽²¹⁾. وتتكوّن

(17) الميساوي، خليفة، الوسائل في تحليل المحادثة، دراسة في إستراتيجيات الخطاب، (الأردن: عالم الكتب الحديث، ط 1 2012)، ص 208

(18) الميساوي، 2012، ص، 208

(19) لانفاكر، 2018، ص 756

(20) لانفاكر، 2018، ص 750

(21) المصدر نفسه، ص 757

هذه المادة المضمونيّة في ذاتها من عناصر مركزيّة وأخرى طرفيّة. فالمركز هو معروض العبارة ومركز البؤرة ومداها المباشر المائل على ركب الذّهن. أمّا الأطراف فهي العناصر الأقلّ بروزا.

❖ القناة الثّانية وتتكوّن من مجموعة من العوامل المختلفة التي يصطلح عليها بالبنية الإخباريّة «الإخبار بما إذا كان شيء ما معطى أو جديدا مبالاً أو غير مبالٍ محوّرًا للخطاب أو لا وهكذا دواليك.»⁽²²⁾

❖ القناة الثّالثة وتتعلّق بتصريف الخطاب «يندرج في هذه الخانة على وجه الخصوص المفاهيم التفاعليّة من قبيل التّناوب في الكلام ورغبة المتكلّم في الحفاظ على دوره فيه ومدّ السّامع بعناصر التّرديد والتّقوية.»⁽²³⁾

يتجلّى بوضوح التّشعّب في الخطاب وفي بنية مكوّناته من قطب تعبري ومفهومي وإدراكيّة اجتماعيّة وما الفصل بينها إلّا لغاية منهجيّة.

3. الخطاب ومبدأ الاسترسال

في الخطاب تتربط الوحدات اللاحق منها بالسّابق، لأنّه لا يمكن تصوّر المعنى إلّا عبر تبيّن أساسه الذي يركّز عليه والعلاقات الرّابطة بين مكوّناته الجزئيّة لتشكّل كلّ متكاملًا ينجح المتكلّم عبره في إنشاء قصده وينجح السّامع في فكّ شفرة ذلك القصد.

لا يعدّ هذا المبدأ حكرا على الخطاب المكتوب فحسب، بل قد يتجاوزه إلى الشّفوي من قبيل المحاضرات أو حتى المحادثات العفويّة، فهي تكون خاضعة في بنيتها إلى تخطيط وتنظيم يمثّلان نوافذ متتابعة للانتباه «هذه الأطر لا يجري تمثيلها بطريقة آليّة في الكتابة فهي في الغالب سمة للغة المنطوقة تعكس قيود المعالجة خلال إنتاج الكلام في الزّمن الحقيقيّ لذلك لا تدرج أطر الانتباه بوضوح في المخطّط التقليدي القائم أساسا على الكتابة التي بمقتضاها تتوالف

(22) المصدر نفسه ص 757

(23) المصدر نفسه ص 757

الكلمات في مركّبات جزئية والمركّبات الجزئية في مركّبات جمليّة والمركّبات الجمليّة في جمل والجمل في نصوص أطول.⁽²⁴⁾

ويقتضي نجاح التّواصل أن يكون الخطاب سلسلة من التّصورات المتعاقبة، إذ «ليس الخطاب مجرد سلسلة من الكلمات أو المركّبات الجمليّة أو الجمل هو كذلك وبصفة أساسيّة سلسلة من التّصورات المقترنة بتلك الأشكال وليست تلك التّصورات معزولة متفصلة، بل على عكس ذلك تنبثق الواحدة منها من سابقتها وتتطوّر منها بوجه تشكّل فيه يتقدّم الخطاب بنية مفهوميّة مندمجة ذات تركّب⁽²⁵⁾ متزايد على التّدرّج⁽²⁶⁾». فما المقصود بالترّكّب المتزايد على التّدرّج؟

يعني التّدرّج مساهمة كلّ بنية سابقة بشكل أساسي في الطّبعة التّحتيّة المفهوميّة⁽²⁸⁾ للبنية اللاحقة، إذ تحتفظ الذاكرة في كلّ مرحلة ببعض ما سبق أثناء عمليّة تنامي الخطاب. فتذكّر العبارات ونستعيد الانبناء الذي تفرضه تلك العبارات على المضمون المستحضر. وتذكّر المضمون الذي تمّ التّعبير عنه أي تلك البنية المفهوميّة التي بنيت بالتدرّج.

يمكن الحفاظ على ذلك المضمون ليصبح جزءاً من المعرفة الموسّعة والمستقرّة في الذاكرة، حتّى وإن نُسيّ مصدرها. وتناسب أنواع هذا الحفظ الذّاكري المفاهيم الجارية في علم النّفس كالذاكرة قصيرة المدى والذاكرة العاملة والذاكرة طويلة المدى. «ينزع الخطاب النّاجع إلى احترام بعض المبادئ الأساسيّة فالأوّل منها أن يبني على ما كان قد أقيم من قبل... حيث توجد نقاط ارتباط مباشرة بالنّسبة إلى العناصر الارتدادية من كلّ عبارة لاحقة ويتمثّل المبدأ الثاني وهو مهمّ في المحادثة خاصّة في أن تقدّم المادّة الجديدة وفق وتيرة يمكن التّحكّم فيها. نجد هنا المبرّر لقسمة الخطاب إلى سلسلة من أطر الانتباه.⁽²⁹⁾

(24) المصدر نفسه، ص 788

(25) complexity

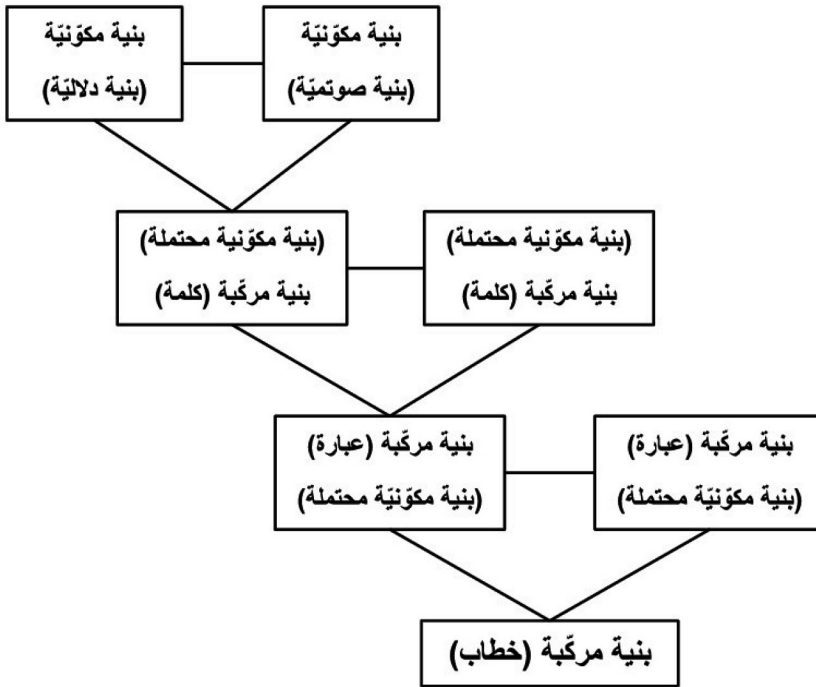
(26) progression

(27) المصدر نفسه، ص 793

(28) Conceptual Substrate

(29) المصدر نفسه، ص 799

إدراكياً يعدّ الخطاب بنية رمزيّة منبثقة عن عمليّة التركّب الرمزي المتمثل في الجمع بين بنية صوتيّة وبنية دلاليّة تصوّريّة ترتبطان بعلاقة الترميز. وتكرّر هذه العمليّة باستمرار فتكون النتيجة الانتقال من مستوى المفردة إلى العبارة إلى الخطاب «وإذا كانت الأبنية المكونيّة حجارة عبور لبلوغ البنية المركّبة يمكن لهذه البنية أن تكون بدورها حجر عبور لبلوغ بنية مركّبة أخرى وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية له وبناء على هذا تحدّد الأبنية الواردة في تجميعة رمزيّة مركّبة مسلكاً تركيبياً يمكن أن يبلغ طوله أي حدّ.»⁽³⁰⁾



⁽³¹⁾ لا تتطلّب مستويات التركّب الدّنيا جهداً إدراكياً كبيراً للإنشاء والتّفكيك لأنها تصوّر راسخ في الدّهن يُستدعى بطريقة لا واعية. وفي المقابل تقتضي مستويات التركّب المعقّدة جهداً ذهنياً كبيراً. لأنها تؤدّي إلى ظهور وحدات

(30) المصدر نفسه ص 275

(31) اليفرنّي، عربيّة، التّجذّر الإبتيميّ في اللّغة العربيّة دراسة نحويّة إدراكيّة (تونس :

دارالكتاب، 2025)، ص 469

جديدة غير راسخة وغير متواضع عليها. وتجلّى هذا التعقّد في ما ذكرناه من بنى مكوّنية يتأسّس عليها الخطاب، وفصل لانفاكر معايير الاسترسال من المفردة الى الخطاب كالتالي

1.3. معيار التّركّب الرّمزي⁽³²⁾

تنوّع الوحدات اللّسانية بين أدنى درجات التّركّب وأقصاها بمقتضى التّدريج وتكون الوحدات البسيطة في أدنى مستوى من هذا البناء المتدرّج وهذا المستوى يمكن المتكلّم من فهمها واستيعابها وإدراك مكانتها في بناء الأبنية المركّبة

2.3. معيار الخطاطيّة⁽³³⁾ والنّمذجة⁽³⁴⁾

في الفرضيّة الإدراكيّة يتحكّم مبدأ الاسترسال في نشأة الخطاب فيمتدّ في علاقة طردية عكسيّة من التجريد الخطاطيّ إلى النّمذجة المتحقّقة بتجدرّ العينة ويمكن هذا التجريد المتكلّم من السيطرة على المعقّد من الخطابات استنادا إلى البسيط منها فتجرّد عناصر التّمائل من المختلف وتستثمر ما يتكرّر. ويتحقّق ذلك بعمليات تصوّريّة يتميّز بها الإنسان عن باقي الكائنات. وفي الجدول الموالي عرض للفوارق الكامنة بين الخطاطيّ المجرّد والنّمودج المعيّن.

الخطاطيّ المجرّد	العينة المجدّرة
مشارك	خاص
التّمائل	الاختلاف
التنظيم	التشّت
راسخ	غير راسخ
تواضعيّ	غير تواضعيّ
بسيط	معقّد
مختصر	مفصل

3.3. معيار الرّسوخ والمواضعة

(32) Symbolic Complexity

(33) Schematicity

(34) Instanciation

تتحوّل بعض التجميعات الرمزية إلى وحدات متواضع عليها في مجموعة لغوية ما وهو تواضع متدرّج إذ نجد عبارات مركّبة على درجة عالية من الرّسوخ كالعبارات الجاهزة من قبيل (كان يا مكان)

وهي تجميعات رمزية تقتضي معالجة حدسية والوحدات الأقل رسوخا ومواضعة يعالجها الذّهن البشريّ معالجة تحليليّة وتنطبق هذه الخصيصة على درجة تركّب الوحدات، إذ كلّما كانت الوحدات بسيطة كانت معالجتها حدسيّة وكلّما كانت أكثر تركّبا يعتمد الذّهن على التحليل لإدراك معناها وبذلك تسترسل الوحدات الرمزية من الحدسي⁽³⁵⁾ إلى التحليلي⁽³⁶⁾

يعكس هذا المبدأ فكرة تدرّج التمثيل الإدراكي للخطاب الذي يبدأ بسيطا ثم يتعقد تدريجيا بإدخال تفاصيل ومكونات إضافية.

وفي الجدول التالي توضيح لمعايير الاسترسال⁽³⁷⁾ واختلافها بين الوحدة الرمزية البسيطة والوحدة الرمزية المركّبة

الاسترسال		المعايير
الوحدة الرمزية البسيطة >-----< الوحدة الرمزية المركّبة		
درجة دنيا من التركّب	درجة قصوى من التركّب	التركّب
تواضع قويّ	تواضع ضعيف أو غائب	مبدأ التّواضع
رسوخ قويّ	رسوخ ضعيف	الرّسوخ المفهوميّ
جهد إدراكيّ بسيط	جهد إدراكيّ قويّ	الجهد الذّهنيّ

تتحقّق هذه المعايير بقدرة الذّهن البشريّ على التجريد . إذ تخوّل لنا هذه القدرة التحرّر مما هو معقّد إلى ما هو بسيط ومما هو خصوصيّ إلى ما هو مشترك.

(35) Intuitive

(36) Analytic

(37) البفرني، عربيّة، التّجذّر الإبستيميّ في اللّغة العربيّة دراسة نحوية إدراكية (تونس : دارالكتاب، 2025)، ص 470

خاتمة

ينتظم الخطاب في بنية قائمة على فرضية الاسترسال من البسيط إلى المركب انطلاقاً من هذا المبدأ تسترسل الوحدات اللسانية من أدنى درجات التركب إلى أقصى درجاته وهي فرضية متحققة بمجموعة من المعايير وهي الرسوخ والمواضعة والتركب الرمزي والخطاطية والنمذجة ولا يدرك الذهن البشري هذه البنى المتنوعة إلا إذا تحقّق شرط الانتظام في قطبين متكاملين يتعلّق القطب الأوّل بالخطاب في تشكّله اللغويّ وهو القطب التعبيريّ ويتعلّق القطب الثاني بما هو خارج الخطاب ممّا يجذّره في الإدراكية الاجتماعية والثقافية والنفسية لأنّ المعنى موسوعي بطبعه.

قائمة المراجع

- المراجع العربيّة

- الميساوي، خليفة. الوسائل في تحليل المحادثة، دراسة في إستراتيجيات الخطاب. الأردن : عالم الكتب الحديث، ط1، 2012 .
- لانقار، رونالد. مدخل في النحو الإدراكي، ترجمة الأزهر الزناد : تونس المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، 2018
- اليفرني، عريّة. التجذّر الإبتيميّ في اللّغة العربيّة دراسة نحوية إدراكية : تونس، دار الكتاب، 2025

- المراجع الأعجميّة

- Dick Van .Text And Context. London; Longman, 1977.
- Hammond Kenneth. Judgment Under Stress. New York University Press, 2000.
- Langacker, Ronald
- Foundations of Cognitive Grammar, vol. 1, Theoretical Prerequisites. Stanford: Stanford University Press, 1987.
- Foundations of Cognitive Grammar, vol. 2 Descriptive Applications, Stanford: Stanford University Press, 1991 .
- Taylor, John and Wen, Xu: The Routledge Handbook of Cognitive Linguistics, New York (2021).

*الرّوابط الإلكترونيّة

- Van Dijk, T. A. (1993). Principles of Critical Discourse Analysis. Discourse And society4, 249-283.
<https://doi.org/10.1177/0957926593004002006>

المكون الدلاليّ «الصدر» في ديوان (وكنت أحفر في صدري) لطلال الصلتي

د. سالم بن شنون السوطي
جامعة المنار، تونس

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الانزياح الدلالي لمفردة «الصدر» في ديوان لطلال الصلتي «وكنت أحفر في صدري»، مستندة إلى الإطار النظري للسانيات التداولية المعرفية، واعتمدت فيها المنهج الوصفي التحليلي لرصد تواتر المفردة (17 مرة) وتصنيف أنماط الانزياح عبر خمسة مستويات: الذاتي، المجازي، الكوني، العلائقي، والنحوي، وكشفت النتائج التي أدركناها عن تأسيس الشاعر لنظام استعاري مفاهيمي متكامل حول المفردة من دلالتها المعجمية المحدودة إلى مركز دلالي متعدد الأبعاد، يعبر عن رؤية وجودية متكاملة، كما بينت الدراسة التفاعل الجدلي بين الآليات المعرفية (الاستعارة المفاهيمية) والسياقات التداولية والانزياحات التركيبية في إنتاج الصور الشعرية، مساهمة في الكشف عن نظام مفاهيمي متماسك يحول «الصدر» إلى فضاء وجودي متسع الأبعاد، مما يثري الأدوات التحليلية المستخدمة في الدراسات اللسانية الحديثة لتحليل الخطاب الشعري.

الكلمات المفتاح: الانزياح الدلالي، الاستعارة المفاهيمية، اللسانيات التداولية، تحليل الخطاب الشعري، مفردات الجسد.

Abstract

This study analyzes the semantic deviation of the word “chest” (al-sadr) in Talal Al-Sulti’s poetry collection “I Was Digging in My Chest,” employing the theoretical framework of cognitive pragmatics. The study adopted a descriptive-analytical method to monitor all occurrences of the word (17 instances) and classify deviation patterns across five levels: subjective, metaphorical, cosmic, relational, and syntactic. The results revealed the poet’s establishment of an integrated conceptual metaphorical system that transformed the word from its limited lexical meaning into a multi-dimensional semantic center, expressing a comprehensive existential vision. The study also demonstrated the dialectical interaction between cognitive mechanisms (conceptual metaphor), pragmatic contexts, and syntactic deviations in producing poetic meaning, ultimately revealing a coherent conceptual system that transforms the “chest” into a multidimensional existential space, thus contributing to the enrichment of the analytical tools used in modern linguistic studies of poetic discourse.

Keywords : Semantic Deviation, Conceptual Metaphor, Cognitive Pragmatics, Poetic Discourse Analysis, Talal Al-Sulti’s Poetry, Body Lexemes.

المقدمة

يشكّل حقل الجسد واحداً من الحقول الدلالية الأكثر ثراءً في الدراسات الأسلوبية المعاصرة، واللسانيات المهمة بقضايا الدلالة خاصة الدلالة الاستعارية حيث تمثل كلمة «الصدر» بما تحمله من رمزية أكثر المفردات تعقيداً وغنى في الخطاب الشعري الحديث، فهي تحمل في طياتها إمكانات هائلة لتوليد المعاني، تتراوح بين العضو الجسدي المحدود والفضاء الوجودي الشاسع.

في هذا الإطار العام نتناول المكون الدلالي «الصدر» في ديوان طلال الصلتي «وكنّت أحفر صدري» (الصلتي، 2020)، والذي يمثل نموذجاً متميزاً للإبداع الشعري العماني المعاصر. نطلقاً من فرضية أساسية قوامها أن الشاعر استطاع

من خلال توظيف هذه المفردة وفي سياقات متعددة تأسيس نظام دلاليّ متكامل، يحوّل الصدر من مجرد عضو جسدي إلى فضاء شعريّ رحب الأبعاد مترامي الأطراف، يجسّد رؤية فلسفيّة وشعريّة للوجود والعلاقات الإنسانيّة الناشئة..

تنتمي هذه الدراسة إلى حقل اللسانيات المعرفيّة التداوليّة الذي يمثّل حسب بعض الدارسين اتجاهاً تكاملياً يربط بين البنى الذهنيّة وسياقات الاستعمال اللّغوي، «فلا يمكننا فهم موقع اللسانيات في العلوم العرفانيّة دون الإلمام بعلاقات التّأثّر والتّأثير التي جمعتها ببقية العلوم العرفانية مثل علم النفس، وعلم الأعصاب، والإعلاميّة» (كرونة، 2003، ص 293-294)، وهو ما يتوافق مع رأي عبد السلام عيساوي الذي يؤكد أنّ «كلّ نظرية لسانية لا تبحث في أصل المعنى وطبيعته وكيفية إدراكه تكون ناقصة؛ لأنّ المعنى بأبعاده التأويليّة والمفهوميّة ظاهرة عرفانيّة ناتجة عن تصوّر الأشياء ومعالجتها ذهنياً قبل وسمها» (عيساوي، 2009، ص 162).

يعدّ الشاعر طلال الصلتي أحد الأصوات الشعريّة البارزة في المشهد الأدبيّ العُمانيّ المعاصر، ويأتي ديوانه «وكنّت أحفر في صدري» (2020) كتجربة مميّزة تتسم بالعمق الفلسفيّ والبحث الوجوديّ، ويمثّل الديوان نموذجاً مكثفاً لاستكشاف الذات والعالم عبر لغة شعريّة مجازيّة غنيّة، ممّا يجعله حقلاً خصباً لدراسة الانزياح الدلاليّ والأنظمة الاستعاريّة، وينبع اختيار هذا الديوان تحديداً من كونه يقدّم مفردة «الصدر» كحقل دلاليّ مركزيّ ومتطوّر عبر نصوصه، ممّا يتيح تتبّع تحولاتها الدلاليّة بشكل منهجيّ وواضح.

الإطار النظريّ والدراسات السّابقة:

الإطار النظريّ

تستند هذه الدراسة إلى خلفيتين نظريتين متكاملتين:

أ- اللسانيات التداوليّة:

تمثّل هذه الخلفيّة جسراً صريحاً بين الذهنية المجردة وسياقات الاستعمال اللّغوي، «ومن جهة أخرى نجد المعطيات البيولوجية للتطوّر قد بيّنت كيفية

الاشتغال الدماغي للغة" (تامبا، 2018، ص 141)، ممّا يؤسّس لرؤية متكاملة تجمع بين المنظور المعرفي الممكن والتحليل التداولي في دراسة الظواهر اللغوية وتأويلها التأويل الأمثل.

ب- الانزياح الدلالي:

يُقصد بالانزياح خروج اللغة عن الاستعمال المألوف لتوليد معاني جديدة، "وبما أنّ للغة نظام ثابت متفق عليه، تحكمه أنساق ثقافية وأخرى نحوية وصرفية أو تركيبية... إلخ، فإنّ اختراق هذا النظام وانتهاكه يوفر لمنشئ الكلام انزياحاً يُكسب النصّ جماليته والشعرية موضوعها الحقيقي" (بخولة، د.ت، ص 91)، وفي هذا السياق يؤكّد عبد السلام عيساوي "أنّ التقليد النفسي يربط جميع السمات الدلالية التي يمكن أن تلحق الدلالة المعجمية بمعنى ثابت في البنية الذهنية" (2016، ص 205)، ممّا يعزّز الرؤية العميقة التي تربط الانزياح بالعمليات الذهنية، ويتّجه بوحلاسة نحو بعدٍ تداولي آخر للانزياح، فيرجع اعتماده وتوحيه إلى "أنّ الانزياح الدلالي من أشدّ أنواع الانزياحات إثارة، إذ يمنح القارئ أفقا للتأويل، وذلك باعتبار المتلقي يساهم في صناعة النصّ وإنتاجه من جديد" (2015، ص 197)، وهذه الرؤية تضيف بعداً تداولياً جوهرياً يكمل البعد المعرفي، ويؤصل فكرة أن إنتاج الدلالة الشعرية عملية تتكامل فيها أدوات الشاعر الإبداعية مع حضور المتلقي في بنائها الذي هو جزء من إنشاء القصيدة.

ج- نظرية الاستعارة المفاهيمية

يذهب لايكوف إلى أنّ "الاستعارات تلعب دوراً يوازي من حيث أهميته، ذلك الدور الذي تلعبه حواسنا في مباشرة إدراك العالم وممارسة تجربته" (لايكوف وجونسون، 2009، ص 12)، وبإمكان الاستعارات الجديدة أن تبدع فهماً جديداً، وبالتالي حقائق جديدة. وهذا الأمر يتّضح في الاستعارات الشعرية حيث تعدّ اللغة وسيطاً في إبداع استعارات تصوّرية جديدة. أمّا في المقاربة التداولية فيرى غرايس أنّ الانزياح الدلالي يمثّل خرقاً لمبادئ التعاون التواصلية، ممّا يولّد دلالات ضمنية تثير النصّ الشعري (1975، ص 45)، وفي هذا السياق يعرف متصوّر

التعاون التواصلّي بأنّه " تلبية المتكلّم، المساهم في محادثة، ما هو مطلوب منه بحسب الكيفيّة التي جرت بها المحادثة والوجهة التي اتّخذتها" (ريبول، 2010، ص 214)، وهذا المبدأ يشكّل أساساً لفهم كيفية كسر الانزياح الدلاليّ للتّوقعات التّواصلية، وينتج دلالات شعريّة غنيّة، حيث يخدم هذا الانزياح التّركيبيّ الوظيفة التّداوليّة لكسر توقّع المتلقّي، ويعكس آلية معرفيّة حيث يدرك الصّدر فضاء وجوديّاً مؤوّلاً منفتحاً على عالم من المعاني الممكنة .

إنّ هذه الدراسة تنزل في سياق المقاربات التكامليّة التي تسعى لربط المنظور المعرفي بالتحليل التداولي في دراسة الخطاب الشعري، وإذا كانت الدراسات السابقة في الحقل اللساني قد اهتمت بالانزياح كظاهرة أسلوبية هامة (بخولة، 2008) أو بالاستعارة في الخطابات غير الشعرية (لايكوف وجونسون، 1980)، أو نادى بضرورة التحول من الشرح النظري إلى التطبيق في الدرس الدلالي العربي (الزهراني، 2018، ص 258)، فإنّ هذه الدراسة تسعى لسدّ ثغرة منهجية -كما نعتقد- من خلال تقديم نموذج تحليلي كميّ وكيفي متكامل، يرصد مظاهر الانزياح الدلالي لمفردة مركّبة واحدة "الصدر" عبر مستوياتها المعرفية والتداولية والتركيبيّة، في نموذج شعري محدّد (ديوان الصلتي)، ممّا لم يسبق التطرق إليه في الدراسات السابقة بهذا الشمول والعمق.

و وجه الطرافة يتمثّل في الانطلاق من الإشكالية المركزيّة التي تتمثّل في: كيف أسهمت الآليات التداولية والمعرفية (وخاصة الاستعارة التّصوريّة في إعادة تشكيل الحقل الدلالي لمفردة "الصدر" في ديوان طلال الصلتي "وكنّت أحفر في صدري"، محوّل إياها من نواتها الدلاليّة المعجميّة المحدودة إلى نظام دلالي متكامل يعبر عن رؤية شعورية؟

وتتفرّع عن هذه الإشكالية الأسئلة التفصيلية التالية:

- ما الاستراتيجيات التركيبيّة (النحوية) التي وظّفها الشاعر لخدمة الانزياح الدلالي للمفردة؟

- كيف ساهمت الاستعارات التصورية (Conceptual Metaphors) في بناء المستويات الدلالية الجديدة (الذاتية، الكونية، العلائقية) للمفردة؟
- ما دور السياقات التداولية في تفعيل هذه الدلالات وتوجيهها؟
- كيف يتحقق التفاعل بين البنى المعرفية والانزياحات التركيبية في تشكيل الرؤية الشعرية المتكاملة؟
- إلى أي درجة يمكن اعتماد الانزياح الدلالي مؤشرا على الإبداع في اللغة الشعرية الحديثة؟

وستتبع سبيل المراحل التالية للإجابة عن هذه الإشكاليات :

- التتبع الشامل والإحصائي: رصد تواتر مفردة "الصدر" في نصوص الديوان (عددها 17)، موزعة على النحو التالي: الاستعمالات المضافة إلى ياء المتكلم (7 مرّات)، الاستعمالات في موقع المسند إلى المعرف بـأل (3 مرّات)، الاستعمالات مع الضمير الغائب والمخاطب (4 مرّات)، والاستعمالات المعرف بـأل أو المنفردة (3 مرّات)، والجدير بالذكر أنّ بعض السياقات الواردة تم تحليلها من أكثر من منظور نحوي أو دلالي، ممّا يفسّر تقاطع التصنيفات في بعض الأحيان، مع الحفاظ على دقة العدد الإجمالي للتواتر.
- التحليل المعرفي: تحليل الاستعارات التي تنظم الحقل الدلالي للمفردة، مثل: الصدر وعاء، الصدر فضاء، الصدر كون، اعتمادا على نموذج لايكوف وجونسون (1980).
- التحليل التداولي: دراسة الانزياح الدلالي من حيث هو خروج عن القواعد التداولية (تجاوز مبدأ التعاون مع غرايس) وكسر للتوقعات التواصلية لتوليد الدلالات الشعرية.
- التحليل التركيبي: تحليل الانزياحات النحوية وأثرها في تشكيل الدلالة، مثل الانزياح في حروف الجر، والمحلات النحوية.

● التحليل التكاملي: دراسة التفاعل بين المستويات المعرفية والتداولية والتركيبية في تشكيل المنظومة الدلالية الجديدة.

تسعى هذه المنهجية المتكاملة إلى تقديم تحليل شامل وعميق للمكوّن الدلالي لمفردة «الصدر»، بحيث تتوافق مع مسار البحث اللساني الحديث الذي يجمع بين البنى الذهنية والممارسات اللغوية في السياق.

جدول يلخص توزيع تواتر مفردة «الصدر» لتوضيح المنهجية الكمية

نماذج من الديوان	عدد المرات	نمط الاستعمال	إجمالي التواتر
- وكنّت أحفر في صدري. - شاعر أحمل في صدري جدي.	7	الإضافة إلى ياء المتكلم (صدري).	17
- صدر الحلة. - يحفر صدر الكون. - بصدر الأرض.	3	المضاف إلى المعرّف بأل.	
- صدرها معطف. - صدره العاري. - صدرك مهوى صدري.	4	مع ضمير الغائب/ المخاطب.	
- في الصدر يلعب. - فارغا، صدري الفضاء. - أشقّ صدري.	3	معرّف بالألف واللام أو منفردة	

1 - الدلالات المعجمية الأساسية

تشكّل الدراسة المعجمية للمفردة الأساس الذي تنطلق منه عملية التحليل الدلالي، ومن خلال الرجوع إلى المصادر المعجمية الرئيسية ك«لسان العرب» لابن منظور و«معجم معالي اللغة» تتكشف الدلالات الأساسية لمفردة «الصدر» في ثلاثة حقول دلالية رئيسية:

الدلالة المكانية المادية (كصدر الإنسان وأول الشيء ومقدمه).

الدلالة الكمية (كالطائفة من الشيء والجزء المحدد).

الدلالة الحركية (كالصدر بمعنى الرجوع والعودة).

تمثّل هذه الدلالات الإطار المرجعي الذي يكشف مدى إبداع الشاعر من خلال الانزياح عن الدلالة المكانية وتحويل الصدر من حيز ماديّ إلى فضاء شعري رحب، وتوسيع الدلالة الكمية من طائفة محدودة إلى وعاء لا نهائي، وتحويل الدلالة الحركية من رجوع مادي إلى حركة وجودية ومعرفية.

وحين نطبّق ذلك على نماذج من الديوان نلاحظ التالي:

- في "وكنّت أحفر في صدري" (الصلتي، 2020، ص 5، 49، 50): الانزياح عن الدلالة المادية (العضو الجسدي) إلى الدلالة الرمزية (فضاء الذات).
- في "صدر الكون" (الصلتي، 2020، ص 52، 55): الانزياح عن الدلالة المكانية المحدودة إلى الدلالة الكونية الشاملة.
- في "صدر الحلة" (الصلتي، 2020، ص 36): الاحتفاظ بالدلالة المعجمية (أول الشيء) مع إضافة بعد جمالي.

العلاقة بين الانزياح الدلالي والإبداع الشعري: ويكمن الإبداع في قدرة الشاعر على الاحتفاظ بالصلة مع الدلالة المعجمية الأصلية، وتطويع هذه الدلالة لتخدم الرؤية الشعرية، وخلق علاقات جديدة بين الدلالة المعجمية والسياق الشعري، وكذلك إنتاج طبقات دلالية متعددة تثري النص الشعري.

يشكّل هذا التحليل المعجمي التفصيلي الأساس المتين الذي ستنبنى عليه تحليلات الانزياح الدلالي في شعر الصلتي، الانزياح الدلالي في الاستعمالات الذاتية: (تحليل استعاري تصوّري).

تمثّل الصيغة التركيبية الموظّفة والمتمثّلة في إضافة ياء المتكلّم "صدري" أنموذجاً لإعادة تشكيل الدلالة عبر الاستعارة التصرّوية، ولنأخذ بعض النماذج للتحليل الاستعاري المعرفي من ديوانه:

"وكنّت أحفر في صدري" (الصلتي، 2020، ص 5، 49، 50).

تتجلى الاستعارة المفاهيمية (الصدر وعاء للذات) من خلال تفعيل حقلين دلاليين: حقل الصدر (الحفر في الأرض)، وحقل الهدف (التأمل في الذات)، فالفعل "أحفر" ينتمي حقلاً دلالياً يتضمّن (الأداة: المفعول - الفعل: الحفر - الهدف: الأرض)، بينما في حقل الهدف يتم تعيينه على (الأداة: الفكر - الفعل: التأمل - الهدف: الذات/الصدر)، فالنتيجة اكتشاف المعادن واكتشاف الذات، وهذا الانزياح التداولي يكسر مبدأ الطريقة عند غرايس، حيث يستخدم الشاعر لغة غير مألوفة للتعبير عن عملية التأمل الذاتي، ممّا يخلق صدمة دلالية تدفع القارئ إلى التأويل، وأمّا في الانزياح التركيبي باستخدام حرف الجر "في" فإنّه يحوّل الظرفية المكانية المادية (الحفر في الأرض) إلى ظرفية وجودية معرفية (التأمل في الذات).

"شاعر أحمل في صدري جدي". (الصلتي، 2020، ص 5)

تتحقق هنا استعارة الصدر وعاءً للذاكرة/ الصدر حامل للإرث، حيث تتمثل الآليات في:

- الفعل "أحمل" الذي يحيل إلى حقول الدعم والاحتواء.

- المفعول "جدي" الذي يمثل حمولة رمزية (الإرث والهوية).

"وقد كان في صدري يمدّ سماءه". (الصلتي، 2020، 90)

ونلاحظ في هذا الشاهد تحويل الاستعارة إلى الصدر كونا مصغراً/ الصدر فضاء كوني، وذلك عبر الفعل "يمدّ" الدال على الاتساع والامتداد، والمفعول "سماءه" الذي يمثل أقصر درجات السعة والاتساع، والانزياح هنا هو تحويل الصدر إلى فضاء كوني مصغّر، ووفق آلية الاستعارة التصوّرية (الصدر = كون)، فالدلالة تمدّد الذات لتحتوي العالم.

وهذا الانزياح يؤسّس لرؤية شعرية تختزل الكون في الذات، محوّل الجسد إلى وعاء للروح والمعنى، وتعكس الانزياحات التركيبية (كالتكرار الإضافي وتنوع حروف الجر) سعياً لتأكيد التملك الوجودي والانتماء.

2 - الانزياح الدلالي عبر الآليات المجازية: (تفكيك التفاعل الدلالي).

“لقد اهتمت الدراسات العرفانية بالمشارك من حيث تنظيمه ومقولته على أسس ومبادئ عرفانية، لذا جيء بنظرية الطراز الموسّعة القائمة على مفهوم التأثيرات الطرازية لتنظيم مسألة المشارك والبحث في العلاقات القائمة بين مختلف معاني الكلمة الواحدة التي تعدّ مقولات دلالية” (البكوش، 2019، ص 228)، وتنطبق هذه الرؤية على النظام الاستعاري المتكامل الذي بناه الشاعر. وتمثّل الاستعمالات الانزياحية في هذا الديوان ذروة الإبداع اللغوي عبر كسر كلّ التوقعات الدلالية المألوفة، ويمكن تحليلها عبر الآليات المعرفية والتداولية التالية:

التحليل المعرفي والتداولي للنماذج:

“فارغا، صدري الفضاء” (الصلتي، ص 78) في قصيدة (ما لم يقله الروح لي):

– الآلية: استعارة تصوّريّة: الصدر فضاء فارغ.

– التحليل التركيبي: الانزياح بتقديم الحال “فارغا” لخلق إطار دلالي مسبق، يعزز حالة الفراغ قبل ذكر المستعار له (الصدر).

– التحليل التداولي: ويمثّل الانزياح هنا وظيفة إيحائية تخلق صدمة دلالية تدفع القارئ إلى التأويل، و “إنّ الجوانب الاستعارية في القسم الأعظم من اللغة، والسلاسة التي يمكن أن تستعمل بها أية كلمة على نحو استعاري، تمثّل إشارة أخرى إلى الدرجة التي اكتسبت بها الكلمات سياقات من خلال كلمات أخرى” (أوغدن ورتشاردز، 2015، ص 329)، وهذا ما يتجلّى في الاستعارات البعيدة، مثل “فارغا، صدري الفضاء” التي تحوّل الصدر من حيز مغلق إلى فضاء مفتوح.

“أحتاج أن أشق صدري” (الصلتي، ص 92) في قصيدة (خلود):

- الآلية: مجاز مرسل: حيث الجزء "الصدر" يرمز إلى الكل (الذات الداخلية).

- التحليل التداولي: الفعل "أشّقّ" هو فعل كلامي (Speech Act) غير مباشر، يعبر عن رغبة في الكشف والفضح لا على المستوى المادي، بل على مستوى النفس، محققاً بذلك وظيفة تعبيرية عن حالة نفسية معقدة يصعب التعبير عنها باللغة المباشرة.

"طفل الريح في الصدر يلعب" (الصلتي، 71) في قصيدة (وما بي نهر):

- الآلية: استعارة تصويرية: تتحقق الاستعارة التصويرية من خلال تصادم حقلي الصدر

(ثقل، أحزان، سكون) وطفل الريح (خفة، حرية، حركة)، مولدة معاني التحرر من الأعباء وتجاوز المعاناة النفسية.

ونلاحظ في هذا الانزياح التداولي أنّ الشاعر يكسر مبدأ الجودة حيث يقدّم عبارة غير قابلة للتصديق حرفياً، لكنها تحمل دلالة شعرية عميقة تعبر عن حالة التحرر النفسي.

التفاعل بين أنواع الانزياح: نلاحظ تكامل الانزياحات في التالي:

- الانزياح الدلالي + الانزياح التركيبي.

- الانزياح المجازي + الانزياح الاستعاري.

- الانزياح المكاني + الانزياح الزماني.

هذه الانزياحات المتعددة لا تمثل مجرد خروج عن القواعد، بل هي تأسيس لنظام دلالي جديد، حيث تصبح اللغة قادرة على التعبير عن أعماق التجارب الإنسانية وأكثرها تعقيداً، ممّا يجعل من النص الشعري عالماً دلالياً مكتملاً بذاته.

3- الانزياح الدلالي في الاستعمالات الكونية: (تحليل التوسع الاستعاري).

تمثل الاستعمالات الكونية قمة الانزياح نحو التجريد، حيث تتحول المفردة إلى نموذج لتمازج المعرفي والتداولي في أقصى صورته.

التحليل المعرفي للتجريد الكوني:

- النموذج الأول: "يحفر صدر الكون عن غاية" (الصلتي، ص 52، 55) في قصيدة (يحفر صدر الكون): في هذا النموذج أعلاه يتجلى الانزياح من خلال التوسع الاستعاري الهرمي:

* التدرج الاستعاري:

أ/ المستوى الأول: الصدر العضوي (الدلالة المعجمية).

ب/ المستوى الثاني: الصدر الوجودي (انزياح ذاتي).

ج/ المستوى الثالث: الصدر الكوني (انزياح كوني).

● تحليل الانزياح الكوني:

- المجال المصدر: (الجسد البشري) - المجال الهدف: (الكون).

- العضو: (الصدر) - الفضاء: (الكون).

- وظيفة الصدر: (التنفس) - وظيفة الكون: (الوجود).

- الحفر في الصدر: (بحث ذاتي) - الحفر في صدر الكون: (بحث وجودي).

ويتمى هذا الانزياح إلى الحقل الوجودي، عبر استعارة تمدد المدى الدلالي من الخاص إلى العام.

النموذج الثاني: و"خذي ما بصدر الأرض من جور أهلها" (الصلتي، ص 115) في قصيدة (على باب النبي):

● الآلية: استعارة الأرض كائنا حيا يعاني، (الأرض = كائن حي) تعبر عن الهم الجمعي.

● التحليل التداولي: تحويل الهم الفردي إلى خطاب جمعي، حيث يصبح "صدر الأرض"، ممّا يوسّع من الوظيفة التداولية للمفردة، مؤسسا لحقل دلالي أخلاقي يوسع الوظيفة التداولية للمفردة لتعبر عن ألم مجتمعي.

وهنا لا يعبر الانزياح الكوني عن سعة الخيال فقط، بل عن قدرة النظام الاستعاري المفاهيمي على التمدد والاتساع لخلق رؤية شعرية شمولية، وهو ما تؤكدّه اللسانيات المعرفية في تحليلها للاستعارة في الخطاب الشعري.

– الانزياح الدلالي: الأرض ككائن معذب له صدر، وهذا الانزياح من الدلالة المادية إلى الدلالة الأخلاقية، يظهر أيضا دلالة رمزية في أنّ الصدر يمثل الضمير الجمعي، وأنّ الجور في صدر الأرض يشير إلى الخلل الكوني.

إذا، يكشف الانزياح الكوني عن رؤية شعرية شمولية تجمع بين الوظائف الجمالية التكوينية والتعبيرية، وتظهر تفاعلا عضويا بين المستويات الدلالية الذاتية والكونية، ويعبر عن سعة الخيال الشعري وعمق الرؤية الفلسفية القادرة على توحيد الذات والكون.

4- الانزياح الدلالي في علاقة الصدر بالآخر: (الأبعاد التداولية للتفاعل)

تمثّل استعمالات الصدر في علاقته بالآخر نموذجا للانزياح التداولي، حيث تتحوّل المفردة إلى أداة لتفعيل العلاقات التواصلية.

4.1. التحليل التداولي للعلاقات

أولا: العلاقات الحميمية: "إلى امرأة صدرها معطف" (الصلتي، ص 39).

– الانزياح: تحويل الصدر من عضو إلى ملاذ تداولي عبر الاستعارة (الصدر ملجأ).

- الوظيفة التداولية: تقديم فعل كلامي غير مباشر للاستجداء والالتجاء.
- التحليل الرمزي: المعطف يرمز إلى الدفء والحماية، فالانزياح من الوظيفة البيولوجية إلى الوظيفة النفسية، وأما الدلالة العلائقية فتظهر العلاقة كملاذ من صعوبات الحياة، فالانزياح من المادي إلى العاطفي.
- ثانيا: العلاقة المكشوفة: "صدره العاري" (الصلتي، ص 85).
- الانزياح: تحويل الصفة المادية "العاري" إلى دلالة على الصراحة التداولية.
- الوظيفة التداولية: الانزياح هنا يكسر قاعدة من قواعد التواصل (التهذيب) ليعبر عن صدق وجراءة في التعبير.
- الدلالة النفسية: الانكشاف العاطفي والصراحة، فالانزياح من الحجب إلى الوضوح.
- ثالثا: العلاقة المتألّمة: "وترى صدره الجريح بيوتا" (الصلتي، ص 124).
- الانزياح: استعارة تركيبية، حيث الجرح لا يحتمل البيوت، لكن الانزياح يخلق دلالة على تعدد وتشعب الألم، فيتجلّى من البساطة إلى التعقيد.
- التحليل: يظهر تفعيل الاستعارة، الألم مسكن / الجرح بيت لتعظيم حجم المعاناة النفسية.
- تكشف الانزياحات العلائقية مجتمعة عن تحوّل جوهري في دلالة المفردة، من حيز فردي إلى فضاء مشترك للتبادل العاطفي والتكافل الإنساني، وتجسّد وظيفة جمالية متكاملة من خلال إثراء الصورة الشعرية، وخلق طبقات دلالية متعددة، تعبّر عن رؤية الشاعر للعلاقات القائمة على الصراحة والمشاركة بدلا من النفعية.

2 . 5. التحليل الإحصائي والدلالي للعلاقات

يكشف التحليل عن أنماط علائقية متعددة: حميمية ["صدرها معطف" (الصلتي، ص 39)، "صدرك مهوى صدري" (الصلتي، ص 107)] تدلّ على

الأمان والاستقرار، ومنكشفة [”صدره العاري“ (الصلتي، ص 85)، ”صدره الجريح“ (الصلتي، ص 124)] تعبر عن الصراحة والألم، وتفاعلية [”يقنع المتنبي بصدري“ (الصلتي، ص 28)] تظهر الإعجاب والتأثر.

5.3: التفاعل والرؤية الإنسانية: يتجلّى الانزياح العلائقي في تحوّل الصدر من حيز فردي إلى فضاء مشترك للتبادل العاطفي، ممّا يعكس رؤية الشاعر للعلاقات الإنسانية القائمة على الصراحة والتكافل بدلا من النفعية، ويمثّل لاستراتيجية تداولية تشرك المتلقي في إعادة بناء المعنى.

5- الانزياح التركيبي: (تحليل البنى النحوية المائلة)

”نلاحظ أن حروف الجرّ تطرح قضايا تركيبية دلالية مختلفة وليست الرؤوس الجارّة إلا ”مجمعا“ أو مفترق شبكات منظومة من ”معاني النحو“ في اصطلاح النحاة، ترتبط وتتناسق وتتمازج في العلاقة بين الجار والمجرور وسياقها السابق واللاحق“ (عاشور، 2023، ص 177)، ويمثّل الانزياح التركيبي أحد أبرز مظاهر الإبداع في هذا الديوان، حيث يتجاوز الشاعر البنى النحوية المألوفة ليخلق أنساقا تركيبية جديدة تحمل دلالات مبتكرة، وهو ما يؤكده محمد الغريسي (2018، ص 54) ”إنّ الجانب التركيبي يضيف إلى الدلالة اللغوية دلالات جديدة ويفتح إمكانيات تأويلية متعددة بتعدد زوايا النظر“، وهذا ينطبق تماما على الانزياحات التركيبية في الديوان.

5.1. الانزياحات التركيبية

أولا: الانزياح في الأدوات النحوية (حروف الجر وتعدد الدلالات):

- ”في صدري“ (الصلتي، ص 5، 49، 50، 90، 109): تحوّل من الظرفية المكانية إلى الدلالة الوجودية.
- ”بصدري“ (الصلتي، 28): الانزياح من المصاحبة إلى التمكين والاحتواء.
- ”من صدري“ (الصلتي، 90): تحوّل من المكانية إلى الزمانية العاطفية.

وبلغ إجمالي الانزياحات في حروف الجر 7 حالات، تشكّل نماذج متعددة للتوسع عبر الأدوات النحوية.

ثانياً: الانزياح في المحلات النحوية:

● المبتدأ والخبر: "فارغا، صدري الفضاء" (الصلتي، ص 78): يتجلى الانزياح التركيبي من خلال تفكيك البنية النحوية المائلة:

أ/ البنية المتوقعة: (صدر فارغ) أو (صدر كالفضاء).

ب/ البنية الانزياحية: (فارغا، صدري الفضاء).

يظهر في التحليل الدلالي للانزياح تقديم الحال "فارغا" يخلق إطاراً دلالياً سابقاً يهيئ القارئ لحالة الفراغ، فالجملة الاسمية "صدري الفضاء" تؤكد ثبات واستمرارية حالة الفراغ، ويظهر أيضاً أنّ أداة التشبيه قد حذفت، وهذا يحوّل التشبيه الضمني إلى مساواة دلالية مطلقة، مما نلاحظ أنّ الانزياح الدلالي يخلق في هذا التركيب "توتراً استباقياً" حيث يكسر التسلسل النحوي المألوف، ممّا يزيد من قوة التأثير الشعري، "وهذا يبيّن حاجة الباحث في مسألة التقديم والتأخير إلى التفسير والتعليل" (الجواد، 2022، ص 184).

● الفاعل والفاعل: "يحفر صدر الكون" (الصلتي، ص 52، 55): الانزياح بحذف الفاعل لتعميم الفعل، فالتحول من الفاعل المحدد إلى الفاعل الكوني.

وبلغ إجمالي الانزياحات التركيبية 15 حالة، موزعة على 6 حالات في حروف الجر، و 8 حالات في المحلات النحوية، وحالة واحدة في الأساليب الإنشائية.

5. 2. الانزياح التركيبي وآليات إنتاج المعنى

لا يقتصر الانزياح التركيبي في ديوان الشاعر على كونه مجرد كسر للقواعد النحوية، بل يظهر كآلية تداولية هادفة لتأسيس لغة شعرية متفردة ومستقلة، تنتقل بالقارئ من اللغة التواصلية المألوفة إلى فضاء الإبداع الذي يتحرر من قيود النحو التقليدية، وهذا الانزياح ليس شكلياً، فهو يعمل كمحرك أساسي لتوليد الدلالة وإثراء التجربة الجمالية.

ويتجلى هذا التفاعل بين الانزياح التركيبي والدلالي من خلال تحليل البنى النحوية المائلة، فالانزياح في حروف الجر يحوّل الدلالة من المكانية إلى الوجودية "في صدري"، ومن المصاحبة إلى التمكين "بصدري"، وهو ما يؤكد أن الانزياح التركيبي غالبا ما يكون مدخلا ملازما للانزياح الدلالي، ويظهر هذا التكامل واضحا في الانزياح في المحلات النحوية، حيث يؤدي إلى تفكيك البنية النحوية المتوقعة، كتركيب "فارغا، صدري الفضاء" إلى خلق توترا استباقيا يكسر توقعات القارئ، محوّل التشبيه الضمني إلى مساواة دلالية مطلقة تثبت حالة الفراغ وتعمق من تأثيرها النفسي.

ويكشف التحليل التفاعل بين البعدين المعرفي والتداولي، حيث يؤكد هذا التفاعل أن "التحليل الدلالي متصل بالعلاقات بين الكلمات المعجمية والسياقية والرمزية حيث تتصل في تقاربها، وجود مفاهيم مشتركة" (عيسوي، 2023، ص368)، وهذا الانزياح التركيبي في شعر الصلتي لا يمثل مجرد خروج عن القواعد النحوية، بل هو تأسيس لنظام لغوي جديد، حيث يصبح التركيب أداة فاعلة في تشكيل الدلالة وإثراء التجربة الجمالية، مجسّدا أعمق مستويات الإبداع في اللغة الشعرية.

6- الانزياح الدلالي والرؤية الشعرية (تحليل التفاعل المنظومي)

يظهر التحليل التكاملي أن الانزياح الدلالي في الديوان لا يعمل بمعزل عن الأنماط، بل تتقاطع الأنظمة وتشكّل منظومة متفاعلة متكاملة تنتج رؤية شعرية متماسكة، ويمكن إبراز هذه المنظومة من خلال المحاور الآتية:

6.1. تكامل المستويات الانزياحية في تشكيل الرؤية

يتجلى التكامل في تفاعل المستويات الانزياحية المختلفة لخدمة الرؤية المركزية للديوان، ففي نموذج "وكنّت أحفر في صدري" يندمج الانزياح الذاتي (تحويل الصدر إلى فضاء وجودي) مع الانزياح التركيبي (استخدام "في" للظرفية

الوجودية) والانزياح المجازي (استعارة الصدر وعاء للذات) والانزياح التداولي (كسر مبدأ الطريقة لغريس)، لتوليد دلالة وجودية شاملة حول البحث عن الذات والمعنى، هذا النسيج التفاعلي هو الذي يحوّل المفردة من دلالة معجمية محدودة إلى مركز دلالي متعدد الأبعاد.

6. 2. الأبعاد المركزية للرؤية الشعرية

تكشف هذه المنظومة الانزياحية المتكاملة عن رؤية شعرية قائمة على بعدين رئيسيين:

أ/ البعد الوجودي: حيث يتحول الصدر إلى فضاء مركزي للبحث عن المعنى والهوية، من خلال الانزياح من السؤال الذاتي "أحفر في صدري" إلى السؤال الكوني "يحفر صدر الكون"، هذا التكامل بين الحفر الذاتي والحفر الكوني يجسّد رحلة الشاعر الوجودية.

ب/ البعد الإنساني: حيث يتحول الصدر إلى حيز للعلاقات الإنسانية، من خلال الانزياح من الفردية "صدري" إلى الثنائية (صدرها معطف) والجماعية "صدر الأرض" (الصلتي، 115)، وهذا يوسع دائرة الرؤية من الهم الشخصي إلى علاقة الذات بالآخر والمجتمع.

6. 3. الانزياح وآليات التجديد الشعري

تمثّل هذه الانزياحات المتكاملة استراتيجية تجديدية على مستوى الشكل والمضمون معاً، فمن الناحية الشكلية يظهر التجديد في كسر القواعد النحوية التقليدية (كالانزياح التركيبي) وتحويل اللغة من أداة تواصلية إلى لغة إبداعية إيحائية، وأما على مستوى المضمون فيتّم الانزياح من المضامين المألوفة نحو خلق رؤية متكاملة تتعامل مع أعمق تجليات التجربة الإنسانية المعاصرة وتعقيداتها.

إذا، لا تمثّل الانزياحات في الديوان مجرد انزياحات أسلوبية منفردة في ضوء ما ذكرناه من تحليل تكاملي، بل هي تشكّل منظومة دلالية متنوّعة الموارد

والأهداف، تتفاعل فيها المستويات المعرفية والتداولية والتركيبية تفاعلا عضويا لتخلق رؤية شعرية متماسكة، تجعل من الذات مركزا للكون ومن الكون امتدادا للذات، وذلك عبر تحويل اللغة إلى وسيط قادر على استيعاب تعقيدات الوجود والإنسان.

7. النتائج على سبيل الخاتمة

* نجح الشاعر في بناء نظام دلالي متكامل حوّل المفردة من دلالتها المعجمية المحدودة إلى مركز دلالي متعدد الأبعاد، من خلال ثلاث استعارات رئيسة: (الصدر وعاء)، (الصدر فضاء)، (الصدر كون).

* تفاعل الآليات اللسانية: كشف التحليل عن تفاعل خلاق بين الآليات المعرفية (الاستعارة المفاهيمية) والانزياحات التركيبية (انزياح حروف الجر والمحلات النحوية)، والسياقات التداولية (كسر مبادئ غرايس التواصلية).

* استراتيجيات الانزياح التركيبي: تمّ رصد 6 حالات انزياح في حروف الجر، و8 حالات انزياح في المحلات النحوية، ساهمت جميعها في تعميق الانزياح الدلالي.

* التكامل المنهجي: أثبتت الدراسة فعالية الإطار النظري التكاملي (التداولية المعرفية) في كشف الآليات العميقة لتشكيل الدلالة الشعرية.

تشكّل الدراسة تطبيقاً أو إجراء لبعض مقولات اللسانيات التداولية المعرفية، حيث مكّنا التحليل من رصد التفاعل الجدلي بين البنى الذهنية المجردة (الاستعارات التصوّريّة) والممارسات اللغوية في سياقها التخاطبي، والانزياحات الدلالية في ديوان الصلتي ليست محض خروج عشوائي عن المألوف، بل هي تجسيد لاستراتيجيات معرفية تداولية منهجية أعادت تشكيل الحقل الدلالي لمفردة «الصدر»، لتحمل رؤية وجودية وإنسانية متكاملة، ولا تخلو الدراسة من حدود من قصور ممّا قد يفتح الباب أمام دراسات مقارنة على دواوين أخرى أو لمفردات جسدية أخرى في نفس الديوان،

وتؤكد صلاحية النموذج النظري التكاملي وجدواه في كشف العوالم الدلالية الخفية في النص الشعري، مقدمة أداة تحليلية يمكن تعميمها على نصوص أخرى والتعمق أكثر في اختبارها واستصفاء نتائجها .

المصادر والمراجع

- المدوّنة:

- الصلتي، طلال، (2020)، وكننت أحفر في صدري، ط1، سلطنة عمان، مسقط: مؤسسة اللبان للنشر.

المصادر والمراجع العربية:

- ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت)، لسان العرب، ج3، القاهرة: دار المعارف، ص215
- البكوش، فاطمة، (2019)، المعجم العربي ونظرية الطراز في البنية الطرازية للتعريف، ط1، تونس: الدار التونسية للكتاب.
- بوحلاسة، نوار، (جوان: 2015)، الانزياح الدلالي المفهوم والإجراء، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، ع10، ص197
- بخولة، بن الدين، (2008)، الانزياح الدلاليّ وأثره في تطور اللغة، الشلف - الجزائر: جامعة حسيبة بو علي.
- التجديتي، نزار، (2000)، "نظرية لسانيات التواصل لزيغفريد شميث"، في: علامات في النقد، مج10، ج37، بيروت - لبنان: الفلاح للنشر والتوزيع.
- الجوادي، سمير الأزهر، محمد علي، (2018)، علم الدلالة في الدرس العربي (التلقي والاستبانة): "دراسة وصفية تحليلية في المنجز اللساني"، ط1، الرياض - المملكة العربية السعودية: كنوز المعرفة.
- الزهراني، محمد علي الحضرين، (2018)، علم الدلالة في الدرس العربي (التلقي والاستبانة): "دراسة وصفية تحليلية في المنجز اللساني"، ط1، كنوز المعرفة، ص258

- عاشور، أسماء، (2023)، العلاقة التركيبية الدلالية في حروف الجرّ: "منهج نحويّ شكليّ حوسبيّ"، ط1، عمان - الأردن: خطوة للنشر.
- عيساوي، عبد السلام، (2009)، الأبعاد التأويلية والمفهومية للدلالة المعجمية، ط1، منوبة- تونس: مركز النشر الجامعي.
- عيساوي، عبد السلام، (2016)، قضايا المعنى في البنية النحوية: "مقاربة لسانية"، ط2، تونس: الدار التونسية للكتاب.
- عيساوي، عبد السلام، (2023)، الدلالة في الوسائط وأنظمة التواصل، ط1، خطوة للنشر، سلسلة مدارات الكلام، ص368
- الغريسي، محمد، (2018)، التعالق بين الدلالة والتركيب من خلال بعض النماذج التوليدية، بإشراف: (عبد السلام عيساوي)، الدلالة بين النظامي والعرفاني، ط1، تونس: الدار التونسية للكتاب، ص62-51
- كرونة، سندس، (2003)، "اللسانيات وتطور العلوم العرفانية"، حوليات الجامعة التونسية، ع47، تونس: الجامعة التونسية. ص294-293
- معالي، محسن محمد، (2013)، معجم معالي اللغة، (ط1)، الإسكندرية، مصر: مؤسسة حورس الدولية.

المراجع المترجمة

- بنكراد، سعيد (مترجم)، (2018)، علم الدلالة (عن إيرين تامبا: فرنسا (1988))، ط1، بيروت - لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة. ص141
- الخاطر، ريتا (مترجمة)، (2013)، علم الدلالة الأنموذج: الفئات والمعنى المعجمي (عن جورج كليبر)، ط1، مراجعة: صالح الماجري، بيروت - لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

- ريبول، جاك - آن، (2010)، القاموس الموسوعي للتداوليّة، ت: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين مجدوب، تونس: منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، سلسلة اللسان، ص 214
- لايكوف، جورج، وجونسون، مارك، (1980)، الاستعارات التي نحيا بها، ط2، ط2 (2016)، ت: عبد المجيد جحفة، الدار البيضاء - المغرب: دار توبقال للنشر.
- أوغدن، تشارلز كيه، وريتشاردز، آيفور، (2015)، معنى المعنى: دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، ط1، ت: كيان أحمد حازم يحيى، بيروت - لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

المراجع الأعجمية

- Grice, H. P. (1975). Logic and Conversation. In P. Cole & J. Morgan (Eds.), *Syntax and Semantics* (Vol. 3, pp). Academic Press.
- Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). *Metaphors We Live By*. Chicago: University of Chicago Press.

الفرضية الإنشائية ومفارقة الإنشاء

د. عماد بنّور الجدي

كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة سوسة

ملخص

اقترح روس (J. R. Ross) سنة 1970 في مقال له بعنوان *On Declarative Sentences*، اعتمادا على مبدأ الإبانة، تحليلا إنشائيا للجملة الخبرية عدّها من خلاله، في مستوى بنيتها العميقة، جملة إنشائية الفعل الإنشائيّ فيها مضمّر على نحو ما هو مضمّر في «الإنشاءات الأولى»، على حدّ عبارة أستيّن. فجملة من قبيل «الأسعار انخفضت» يجب أن تحلّل هي أيضا باعتبارها إنشاء ضمّنيا يتكوّن في مستوى بنيته العميقة من فعل إنشائيّ («أثبت (أن)») ومضمون قضويّ («الأسعار انخفضت»)، إلّا أنّ هذه الفرضية الإنشائية اصطدمت بنقد شديد من لدن المناطقه أسماه لا يكن (W. Lycan) «مفارقة الإنشاء». ومفادها أنّ «أثبت أنّ الأسعار انخفضت» يجب أن تكون خاضعة لشروط الصدق مادامت مكافئة لـ «الأسعار انخفضت»، وهو ما يفضي إلى نتائج خاطئة منطقيّا، وعليه وجب التخلّي عنها. ونريد أن نعود إلى هذه الفرضية محاولين أن نجد لها روافد من الدّرس النّحويّ العربيّ أساسا.

الكلمات المفتاح: إنشائيّ، خبر، فرضية إنشائية، مفارقة الإنشاء، موقف، مقول، جهة تعبيرية.

Résumé

Sur la base du principe de l'exprimabilité, J. R. Ross a proposé en 1970, dans un article intitulé *On Declarative Sentences*, une analyse performative de la phrase déclarative. À travers cette analyse, il a considéré celle-ci, au niveau de sa structure profonde, comme une phrase performative dont le verbe performatif est implicite, de la

même manière qu'il est implicite dans les «énoncés primaires», pour reprendre l'expression d'Austin. Une phrase comme « Les prix ont chuté » doit être analysée comme un acte performatif implicite composé, au niveau de sa structure profonde, d'un verbe performatif («J'affirme (que)») et d'un contenu propositionnel («Les prix ont chuté»). Cependant, cette hypothèse performative a rencontré une vive critique de la part des logiciens; W. Lycan l'a appelée «performadoxe». Ce paradoxe signifie que «J'affirme que les prix ont chuté» doit être soumis à des conditions de vérité tant qu'il est équivalent à «Les prix ont chuté», ce qui mène à des résultats inacceptables. Il a donc conclu que l'hypothèse performative doit être abandonnée. Nous souhaitons revenir sur cette hypothèse en essayant de de lui apporter des appuis provenant notamment de la leçon grammaticale arabe.

Mots-clés : Performatif, Constatif, Hypothèse performative, Performadoxe, Modus, Dictum, Modalité.

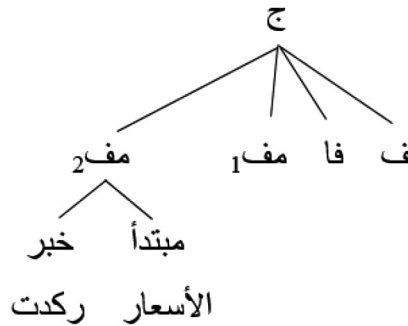
مقدمة

تعود التداولية اللسانية في أصل وضعها إلى فلسفة اللغة، إلا أنها نفخت الروح في المقاربات اللغوية وسنحت بكسر هيمنة التركيب على الدراسات اللسانية؛ أسس أستين (1962) تأملاته في اللغة على قاعدة رفض «الوهم الوصفي» (l'illusion descriptive)، ذلك أن من الأقوال ما هو إثبات خادع (Pseudo-affirmation)؛ هو إثبات في ظاهر التركيب إلا أنه لا يخضع لمقولة الصدق والكذب دلاليًا. وإذا كان ذلك كذلك، فوظيفة اللغة الأساسية بالنسبة إلى أستين، وسيرل من بعده، ليست وصف الكون، وإنما هي إنجاز عمل في الكون، وفي كل جملة من هذا المنطلق عمل متضمن في القول (acte illocutoire) هو عنصر لازم لتأويلها، والمؤشر الدال على هذا العمل إنما هو الفعل الإنشائي الذي قد يكون مظهرًا أو مضمرا، ولكن لا يخلو منه قول، ويمكن أن يدرك اعتمادا على مبدأ الإبانة (principe de l'exprimabilité).

وتعتبر مقولة الإنشاء (performatif) حجر الزاوية في نظرية الأعمال اللغوية الأستينية والسيرلية من بعدها. ولئن شهدت الدراسات التداولية العرفانية تطوراً وتفرعاً كبيرين سيّما مع نظرية المناسبة، فإن ذلك لم يصرف تحليل الخطاب عن الاعتماد على التحليل الإنشائي منطلقاً أساسياً في فهم المعنى واستخلاص مقاصد المتكلم من ورائه. ونريد أن نعود في هذه الورقة البحثية إلى «الفرضية الإنشائية» (l'hypothèse performative)، فننظر في دعائمها وأسباب تهاويها أمام «مفارقة الإنشاء» (le performadoxe).

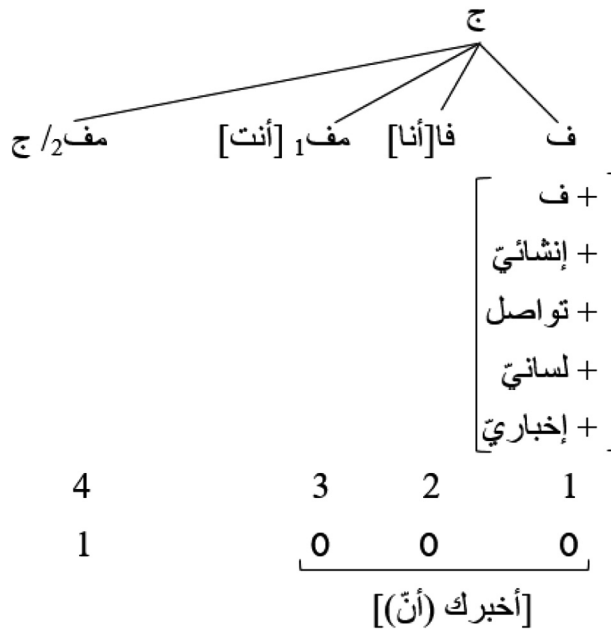
1 - الفرضية الإنشائية

اعتماداً على مبدأ الإبانة، اقترح باحث لسانيّ يدعى جون روبرت روس (J. R. Ross) في إطار دلاليّ توليديّ، في مقال بعنوان «في الجمل الخبرية» (On Declarative Sentences سنة 1970، تحليلًا للجملّة الخبرية على قاعدة الفعل الإنشائيّ، بات يعرف بالفرضية الإنشائية. وذهب فيه إلى أنّ البنية العميقة لجملّة⁽¹⁾ خبرية مكافئة لبنية جملّة إنشائية صريحة من قبيل «أمرّك أن...» أو «أعدك أن...»، والإنشاء فيها ضمنيّ يقوم على: فعل إنشائيّ يحدّد العمل المتضمّن في القول (ف)، وفاعل يحيل على الباث (فا)، ومفعول أوّل يحيل على المتلقّي (مف₁)، وأمّا الجملّة المظاهرة فهي في هذه البنية العميقة مفعول ثان (مف₂). ويقدم روس تمثيلاً لجملّة (1) «الأسعار ركّدت» مشجّراً على النحو التالي:



(1) يميز جون لاينز (John Lyons) بين ما يسمّيه الجملّة النّصّية (text sentence) وما يسمّيه الجملّة النّظاميّة (system sentence)، والأولى، بما هي كيان نحويّ منجز في مقام معيّن، هي ما نقصده هنا (1977, II; 385-388).

وتعجيم المحلّات الشاغرة (0) في هذا التمثيل المجرّد على النحو التّالي:



فالجملّة الخبريّة إذن، بحسب الفرضيّة الإنشائيّة، إنشائيّة ويجب أن تحلّل على هذا الأساس. و"الجمل الخبريّة، كما في (1)، يجب أن تحلّل باعتبارها إنشائيّة ضمنيّاً، ويجب أن تكون مشتقّة من بنى عميقة تحتوي فعلاً إنشائيّاً رئيسيّاً ممثلاً تمثيلاً صريحاً" (1970). ومعنى هذا أنّ الخبر (constatif) من أنواع الإنشاء، وأنّ في الجملّة الخبريّة الصّريحة فعلاً إنشائيّاً مضمرّاً كامناً في بنيتها العميقة، فجملّة من قبيل «سأعود» مثلاً هي مكافئ إنشائيّ لجملّة «أعدك أنّي سأعود»، ويمكن أن تكون في السّياق المناسب مكافئاً لجملّة «أخبرك أنّي سأعود» أو غيرها من الأعمال اللّغويّة ممّا يحتمله السّياق، وهي في جميع الاحتمالات جملّة إنشائيّة. ويرد الفعل الإنشائيّ الصّريح في صدارة الجملّة ضرورة، وهو الذي يوجّهها بقوّة الإنشائيّة، فإن لم يرد في صدارتها فما هو بفعل إنشائيّ، ذلك أنّ «الأفعال الإنشائيّة لا يمكن أن تستعمل استعمالاً إنشائيّاً في متممات» (السّابق)، ف«أعترف بأنّي أعدك أن آخذك إلى السّينما» مثلاً، ما هي بجملّة وعديّة، وإنّما هي اعتراف بوعد منجز سلفاً.

والطرح ذاته ذهب إليه جورج لاکوف (George Lakoff) مدافعا عن نظرية الدلالة التوليدية، معتبرا أنّ البنية النحوية العميقة لجملّة ما يجب ألاّ تحيد عن شكلها المنطقيّ، وهو ما يعني أنّ «القوّة المتضمّنة في قول ما تمثّل في شكلها المنطقيّ باستحضار فعل إنشائيّ يمكن أن يظهر أو ألاّ يظهر على الشكل السطحيّ للجملّة» (1970)، وإذا كان هذا لا يثير إشكالا في ما يتعلّق بعملية الأمر والاستفهام، فإنّه محلّ سجال في ما يتعلّق بالجمل الخبريّة البسيطة. غير أنّه في حكم البديهيّ بالنسبة إلى لاکوف أن يُستحضر فيها أيضا مثل هذا الفعل، ف«حتّى الأخبار يجب أن تمثّل في مستوى شكلها المنطقيّ باستحضار فعل إنشائيّ معناه من قبيل «قال» أو «أثبت»» (السابق)، ويلفت لاکوف الانتباه إلى أنّ التصديق والتكذيب لا يلحقان هذا الفعل الإنشائيّ، وإنّما المضمون الخبريّ المتعلّق به، فيقول: «لاحظ أنّ المضمون القضويّ في الأخبار لا القول بكليّته، هو ما يكون صادقا أو كاذبا» (السابق).

الحقّ أنّ افتراض إطار إنشائيّ مقدّر للجملّة عموما، بما في ذلك الجملّة الخبريّة، لم يتدعه روس ولا رواد نظرية الأعمال اللغويّة، وإنّما الجديد ههنا هو محاولة تقديم فرضيّة دلاليّة توليديّة كليّة تدرج الإطار الإنشائيّ للأقوال في بنية عميقة تتلاشى فيها الحدود بين التركيبيّ (Syntaxique) والدلاليّ (sémantique) والتداوليّ (pragmatique)؛ أي بين مستويات المعنى الثلاثة التي أسّس لها موريس (Charles W. Morris) (1938)، والتي ما فتئت تتعرّض للنقد سيّما مع أنصار هذه الفرضيّة الإنشائيّة؛ فقوّة القول ههنا ليست تأويلا تداوليّاً يأتي بعد التأويل الدلاليّ والتركيبيّ، وإنّما هي مكوّن أساسيّ يحتلّ موضع الصدارة في البناء التركيبيّ للجملّة وإن كان مضمرا.

2 - الموقف والمقول عند بالي

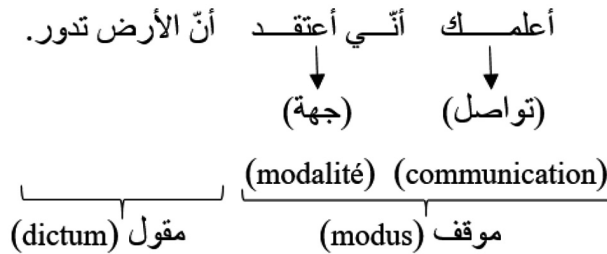
ومن التّصوّرات المعروفة في باب وضع الجملّة في إطار إنشائيّ مقدّر، التّمييز بين الموقف (Modus) والمقول (Dictum) عند شارل بالي (Ch. Bally) (1932). أن نفكر بالنسبة إلى بالي، معناه أن نتفاعل مع تمثيل ما بملاحظته أو

استحسانه أو طلبه. والشكل المنطقي لهذا المفكر فيه يقوم على عنصرين ضرورة: أما العنصر الأول فهو التمثيل المتلقى من الدماغ عبر الحواس أو الذاكرة أو الخيال...، وأما العنصر الثاني فهو العملية التي ينجزها في شأنها الفاعل. وتتكون الجملة الصريحة، على أساس هذا التشقيق، من:

■ مضمون قضوي وهو تمثيل القضية المعنوية ويسميه مقولا،

■ وعبرة عن الموقف وهي «القطعة الرئيسية في الجملة، القطعة التي من دونها لا توجد جملة» (السابق؛ 36)، ويسميتها موقفا، وفيه عنصران: فعل جهي (verbe modal) ومن أمثلته «أعتقد» و«أتمنى» وما إلى ذلك، وفاعل جهي (sujet modal) وهو الذات المفكرة المتكلمة، وهو ما قال عنه الشريف «إنه الكائن المطلق، المتكلم المطلق، إنه الدماغ الإنساني المنشئ للغة» (2002، I؛ 506)، وليس شيئا آخر غير المتكلم المثالي بمصطلحات النحو التوليدي (grammaire générative).

ويقترح بالي، اعتمادا على هذا الشكل المنطقي للجملة الخبرية، تحليلا لجملة من قبيل «الأرض تدور» على النحو التالي (1932؛ 50):



على أن هذه الدعامة المزدوجة (double armure) المقدرة في كل قول، بحسب بالي، قل أن تتحقق صريحة على هذا النحو لثقلها، ويمكن أن يتحقق الموقف القضوي الصريح بفعل جامع يجمع بين التواصل والجهي في آن، من قبيل «أثبت» مثلا، فتقول:

«أثبت أن الأرض تدور»

وبالمثل، فإنّ جملتين من قبيل:

1 - اخرج

2 - كم الساعة؟

معناها تباعا، في مستوى الشكل المنطقيّ المقدّر:

1_أ - (أمرك) أن تخرج.

1_ب - (أعلمك أنني أريد) أن تخرج.

2_أ - (أسألك) كم الساعة؟

2_ب - (أعلمك أنني أريد أن أعرف) كم الساعة.

هذه الجملة العميقة على نحو ما نظر لها بالي تتعلّق إذن بالأعمال اللّغويّة المختلفة، وحججه على هذه الجملة النّفسية المقدّرة ترجع إلى المنطق اللّغويّ بالأساس. يقول: "للجهة عبارة منطقيّة وتحليليّة تتمثّل في فعل جهي [...]، وفاعله، فاعل جهي؛ وكلاهما يكوّنان الموقف، وهو مكملّ المقول" (1965: 36)، ولا نجد في تحليل بالي لهذا الشكل المنطقيّ العميق للجملة تحليلا مشكلنا موسّعا غير أنّنا نجد في هذا التّنظير للموقف القضويّ المستلزم في كلّ جملة رافدا قوياّ لإنشائية العمل المتضمّن في القول على نحو ما نظر لها روس، وإن كان بالي لم يستعمل عبارة «الإنشاء».

3 - عمل المتكلّم في الدّرس النّحويّ

مثل هذا التّصوّر لعمل الفاعل المتكلّم في قوله، لم يكن غائبا على أذهان النّحاة العرب، وإن لم يحظ بتنظير مسهب على نحو ما فعل بالي. يقول ابن يعيش: «وإنّما عبّر بالإسناد [يقصد صاحب الكتاب]، ولم يعبر بلفظ الخبر، وذلك من قبل أن الإسناد أعمّ من الخبر، لأنّ الإسناد يشمل الخبر، وغيره من الأمر والنهي والاستفهام، فكُلّ خبر مسند، وليس كلّ مسند خبرا، وإن كان مرجع الجميع إلى الخبر من جهة المعنى؛ ألا ترى أنّ معنى قولنا: «قُمْ»: أطلّب قيامك. وكذلك

الاستفهام والنهي، فاعرفه « (شرح المفصل، I؛ 72). وللإسناد عند ابن يعيش جهتان: جهة تطلبها الصنّاعة، وجهة يطلبها المعنى؛ «أما الصنّاعة فهي تقتضي أنّ الفعل في قولك «قم» مسند إلى المخاطب المسند إليه والفاعل، وذلك رغم كونه لم يفعل شيئاً، إنّما هو مطلوب إليه أن يكون فاعلاً للقيام [...] وأما المعنى حسب ابن يعيش فيقتضي أن يكون الفعل مسنداً في الحقيقة إلى المتكلم، لأنّه هو الذي أنشأ عمل الطلب [...] فالفاعل الحقيقي هو المتكلم وفعله هو الطلب، أما المخاطب فيصبح في محلّ المفعول، المطلوب قيامه» (خالد ميلاد، 2001؛ 195). وعليه فإنّ المسند إليه في الإسناد القضويّ - وهو المخاطب ههنا - لا يمكن أن يكون فاعلاً في المعنى في مستوى الأعمال الإنشائيّة، والفاعل الحقيقيّ على جهة المعنى في هاتيك الأعمال إنّما هو المسند المتكلم، الأمر، النّاهي، المستفهم، المتمنّي، المتعجّب، العاقد...

ويقول الأستراباذي في معرض حديثه عن العامل: «[...] لأنّه [يقصد العامل] الشّيء الذي يختلف آخر المعرب به، لأنّ الاختلاف حاصل من العامل بالآلة التي هي الإعراب، فهما في الظاهر كالقاطع والسّكين، وإن كان فاعل الاختلاف في الحقيقة هو المتكلم بآلة الإعراب. إلّا أنّ النّحاة جعلوا العامل كالعلّة المؤثّرة، وإن كان علامة لا علّة، ولهذا سمّوه عاملاً» (شرح الرّضيّ، I؛ 57). فالتكلم هو وحده - بحكم معرفته باللسان الذي يتكلم به، وبحكم تأثّره به وتأثيره فيه، وبحكم قدرته على اختيار ما يشاء من العوامل المناسبة في خطابه - وحده القادر على إنتاج الطلب في مقام الطلب والخبر في مقام الخبر... فإذا كانت الكلم عاملاً بعضها في بعض، فإنّ العامل الأوّل من ورائها هو المتكلم. وذا مفاد قول السّكاكي «وإلّا فالفاعل حقيقة هنا هو المتكلم» (مفتاح العلوم؛ 67).

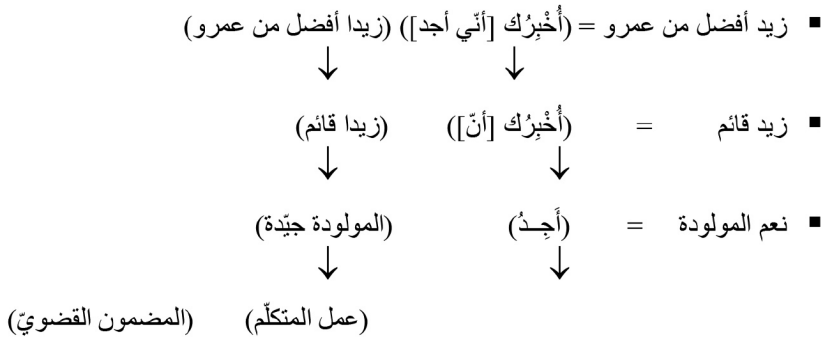
ويردّ الأستراباذي على من زعم أنّ المدح خبر بقوله: «إذا قلت: نعم الرّجل زيد، فإنّما تنشئ المدح وتحدثه بهذا اللفظ، وليس المدح موجوداً في الخارج في أحد الأزمنة مقصوداً مطابقة هذا الكلام إيّاه، حتّى يكون خبراً، بل تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الموجودة خارجاً [...] وقول الأعرابيّ لمن بشّره بمولودة [...] ليس تكذيباً له في المدح إذ لا يمكن تكذيبه فيه، بل هو إخبار بأنّ

الجودة التي حكمت بحصولها في الخارج ليست بحاصلة، فهو إنشاء جزؤه الخبر، وكذا الإنشاء التعجبي، والإنشاء الذي في «كم» الخبرية، وفي «رب» (شرح الكافية، IV؛ 238). ومعنى هذا أن في المدح والذم والتعجب والتكثير والتقليل - بحسب الرضي - جزءا خبريا يجوز فيه التصديق والتكذيب، وإن كان العمل اللغوي فيها إنشاء. وبسبب من هذا التنازع بين الخبر والإنشاء قال البرقوقي عن الأعمال الإنشائية غير الطلبية: «على أن كثيرا منها نقل من الخبر إلى الإنشاء» (التلخيص؛ 151).

وتبرير عدم جواز التكذيب في تلك الإنشاءات غير الطلبية بمثل هذا العمل الإنشائي المضمّر المتروك إظهاره، لم يقتصر في حقيقة الأمر على الإنشاء، وإنما تعدّاه ليشمل الخبر أيضا، على أنه لم يعد - بضرب من المصادر - نوعا من أنواع الإنشاء. يقول الرضي: «إذ يطرد ذلك في جميع الأخبار لأنك إذا قلت: زيد أفضل من عمرو، ولا ريب في كونه خبرا، لم يكن أن تكذب في التفضيل ويقال لك: إنك لم تفضل، بل التكذيب إنما يتعلّق بأفضلية زيد، وكذا إذا قلت: زيد قائم وهو خبر بلا شك، لا يدخله التصديق والتكذيب من حيث الإخبار، إذ لا يقال إنك أخبرت أو لم تخبر» (شرح الكافية، IV؛ 238). ومعنى هذا:

■ أن جملة «زيد أفضل من عمرو» و«زيد قائم» لا يجوز فيهما التكذيب والتصديق من جهة عمل الإخبار فيهما، وإنما يجوز ذلك من جهة المضمون القضوي في كلّ منهما،

■ وأن جملة «زيد أفضل من عمرو» مكافئة، من جهة عمل المتكلم المستكن فيها، لجملة «زيد قائم» والجملتان مكافئتان، من جهة زاوية النظر ذاتها، لجملة «نعم المولودة»، وفي جميعها عملان إسناديان: عمل إسنادي مظهر، وعمل تعبيرّي مضمّر مستكنّ فيها هو عمل المتكلم المتروك إظهاره. وتمثيل ذلك على النحو التالي:



ويستتبع هذا أنّ في التأكيد والاستدراك والتشبيه أيضا معنى إنشائي لا يجوز فيه التصديق والتكذيب، فلا يقال لمن قال: «إنّ زيدا قائم» لم تؤكّد، ولا يقال لمن قال: «... لكنّ زيدا قائم» لم تستدرك، ولا يقال لمن قال: «كأنّ زيدا أسد» لم تشبّه، وإنّما يلحق التكذيب موضوع التأكيد وموضوع الاستدراك وموضوع التشبيه، وأمّا التأكيد والاستدراك والتشبيه فأعمال لا يلحقها التكذيب، وهي لئن كانت من معاني الإخبار، فالإخبار خارج عن مدلول الجملة الخبريّة، بقول السلطان آبادي: «الإخبار إنّما يتحقّق بالاستعمال لأنّه عبارة عن قصد الحكاية فيكون خارجا عن مدلول الجملة الخبريّة» (حاشية الصّبّان، I؛ 75). وما منع النّحاة من إدراج هذه المعاني ضمن أنواع الإنشاء - رغم أنّها كالتمنّي والرجاء تؤدّي بحروف مشبّهة بالفعل - هو اعتبارهم الخبر قسيما للإنشاء لا جزءا منه.

ومعنى هذا:

■ أنّ جميع الأخبار، تماما كإنشاء الانفعال، فيها في مستوى بنيتها العميقة، عملٌ تعبيريّ للمتكلّم، لا يجوز فيه التصديق والتكذيب، ومن ثمّ، ففيها، من هذه الزاوية، عمل إنشائيّ،

■ وأنّ التصديق والتكذيب لا يصيبان عمل المتكلّم وإنّما المضمون القضويّ،

■ وأنّ الأستراباذي كافأ بين «إنشاء الانفعال» و«إنشاء الخبر» دون كثير إقناع، إذ تستلزم هذه «المكافأة» منطقيّا أن تدرج هذه الأعمال - مادامت في بنيتها العميقة متكافئة - في مجال عمل لغويّ واحد، وهو ما لم يمض فيه.

مثل هذه القراءة في البنية الدلالية العميقة للمدح والخبر تبدو قريبة جدًا من الفرضية الإنشائية على نحو ما نظر لها روس، غير أنّها لم تتجاوز الملاحظة العابرة إلى ما يفترض أن يستتبعها من توقّف وتثبت وتقليب. ولقد وجدت فرضية روس في البدايات صدى إيجابيًا، سيّما أنّها نجحت في تقديم قاعدة أصلب للتمييز السيرلي بين واسم القوة المتضمنة هي القول (ق) (F)، وواسم المضمون القضويّ (ض) (p)، فهذه الواجهة الإنشائية تطابق في جميع الحالات (ق).

4 - مفارقة الإنشاء

اصطدمت هذه الفرضية بمعارضة شديدة من قبل بعض فلاسفة اللغة، تلخّص في ما أسماه ويليام لا يكن (William Lycan) مفارقة الإنشاء (/ performadox performadoxe) (1984; 131-156)، ومفادها أنّ فرضية الإنشاء تفضي إلى مفارقة في أغلب الجمل الخبرية، بما أنّ البنية العميقة لجملة ما، تتطابق مع تحليلها الدلالي أي شكلها المنطقي، ومع شروط الصدق فيها. فإذا كانت الجملة (2) «القطّ على الأريكة» متطابقة مع الجملة (3) «أثبت أنّ القطّ على الأريكة»، فلا يجوز أن نقول إنّ الجملة (2) صادقة إذا، وفقط إذا، كان القطّ على الأريكة، ولكن ينبغي أن نقول إنّ الجملة (2) صادقة إذا، وفقط إذا، كان الباث يثبت أنّ القطّ على الأريكة. ومعلوم أنّ صدق الجملة (2) لا يتعلّق بحدث الإخبار الذي أنجزه الباث، وإنّما بحدث استقرار القطّ على الأريكة. فالفرضية الإنشائية تستلزم إذن واجهة إنشائية في كلّ قول، وهذه الواجهة تفضي إلى نتائج غير مقبولة؛

■ فإمّا أنّه لا يجوز تأويلها دلاليًا (لكي لا نستخلص شروط صدق خاطئة)، وتكون الجملة حينها غير قابلة للتأويل،

■ وإمّا أنّه يجوز تأويلها دلاليًا (لكي تكون الجملة قابلة للتأويل)، وتكون شروط الصدق حينها خاطئة.

وبما أنّ النتيجة في كلتا الحالتين غير مقبولة منطقيًا، ذهب لا يكن إلى ضرورة التخلّي عن هذه الفرضية الإنشائية. غير أنّنا نجد في هذا القياس المنطقي المتماusk في ظاهره مغالطة، إذ أجرى لا يكن شروط الصدق على فعل إنشائي،

وهو ما لا يجوز بحال؛ فلا يجوز أن نقول « إنَّ الجملة (2) صادقة إذا، وفقط إذا، كان الباث يثبت»، سواء أظهر الفعل الإنشائي الواسم للقوة المتضمنة في القول أم لم يظهر. وتظلَّ الجملة مع ذلك قابلة للتأويل؛ تأويلاً إنشائياً يتعلّق بالقوة المتضمنة بالقول، وتأويلاً خبرياً يتعلّق بالمضمون القضويّ، ف«الإخبار بإنشاء أيضاً» (المبخوت، 2010؛ 140). ولعلَّ مرجع مجانية الصواب هذه ان يعود إلى عدم الانتباه إلى منوال [ق (ض)] [F (p)] (Searle, 1972; 69) أو عدم تمثله، ولعله توهم مقولة الصدق والكذب مقولة تجريدية عليا:

5 - منوال [ق (ض)]

تخضع الأقوال كلّها بحسب سيرل لهذا المنوال، إلّا أنّ منها ما لا يحتوي إلّا على (ق) (وهي رمز القوة المتضمنة في القول). ف (ق) لازم و(ض) (وهي رمز المضمون القضويّ) غير لازم، وإذا قلنا: «يا محمّد» فما من (ض) ههنا، ولا يستقيم مطلقاً أن نخضع فعل «أدعو» المضمّر لمقولة الصدق والكذب، إذ هو فعل إنشائيّ، ولا يُخضع الفعل الإنشائيّ لشروط الصدق (conditions de vérité) وإنّما لشروط النّجاح (conditions de félicité). وبحسب قاعدة الانخزال لدى الشّريف، «تنخزل الجملة النّدائيّة [...] مهما طالت إلى دلالة «يا»» (2002؛ I؛ 505)، و«يا» غير قابلة للتّصديق والتّكذيب.

وأما في قول المتنبيّ: «يا من يعزّ علينا أن نفارقهم»، فثمّة (ض) وهي «يعزّ علينا أن نفارقهم»، ويجوز أن نخضعها لشروط الصدق فنقول: «إنَّ (ض) صادقة إذا، وفقط إذا، كان المتنبيّ يعزّ عليه فعلاً فراق المتلقّي». فالكلام إذن لا يمكن أن يحتمل التّصديق والتّكذيب في كليته مطلقاً، بما أنّ (ق) إنشائيّ أبداً، وإنّما الذي يحتمل التّكذيب إنّما هو المضمون القضويّ وهو جزء من بعض أصناف الإنشاء ولا يمكن أن يكون كلاً وإن بدا في ظاهر العبارة كذلك. ولنا أن نتأمّل الأمثلة التالية:

أ₁ - لماذا تأخّرت؟

أ₂ - آمرك أن تسجن هذا الذي خان الأمانة.

أ₃ - أعدك أن آتي غدا.

أ₄ - سأتي غدا.

أ₅ - أعلم أنني سأتي غدا.

لئن كان العمل اللغويّ في (أ₁)، في المقام الملائم، هو الاستفهام - وهو ممّا لا يقبل التصديق والتكذيب - فإنّ فيها عملاً خبرياً يقبله من دون شكّ، وهو «تأخّرت»، فيجوز أن يجيب المجيب: «ما تأخّرت»، فيكذب بذلك المضمون القضويّ (ض) الوارد جزءاً من الاستفهام (ق).

ولئن كان العمل اللغويّ في (أ₂) الأمر، في المقام الملائم، فإنّ فيه مضموناً قضوياً يحتمل التصديق والتكذيب، هو «خان الأمانة»، فيملك المتلقّي أن يجيب «ما هو بخائن»، فيعدل بذلك عن (ق) إلى (ض).

أمّا (أ₃)، فالعمل اللغويّ فيها هو الوعد، وهو عمل إنشائيّ بامتياز في نظريّة الأعمال اللغويّة، وقد خصّه سيرل بالتحليل في عرضه شروط العمل المتضمّن في القول (1972; 98 sq.)، إلّا أنّ في هذا الإنشاء، عملاً قضوياً يجوز فيه التصديق والتكذيب وهو «آتي غدا»، وبسبب من هذا عدّ «الوعد» خبراً وصنّف صنفين: «وعدا كاذباً» و«وعدا صادقاً».

فأمّا (أ₄)، فإنشاء بحسب الفرضية الإنشائية، غير أنّ الفعل الإنشائيّ الواسم للمضمون القضويّ فيه مضمّر، وهو متنازع على الأقلّ بين فعّلين من صنفين إنشائيّين مختلفين: «أعدك» و«أخبرك»، وهذه صعوبة تداوليّة لا يمكن إنكارها، غير أنّ إنكار الفرضية الإنشائية لا يزيل عن القول قوّته المتضمّنة فيه، بما أنّ (ق) - بحسب المنوال السيرليّ - لازم في كلّ قول، وتطلّ هذه القوّة المتضمّنة قابلة للتأويل وإعادة التأويل بحسب المقام الملائم، ولا يجوز أن تخضع لشروط الصّدق بأيّ حال، وإنّما الذي يخضع لها المضمون الخبري المظهر «سأتي غدا».

وأمّا (أ₅)، فلا تختلف دلاليّاً عن «أعلمك أنني سأتي غدا»، وإنّما الفرق بين هذه وتلك تركيبّي لا دلاليّ؛ ولئن كان «اعلم» في صيغة الأمر، فليس فيه دلاليّاً شيء

من طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء أو غيره، وهو مكافئ لـ «أعلمك» من حيث المعنى، وكلاهما لا يجوز أن يخضع لشروط الصدق، بما أنه فعل إنشائي يحيل على عمل المتكلم في الحال، حال مبتدؤها لحظة القول ولا يمكن أن تمتد إلى ما قبلها.

6 - لبس ضابط الصدق والكذب وقصوره

يقول الأسترباذي: «ومعنى الصدق مطابقة الكلام للخارج، والكذب عدم مطابقته له» (شرح الكافية، IV؛ 11). فالخارج إذن هو المحك الذي يعرف به صدق الكلام من كذبه. فإن طابق الكلام الخارج فهو صادق، وإلا فهو كاذب. وليس الكذب بمدلول مباشر للكلام، وإنما هو احتمال عقلي منطقي ينتج عن احتمال الصدق لأن «جميع الأخبار من حيث اللفظ لا تدل إلا على الصدق. وأما الكذب فليس بمدلول لفظي، بل هو نقيض مدلوله» (شرح الكافية، I؛ 326). فإذا قلت: ضرب زيد أو زيد ضارب، فقد علمت أن المتكلم زعم الصدق في الحكم على نسبة الضرب إلى زيد. وبما أن الصدق وارد في هذا الزعم، فإن الكذب أيضا وارد فيه. يقول المبخوت: «الصدق نحوي أساسا لقيام البنية النحوية عليه ولكن الكذب سياقي تعاملي» (2010؛ 120).

فالكلام بما هو قول يُحكم فيه بنسبة تصوّر إلى تصوّر، يمكن أن يتطابق مع الخارج فيكون الكلام صادقا، ويمكن ألا يتطابق معه فيكون كاذبا. على أن الأمر ليس بهذه البساطة التي قد يبدو عليها للوهلة الأولى «فإذا لم يكن هناك خارج فكيف تكون المطابقة وعدمها» (شرح الكافية، I؛ 11)، ثم ما الخارج الذي نختبر به صدق النسبة الداخلية في الكلام ذي المضمون الخيالي أو المجرد؟

ذهب الجمهور إلى أن الخبر منحصر في الصدق والكذب، «ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له. هذا هو المشهور وعليه التعويل. وقال بعض الناس: صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له» (القزويني، الإيضاح؛ 25)، فمن أخبر بخبر يعتقده، ثم ظهر خبره بخلاف الواقع، فلا يقال «كذب» ولكن «أخطأ».

ويُحتجّ في ربط الخبر باعتقاد الصدق فيه بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون؛ 1)، ووجهه أن الله تعالى المنافقين في قولهم: «إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ»، ولو كان مجرد المطابقة للواقع كافياً في الصدق، لما جاز تكذيبهم، وإنما جاز ذلك لأنهم لم يعتقدوا صدقه، فكذبوا حينئذ على عدم المطابقة للاعتقاد لأنهم لما أتوا بالمشهود به مطابقاً للواقع لكنهم كانوا معتقدين بخلاف ما أتوا به - فكذبوا لذلك» (البابرتي، شرح التلخيص؛ 166-165). ورّد هذا الاستدلال بأن المعنى لكاذبون في الشهادة لا مضمونها، «أي توجه التكذيب إلى قولهم نشهد وادّعائهم فيه مواطأة القلوب للألسن» (السابق؛ 166)، وفي هذا الردّ أيضاً مناقشة لطيفة، إذ قد يقال: «نشهد إنشاء فليس ممّا نحن فيه» (السابق). وبالجملة فإنّ الحدّ بين الصدق والكذب في الخبر ملتبس، غير أنّ معيار المطابقة للواقع «هو المشهور، وعليه التّعويل» (السابق؛ 165).

إنّ الكلم والأقوال الإحالية إحالة تامّة هي مبدئياً تلك التي يمكن أن توسم بالصدق والكذب، بحسب مطابقتها للواقع الموصوف أو عدمها. فهي تتضمن إذن، على حدّ عبارة المنطقة قيمة الصدق (valeur de vérité). وليست جملة «مه» مثلاً يجوز أن يوسم بالصدق والكذب، أي ممّا يتضمن قيمة الصدق، فهي إذن تنتمي إلى مستوى دلاليّ آخر غير الإحالة بهذا المفهوم؛ مستوى النجاح والفشل؛ النجاح إن تحقّق الطلب، والفشل إن لم يتحقّق.

وإذا كان مثل هذا القول ممّا لا يجوز أن يوسم بالصدق والكذب، بل يجوز أن يوسم بالنجاح أو الفشل، فإنّ من الأقوال ما لا يجوز فيه إلّا النجاح. وهذا مستوى ثالث من المعاني نلّمسه في قول من قبيل «أعدك!». ومثل هذا القول لا يمكن أن ينسحب عليه معيار الصدق والكذب، ولا معيار النجاح والفشل، إذ هو ناجح آلياً؛ فالوعد منجز بمجرد التصريح به. فأما الوفاء بالوعد، فمسألة أخرى لا تتعلّق بمعنى القول.

يمكن إذن، تصنيف الأقوال، على وجه الإجمال، بحسب معانيها، إلى صنفين: صنف ما يهّم فيه قيمة الصّدق، وصنف ما يهّم فيه نجاعة القول. وليس معنى ذلك أنّ هذا الصّنف الثّاني لا يمكن أن يتضمّن عناصر إحاليّة، فقول من قبيل «أغلق الباب» مثلاً، يجب أن يحيل الباب فيه على مرجع قابل للتّعيين في الواقع الخارجيّ، وإلاّ ظلّ تأثير الطّلب فيه معلّقاً.

مفهوم الصّدق إذن يجب ألاّ يفهم على أنّه التّلاؤم مع معطيات الكون. ذلك أنّ القول الخبريّ يقدّم فقط على أنّه صادق، يقدّمه الباثّ ويسعى إلى تمريره على هذا الأساس. وليس مهمّاً، بالنّسبة إلى اللّسانيّ، أن يكون الباثّ مخطئاً أو كاذباً، أو أن يمرّر ما يعتقدّه صادقاً على أنّه صادق، أو أن يمرّر ما يعتقدّه كاذباً على أنّه صادق. فـ«صدق القول صدق نسبيّ». والقول ينتمي إلى «عالم» الباثّ (Martin, 1983; 227)

7 - وهم مقولة الصّدق والكذب مقولة عليا

نحن لا ننكر نجاح الصّناعة المنطقيّة في السّيطرة نسبيّاً على جانب مثير من الدّلالة عبر مقولة الصّدق والكذب، وذلك «لم يكن لو لم تفقر الأبنية النّحويّة باختيار بعضها واختزال بعضها إلى بعض، ثمّ بحصر دلالتها في مجرد التّعبير عن الصّدق والكذب» (الشّريف، 2002، I؛ 121)، ولا ننكر «أنّ البنية المنطقيّة البسيطة جزء من النّحو» (السّابق؛ 119)، ولكنّ ما ننكره على لا يكتفينا ومن لفّ لفّه، تنزيلهم (1) «القطّ على الأريكة» منزلة (2) «أثبت أنّ القطّ على الأريكة»، أي تنزيلهم المضمون الخبريّ الصّرف منزلة العمل الإنشائيّ مطعماً بمضمون خبريّ، في حين أنّهما من مستويين تجريديين مختلفين، ومن جدولين مختلفين: فـ(1) أقوى من (2) من جهة الدّلالة الافتراضيّة، وهي أفقر منها من جهة الدّلالة الرّاهنة، إذ البنية بحسب نظريّة الإنشاء النّحويّ للكون، «بقدر تجرّدها تضعف دلالتها الحاصلة وتقوى دلالتها المحتملة، وبقدر اقترابها من الإنجاز اللفظيّ تقوى دلالتها الحاصلة وتضعف دلالتها المحتملة» (2002، I؛ 119). وإذا أردنا أن نمثّل لهذه المستويات المقوليّة تمثيلاً سريعاً مختزلاً أمكننا أن نقول إنّ (2) أدنى مستوى من (1):

الوظيفة في المنطق القائم على الصدق والكذب. فينبغي أن تكون البنية النحوية في مستوى تجريديّ معيّن صادقة وصادقة فقط، وفي مستوى آخر قابلة للتصديق والتكذيب» (الشريف، 2002، I؛ 127). ومقولة الصدق والكذب هذه لا تقع على الجملة في كليتها، وإنما فقط على المضمون الخبري الإحالي، وأما الشحنة التعبيرية الإنشائية فمن مجال النجاح لا الصدق.

ولعلّه من المفيد هنا أن نعرج على مفهوم العمل اللغوي في الميكانيك-النفسية للغة (psychomécanique du langage)؛ يقول جيوم (Guillaume): «وجب أن يؤخذ العمل اللغوي في ألسنتنا باعتباره مجموع العبارة والتعبيرية» (PLT; 148). وصيغته الرياضية التي ما فتى جيوم يرددها:

$$\text{عبارة (expression) + تعبيرية (expressivité) = 1}$$

إنّ التعبيرية عند جيوم هي ما يجعل كلمة مفردة جملة. ومن أمثلة ذلك: هدوء! أو النجدة! «ولكن، إذا ما حذفنا هنا التعبيرية فلا وجود لجملة. فالجملة في التعجب [من قبيل] هدوء! لوحة! إنما تتأتى من أنّ تعبيرية متّجهة مهمّة تنضاف إلى الكلمة المستعملة» (السابق؛ 149). ومن دون هذه التعبيرية المتّجهة (expressivité vectrice) لا تكون الكلمة مفردة جملة. ولعلّ أسماء الأفعال من قبيل «آه!» و«أف!»...، أن تكون أمثلة على التعبيرية التي ألغت إلى حدّ ما العبارة؛ فصارت الكلمة مفردة، في مثل هاتيك الأمثلة، جملة، «جملة المتّجهة فيها ليست الفعل، وإنما هي الحركة التعبيرية، محمولة على أقصاها» (السابق؛ 150).

خاتمة

فالكلام إذن إنشاء كلّ، ومنه ما كان جزؤه الخبر، ومنه ما هو إنشاء محض، وما كان جزؤه الخبر يحتمل التكذيب ويخضع لشروط الصدق وإن لم يكن إخباراً في مستوى عمله اللغوي، والذي يحتمل التكذيب إنما هو المضمون الخبري لا العمل الخبري. ومما يزيد في تعقيد الأمر في الخبريات، الاشتراك المصطلحي بين «الخبر» باعتباره عملاً لغوياً إنشائياً لا يخضع لشروط الصدق، و«الخبر» باعتباره مضموناً قضوياً خاضعاً لشروط الصدق. وبسبب من هذا نقترح

أن نستعيض عن «الخبر» بـ«الإخبار» في الحديث عن العمل اللغوي المتضمن في القول، ونقصر «الخبر» على المضمون القضوي. فنقول: إن «أثبت» في «أثبت أن القط على الأريكة» لا يصلح موضوعاً لاختبار شروط الصدق فيه لأنه يحيل على الإخبار، وإنما الذي يصلح لذلك هو الخبر الوارد بعده سواء كان مظهراً أو مضمراً.

فما يقبل التصديق والتكذيب إذن، ليس الإخبار (أي العمل الخبري)، وإنما هو الخبر (أي المضمون القضوي الخبري) فيه، أو في غيره من الأعمال اللغوية. والأعمال اللغوية إنشائية كلها، ولا يمكن أن تكون إلا كذلك. على أن في مسألة الإنشاء تعقيداً حقيقياً لا يقتصر على الجوانب الصرفية والتركيبية، وإنما يتجاوزها إلى طبيعة المسألة في عمقها المنطقي؛ فإذا انطلقنا من مصادرة أن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب وإما ألا يحتمله، أفضى بنا ذلك إلى تصنيف ثنائي للكلام. في حين أن المسألة في ما نزعم غير ذلك، فالكلام لا يحتمل التصديق والتكذيب في كليته أبداً، وإنما الذي يحتمله هو المضمون القضوي فيه، والمضمون القضوي جزء من بعض أصنافه ولا يمكن أن يكون كلاً وإن بدا في ظاهر التركيب كذلك.

ثبت اصطلاحِي:

Affirmation	إثبات
Pseudo-affirmation	إثبات خادع
Performatif	إنشاء
Expressivité	تعبيرية
Expressivité vectrice	تعبيرية متجهة
Modalité	جهة
Constatif	خبر
Double armure	دعامة مزدوجة

Conditions de vérité	شروط الصدق
Conditions de félicité	شروط النجاح
Expression	عبارة
Acte illocutoire	عمل متضمّن في القول
Sujet modal	فاعل جهي
Verbe modal	فعل جهي
Principe de l'exprimabilité	مبدأ الإبانة
Vecteur	متّجهة
Contenu propositionnel	مضمون قضوي
Performadoxe	مفارقة الإنشاء
Dictum	مقول
Modus	موقف
Psychomécanique du langage	الميكانيك-النفسية للغة
Grammaire générative	نحو توليدي
Illusion descriptive	وهم وصفي

قائمة المصادر والمراجع العربية

- ابن يعيش (موفق الدين)، شرح المفصل، تقديم إميل بديع يعقوب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001.
- الأستراباذي (رضي الدين)، شرح الرّضيّ على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، بنغازي - منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الثانية، 1996.
- البابر تي (أكمل الدين)، شرح التّليخيص، تحقيق محمّد مصطفى رمضان صوفيه، المنشأة العامة للنشر والتّوزيع والإعلان - طرابلس.
- البرقوقي (عبد الرّحمان)، التّليخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرّحمان البرقوقي، دار الفكر العربيّ.
- السّكّاكي (أبو يعقوب يوسف)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه نعيم زرزور، بيروت - لبنان، دار الكتاب العلميّة، الطبعة الثانية 1987.
- السّلطان آبادي (محمّد)، الحاشية على كفاية الأصول، المجتبى للطباعة المحدودة، الطبعة الثانية، - 2019.
- الشّريف (محمّد صلاح الدين)، الشّروط والإنشاء النّحويّ للكون، جامعة منّوبة، منشورات كليّة الآداب، 2002.
- القزويني (جلال الدين)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة - بيروت لبنان.
- المبخوت (شكري)، دائرة الأعمال اللّغويّة مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2010.
- ميلاد (خالد)، الإنشاء في العربيّة بين التّركيب والدّلالة، جامعة منّوبة، كليّة الآداب، 2001.

المراجع والمصادر الأعجمية

- AUSTIN J. L. Quand dire c'est faire, introduction, traduction et Commentaire par Gilles Lane, Édition du Seuil, 1962.
- BALLY CH., Linguistique générale et linguistique française, Quatrième édition revue et corrigée, Édition Francke Berne, 1965.
- GUILLAUME G. Principes de linguistique théorique, publiés sous la direction de R. Valin, Paris, C. Klincksieck, Québec, Presses de l'Univ. Laval , 1973.
- LAKOFF G., « Linguistics and Natural Logics, in Synthese » Springer V22, (1970), (151-271).
- LYCAN G. W., Logical Form in Natural Language, Bradford Book, The MIT Press, Cambridge, 1984.
- LYONS J, Sémantique linguistique, Traduction de J. Durand et D. Boulonnais, Librairie Larousse, 1980.
- MARTIN R., 1983, Pour une logique du sens, Presses Universitaires de France.
- MORRIS CH., Foundations of the Theory of Signs, The University of Chicago Press, Chicago and London, 1938.
- ROSS J. R., On declarative sentences, In Readings in English Transformational Grammar, Ginn and Company, 1970.
- SEARLE J. R., [1969], Les actes de langage, Préface d'Oswald Ducrot, HERMANN, 1972.

متعلّقات الفعل وتراتبية أدواره الدّلالية القضيّية والجهية

د. محمّد الصّغير بلقاسم

مخبر المباحث الدّلالية واللّسانيات الحاسوبية (LR18ES46)

كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة

الملخص

تعدّ العلاقة بين ترتيب متعلّقات الفعل النّحويّة والدّلالية من أهمّ القضايا التي شغلت الباحثين في الدّرس النّحويّ واللّسانيّ لكونها تمثّل مدخلا جوهريّا لفهم بنية الجملة ووظائفها. ومن هذا المنطلق تنزّل هذه الدّراسة ضمن نظرية الأدوار الدّلالية واللّسانيات الوظيفية مع الاستئناس بتراتبية متعلّقات الفعل في التّراث النّحويّ العربيّ. وقد خصّصناها للنّظر في مدى ملائمة ترتيب المكوّنات النّحويّة المتعلّقة بالفعل لتراتبية الأدوار الدّلالية المناسبة لها. ثمّ نهتمّ فيها بتصنيف هذه الأدوار إلى أدوار قضيّية وأخرى جهية بحسب حاجة الفعل إليها لإتمام معناه. وتتمثّل أهمّ النّتائج التي تخلص إليها هذه الدّراسة في أنّ متعلّقات الفعل تتناسب مع أدوارها الدّلالية إذا ما استثنينا وظيفتي الفاعل والمفعول وأنّ مراتب الأدوار القضيّية أو الجهية في بنية الجملة متحوّلة سلّميا. ويظلّ ترتيبها رهين ما ينتقيه الفعل من متعلّقات.

الكلمات المفتاح : متعلّقات الفعل، دور دلاليّ، دور قضيّ، دور جهيّ، سلّمية.

Abstract

The relationship between the grammatical and semantic order of verb-related objects is one of the most important issues that has preoccupied researchers in grammatical and linguistic studies, as it

represents an essential entry for understanding sentence structure and functions. From this perspective, this study falls within the theory of semantic roles and functional linguistics, drawing on the hierarchy of verb-related objects in the Arabic grammatical heritage. We devote this study to examining the suitability of the order of the grammatical components related to the verb for the hierarchy of semantic roles appropriate to them. We then focus on classifying these roles into propositional and modality roles, depending on the verb's need for them to complete its meaning. The most important results of this study are that the verb-related objects are consistent with their semantic roles, excluding the functions of subject and object, and that the ranks of propositional or modality roles in the sentence structure are variable in this hierarchy. Their order remains dependent on the dependents selected by the verb.

Keywords : Verb related, Semantic Role, Propositional Role, Modality Role, Hierarchy.

تمهيد

تعدّ العلاقة بين متعلّقات الفعل النّحويّة والدّلاليّة من أهمّ المسائل التي استهوت الباحثين في الدّرس النّحويّ واللّساني قديما وحديثا لكونها تمثّل مدخلا مهمّا لفهم بنية الجملة ووظائفها. ومن هذا المنطلق تتناول هذا الموضوع ضمن نظريّة الأدوار الدّلاليّة وتمثيل الجملة مستأنسين بترتيب التّراث النّحويّ العربيّ لهذه المتعلّقات والنّحو الوظيفيّ للنّظر في مدى ملائمة ترتيب المكوّنات النّحويّة في بنية الجملة لتراتبية الأدوار المناسبة لها. هذه الملاءمة بين ما هو نحويّ وما هو دلاليّ التي وسمها الشّريف (2002) بـ«علاقة التّشارط» هي التي تنتج بنية نموذجيّة يرتبط فيها الفاعل النّحويّ بدور «المنفّذ» «Agent» والمفعول بدور «المتحمّل» «Patient». وبهذا التّراتب في الأدوار تصبح عمليّة التّمييز بين «الأدوار القضيويّة» «Propositional roles» و«الأدوار الجهيّة» «Modal roles» ممكنة.

وإذا كانت الأدوار الجهية ترتبط في الغالب بالمتهمات من خلال القوائم المقترحة فإنه من المفيد أن نبين أننا نهتم في هذا البحث، كذلك، بتقسيم النظرية النحوية العربية لمتعلقات الفعل بين عمدة لازمة وفضلة لا يمكن أن يستغنى عنها وبمدى ملائمة هذا التقسيم مع تصنيف نظرية الأدوار لهذه المتعلقات. ونوضح في هذا السياق أنّ من أسباب معالجتنا لهذا الموضوع ما لاحظناه من تعدد قوائم الأدوار الدلالية واختلاف أصحابها في عددها وأنواعها وتصنيفها. فغلب عليها الافتقار إلى الدقة مما أدى إلى اختزالها في عدد محدود من الحالات بإخفاء أغلب الأدوار الجهية وإظهار الأدوار القضيوية باعتبارها الأعلى تراتبياً. فقد قدّم ريجل (1997) Riejel مقترحاً يضم ثلاثة أدوار هي الأصل والمتقبل والمركز جمع فيه الأدوار القضيوية والأدوار الجهية. واختزلها داوتي (1990) Dowty في دورين طرازين قضويين، هما المنفذ والمتحمل، دون تمييز بين الأدوار القضيوية والأدوار الجهية. وجمعها سومرز (1987) Somers في أدوار كبرى «macro-rôles» تتمثل في الجعلية والأصلية والمركزية. واختزلها فيلمور (1975) Fillmore في سياق حديثه عن التضخم الإعرابي «hyper Cases» في عدد محدود. وسيؤثر هذا الاختزال في تصنيف الأدوار إلى «قضيوية» و«جهية»، بإهمال أصحابها لبعض سمات الفعل الدلالية وسمات الدور التمييزية.

يفضي هذا التباين في زوايا النظر والاختلاف في توزيع الأدوار إلى قضيوية وأخرى جهية إلى طرح بعض الأسئلة مدارها: هل يمكن حصر «الأدوار القضيوية» و«الأدوار الجهية» في قائمة نهائية ومحدودة بالنظر إلى القوائم المقترحة؟ وما جدوى التمييز بين أدوار «جهية» وأخرى «قضيوية»؟ وهل لتراتبية الأدوار صلة بالعوامل التركيبية والعلاقات الدلالية أم أنّ حاجة المتكلم إلى التواصل هي التي تفرض انتقاء أدوار دون غيرها؟

يذهب فيلمور في هذا السياق إلى أنّ الجملة تنقسم إلى مكونين أساسيين: القضية «Proposition» التي تدلّ على المحتوى القضوي والجهة «Modality» التي تعني نمط الجملة. ويعرّفهما بقوله: «نجد في البنية الأساسية للجملة ما يوسم بد (القضية). وهي جملة العلاقات الخالية من الزمن تصل بين الأفعال والأسماء

ومنفصلة عما يوسم بالجهة التي تشمل أنماط الجهة الخاصة بالجملة كلّها مثل النّفي والزّمن والأسلوب والمظهر» (فيلمور 1968، ص ص 45-44). واستنادا إلى هذين المكوّنين الأساسيين يختزل فيلمور الجملة في القاعدة التّالية:

ج جهة + قضيّة (نفسه).

ويعدّ تقسيم الجملة إلى هذين المكوّنين مدخلا للبحث في متعلّقات الفعل و«أدواره القضويّة» و«أدواره الملحقة». ذلك أنّ العلاقة بين ترتيب المكوّنات النّحويّة وترتيب الأدوار الدّلاليّة في بنية الجملة تعدّ من أهمّ الإشكاليّات في الدّراسات التي تجمع بين النّحو الوظيفيّ ونظريّة الأدوار. وستنوّخ في معالجة هذه المسألة منهجا وصفيا واستقرائيا للنّظر في تراتبيّة متعلّقات الفعل وعلاقتها بسلميّة الأدوار المحوريّة الدّلاليّة وإمكانية تصنيفها إلى قضويّة وملحقة. ثمّ نقارن بين كيفية تصنيف النّحاة في التّراث النّحويّ العربيّ لما يتعلّق بالفعل من عمدة وامتّمات وطريقة نظريّة الأدوار في توزيع هذه المتعلّقات بين «قضويّة» و«جهيّة».

1. الأدوار القضويّة أو الحدود الموضوعات

تعتبر الأدوار القضويّة مكوّنات أساسيّة في المحتوى القضويّ لا يستغني عنها المحمول. فإذا كان لازما فإنّه يطلب حدّا واحدا، وقد يطلب الفعل حدّين أو أكثر إذا كان متعدّيا. وتسمّى هذه الحدود حدودا موضوعات أو أدوارا دلالية قضويّة ينتقيها الفعل لتمام معناه. فجملة:

(1) كتب الرّوائي قصّة

تحتوي على حدّين يسند إليهما المحمول (كتب)، وهما المنفّذ (الرّوائي: حدّ) والمتحمّل (قصّة: حدّ). وقد أشار الأستراباذي إلى أنّ هذه المتعلّقات مرتّبة. وترتيبها يمنع الالتباس. يقول: «وكذا يجب حفظ المراتب في باب أعطيت إذا التبتست مخالفته نحو: (أعطيت زيدا أخاك)، فإن لم تلتبس لقرينة جاز العدول» (شرح الكافية، 1995، ج 1، ص 84). ويتحدّد نوع الأدوار الدّلاليّة القضويّة

وعدها حسب خاصيتي اللزوم والتعدي وحسب السمات الدلالية للفعل. فيطلب موضوعات تتلاءم وهذه الخصائص. وحرى بنا أن نشير إلى أن النحاة العرب القدامى قد صنّفوا الفعل من جهة استرسال معناه في باقي عناصر الجملة ليتجاوز فاعله. وذلك من حيث اكتفاء تمام معنى الفعل بفاعله أو عدم اكتفائه به. والمحدد في ذلك الاكتفاء هو طبيعة الحدث الذي يتضمنه الفعل. ومن الأحداث ما يقتضي وقوعها عقلا وجود مفعول به وقع عليه فعل الفاعل. وهذا النوع من الأفعال هو الذي وسمه النحاة بالفعل المتعدي. لكنّ الفعل قد لا يتطلب معناه وجود مفعول به لكون حدثه منعكسا على فاعله كالأفعال الدالة على الأحوال وتلك الدالة على الصفات. وقد سمى النحاة هذا النوع من الأفعال بغير المتعدية أو اللازمة. ويُفترض أن ننظر في الوظيفة النحوية الأساسية التي يطلبها الفعل اللازم والمتعدي والدور الدلالي المقتضى الذي يمكن أن يسند إليها.

1.1. المنفذ دور قضوي أعلى في بنية الفعل اللازم والمتعدي

يشارك الفعل اللازم مع الفعل المتعدي في اقتضائهما لدور المنفذ باعتباره دورا دلاليا أعلى في بنية موضوعات المحمول. واعتبار المنفذ دورا محوريا أعلى في سلمية الأدوار، تؤكده جلّ المقاربات اللسانية التي اهتمت بنظرية الأدوار الدلالية. وهو ما حاول جاكندوف (1990) Jackendoff تفسيره ضمن نظرية المطابقة بين البنية النحوية والدلالية Mapping theory. فقد ربط أعلى دور دلالي في سلمية الأدوار المحورية «المنفذ» بأعلى وظيفة نحوية «الفاعل». وجعل سلمية الأدوار المحورية مرتبة كما يلي: المنفذ Agent، المتحمل Patient والمستفيد Beneficiary (في الترتيب نفسه)، المحور Theme، ثم المحلّ Location والمصدر Source والهدف Goal (جاكندوف، 1990، ص 258). وفي السياق نفسه جعل فيلمور (1968) Fillmore حالة المنفذ في البنية العميقة هي الأعلى في سلمية الحالات. ويقابلها في السطح الفاعل النحوي.

فالكلام على هذا الأساس لا يكون ذا معنى إلاّ بذكر المنفذ الذي يسند إلى وظيفة الفاعل النحوي. ولذلك سمى النحاة الفعل وفاعله في التراث النحوي

بالعمدة. وكانت العلاقة بينهما وثيقة لأنَّ كلَّ فعل يطلب فاعله ضرورة. فإن لم يُذكر ذلك الفاعل قُدِّر وجوباً. يقول المبرِّد مبيناً تلازمهما: « فالفاعل والفاعل بمنزلة شيء واحد، إذ كان لا يستغني كل واحد منهما عن صاحبه » (المقتضب، ج 3، ص 50).

ويفهم من ذلك أنَّ لفظ الفعل في ذاته دالٌّ على تضمُّنه للفاعل. وهو ما يفسِّر متانة الصِّلة بينهما. يقول الأستراباذي مؤكِّداً تضمُّن كلِّ فعل لفاعل يقوم به: « فإنَّ ضَرْبَ مفيد في نفسه الإخبار عن وقوع ضَرْب وفي فاعله عن ضاربيته ». (شرح الكافية، ج 1، ص 38). وبناءً على شدة اقتضاء الفعل للمنفَّذ القضويِّ فإنَّ هذا المنفَّذ يشغل المرتبة الأعلى في سلمية الأدوار الدلالية. ويندرج هذا الدور الذي يسند إلي وظيفة الفاعل النحويِّ ضمن دور الأصل الذي كنَّا قد اقترحناه في أطروحة الدكتوراة (الأدوار الدلالية وتمثيل الجملة، 2021، ص 341) في سياق جمع قائمة الأدوار الدلالية في قائمة محدودة هي الأصل والمتقبل والمركز.

غير أنَّ المنفَّذ نفسه الذي لا يستغني عنه الفعل في بنية موضوعاته يمكن تصنيفه إلى مراتب بحسب السمات الدلالية والنحوية للفعل. فدور الأصل المتضمَّن لأدوار فرعية يفكِّك فيه المنفَّذ إلى المنفَّذ الإراديِّ إن توفَّر القصد من الفعل، نحو: « سلب » والمنفَّذ غير الإراديِّ إن لم تتوفَّر الإرادة عند القيام بالفعل، نحو: « قتلت السيارة المترجِّل » وإلى المجرَّب الذي يسند إلى فاعل الأفعال الانفعالية، نحو: « أحبَّ » و« مرض » و« كره » و« أسف » والمتَّصف الذي يسند إلى الأفعال الدالة على الصِّفة الملازمة، لا سيَّما مع الأفعال اللازمة مثل « البخل » و« الكرم » و« الحسن » و« الضَّعف ». وهي جميعها أدوار مقتضاة في بنية موضوعات الفعل. وعلى هذا النحو تكون درجات المنفَّذية المقتضاة مرتبطة بخصائص الفعل النحوية والدلالية، وترتَّب تباعاً كما يلي:

- توفَّر الدلالة الحديثة في الفعل وسمة العاقليَّة في المنفَّذ: أي منفَّذ له سمة
[+ عاقل]، نحو:

(1) سلب (حدث السلب) زَيْدٌ (+ عاقل) عمراً ماله

- توفر الدلالة الحدثية في الفعل مع غياب سمة العاقلية من المنفذ: أي منفذ له سمة [- عاقل] أو غياب الإرادة من الفعل، نحو:

(2) دمر الإحصارُ (- عاقل) المدينة

- توفر دلالة متعلقة بالانفعالات في الفعل، نحو:

(3) كره الجنديُّ (مجرّب) خوض الحرب

- توفر دلالة متعلقة بالصفة الملازمة في الفعل، نحو:

(4) حسن الأداءُ (متّصف) بعد التمارين

ما يلاحظ في هذه الأمثلة هو هذا التنوع في الخصائص الدلالية للفاعل النحوي الذي تسند إليه المنفذية بسمات مختلفة. فالآلة هي الفاعل في جملة لا تحتوي دور المنفذ في حالات فيلمور (1968). ويختزل أندرسون وجاكندوف جميع هذه السمات في المنفذ. في حين يعتبر آخرون ممن عولوا على المكوّن المعجمي في حدّ دور المنفذ (ستارستا، 1988) أنّ المنفذ والآلة يضمّهما الأصل باعتبارهما دوراً قضيويّاً.

وقد تتوفر في المنفذ سمات دلالية تجعل من المصدر والمستفيد دورين قضيويين، نحو:

(5) أعطى زيد (مصدر قضيوي) عليّاً هدية

(6) تسلّم عليّ (مستفيد قضيوي) هدية من زيد

ويتّضح من تنوع هذه السمات أنّ مكوّن الفاعل النحويّ تسند إليه سمات دلالية مختلفة من المنفذية هي المتوفرة في المنفذ الإرادي والمنفذ غير الإرادي والآلة والمجرّب والمتّصف. وكلّها أدوار تقتضيها بنية الأفعال اللازمة والأفعال المتعدّية.

2.1. المنفذ دور دلاليّ مقتضى لكنّه متأخر في الترتيب

تقتضي بعض الأبنية النحوية تغييراً في ترتيب دور المنفذ. فينتقل من كونه دوراً دلالياً أعلى إلى مرتبة متأخرة في سلمية الأدوار. لكنّه مع تغيير رتبته يبقى

شديد الصلة بالفعل ودورا دلاليًا مقتضى. وقد بين سيمون ديك (1997) Simon Dik في نظرية النحو الوظيفي أن ترتيب المكونات النحوية في بنية الجملة لا يتطابق دائما مع أدوارها الدلالية. فقد تقتضي الوظيفة التواصلية أن يُقدّم عنصر غير المنفّذ الذي يقوم بالفعل إذا كان هو «المتحدّث عنه» (Topic). ويتأثر ترتيب متعلّقات الفعل في هذه الحالة بالتراتب التداوليّ لـ «موضوع الحديث» و«ما يقال عنه» (Comment). ويصبح ترتيب عناصر الجملة خاضعا للأدوار الدلالية وللوظيفة التداولية أكثر ممّا يعكس صرامة النحو.

ويلاحظ هذا التّغير في التّرتيب عندما يسند إلى وظيفة تمييز النسبة أو المستثنى المتعلّق بالإسناد دور المنفّذ. فتكون رتبة المنفّذ في هذه الحالة بعد الفاعل النّحويّ إذا كان الفعل لازما وبعد المفعول إذا كان الفعل متعدّيا. وشدّة اقتضاء الفعل لدور المنفّذ رغم تأخّره في التّرتيب في البنية النّحوية التي تشتمل على تمييز النسبة يبرّره اعتبار تمييز النسبة هو الفاعل في المعنى أو المفعول في اللفظ. وقد عالج العيساوي (2010) تأخّر دور المتّصف في البنية النّحوية التي تشتمل على تمييز النسبة، مبينا أنّ ذلك لا يقلّل من شأنه لشدّة صلته بالفعل ولأنّه الفاعل في المعنى. ومن الأمثلة التي يتأخّر فيها ترتيب المنفّذ في سلّمية الأدوار:

(6) طاب زيد [نفسا] [متّصف: دور قضويّ] ← طابت [نفس زيد] [متّصف:

دور قضويّ] (1)



(فاعل)

تمييز

فقد ورد التّمييز في البنية النّحوية في محلّ نصب. لكن في المستوى الدلاليّ حلّ محلّ المرفوع الذي يسند إليه الفعل. لذلك فهو مقتضى لا يستغنى عنه في مثل هذه البنية. وفي السياق نفسه يتأخّر المنفّذ في التّرتيب في مستوى السّطح

(1) أخذ هذا المثال من كتاب (قضايا المعنى في البنية النّحوية، 2010، ص

85) لصاحبه عبد السلام العيساوي.

إذا جرى في موضع المستثنى. وقد أوردنا بعض الأمثلة في كتاب (المستثنى وظيفه نحوية ووظيفة دلالية، 2025) منها:

(7) لم يأت القوم إلا زيدا

ف«زيدا» تأخر في الترتيب ووقع في موضع نصب مع أنه فاعل في المعنى يسند إليه دور المنفذ لأنه القائم الفعلي بحدث المجيء. والأصل أن يكون المنفذ دورا دلاليا أعلى مقتضى في تراتبية الأدوار الدلالية تبعا لتراتبية متعلقات الفعل التي يكون فيها الفاعل في الصدارة. وذلك لشدة اتصاله بالفعل. لكن قد يتأخر المنفذ في رتبته ضمن سلمية الأدوار الدلالية عندما يشغل الوظيفة النحوية تمييز النسبة أو مستثنى متعلقا بالإسناد. فيقع في هذه الحالة في أسفل الترتيب.

3.1. المنفذ دور دلالي مقتضى يتحول إلى دور جهي يمكن الاستغناء

عنه

بناء على قدرة الفعل الاشتقاقية قد يتحول الدور القسوي في بعض السياقات إلى دور جهي يمكن الاستغناء عنه في بنية الموضوعات. ذلك أن الأفعال تبعا لاختلاف دلالاتها الحديثة تتغير أوزانها الصرفية وتتمايز مقولاتها الاشتقاقية كما تختلف أيضا من حيث احتياجها إلى المتممات أثناء التركيب أو عدم احتياجها إليها. ويلاحظ هذا التحول في طبيعة الأدوار من قسوية إلى جهية في صيغ الفعل المعبرة عن المطاوعة خصوصا، نحو:

(8) هُشمت [الصخرة] (دور قسوي) زجاج النافذة

فزجاج النافذة في هذا المثال مفعول في الإعراب، ووردت الصخرة في محلّ الفاعل، فهي قوية الصلة بالفعل. لكن صيغة الفعل الاشتقاقية ووزنها الصرفي «تفعل» في المثال الموالي اقتضى تحولا في الأدوار، فارتفع المفعول إلى مرتبة الفاعل وتأخر الفاعل (الصخرة) إلى مرتبة المفعول في مستوى الإعراب، وبات الاستغناء عن الفاعل الحقيقي «الصخرة» ممكنا تحصيل الفائدة بحذفه، ونحصل على بنية نحوية كالتالي:

(9) تهشّم زجاج النّافذة [بالصّخرة] (دور جهّي)

(10) تهشّم [زجاج النّافذة] (دور قضويّ)

وهو ما يعني أنّ لصيغة الفعل الاشتقاقية القدرة على تغيير مراتب متعلّقات الفعل، بل لها القدرة على جعل بعض الأدوار المقتضاة في بنية موضوعات الفعل في مرتبة المتمّمات. وتحقّق الفائدة من الكلام دون ذكرها.

ومن الأمثلة المعبرة عن هذا التّحول في طبيعة الأدوار من قضويّة إلى جهيّة ما يلي:

(11) أغاث [الرّجل القويّ] (دور قضويّ) الضّعيف

يلاحظ في هذا المثال أنّ «الرّجل القويّ» فاعل في الإعراب أسند إليه المنفّذ، وهو دور دلاليّ أعلى في سلّمية الأدوار ومقتضى. لكنّه يصبح في المثال الموالي دورا جهيّاً يمكن أن نستغني عنه بصيغة الفعل المزيد «استغاث». وتحقّق الفائدة المعنويّة من هذه البنية النّحويّة:

(12) استغاث الضّعيف [بالرّجل القويّ] (دور جهّي)

(13) استغاث الضّعيف

ما يلاحظ في هذا السياق تحوّل دور المنفّذ من دور أعلى في سلّمية الأدوار الدلاليةّ تبعاً لورود الفاعل النّحويّ في صدارة المتعلّقات التي يطلبها الفعل إلى دور جهّيّ ثانويّ. بل يمكن حذفه من بنية موضوعات الفعل دون أن يؤثّر ذلك في تمام معناه. وتحقّق هذا التّغيير في طبيعة الأدوار ببعض صيغ الأفعال المزيدة وبعض الأوزان الصّرفيّة.

4.1 المفعول دور دلاليّ قضويّ في بنية موضوعات الفعل المتعدّي:

صنّف النّحاة الفعل من حيث استرسال معناه في باقي عناصر الجملة ليتجاوز فاعله. وذلك من جهة اكتفاء تمام معنى الفعل بفاعله أو عدم اكتفائه. والمحدّد لذلك الاكتفاء هو طبيعة الحدث الذي يتضمّنه الفعل. فمن الأحداث ما يقتضي وقوعه عقلاً وجود مفعول به وقع عليه فعل الفاعل، وهذا النوع من الأفعال هو

الذي سمّاه النّحاة بالفعل المتعدّي. ولما كانت ترابّية الأدوار على صلة متينة بترابّية متعلّقات الفعل النّحوية في البنية النموذجية فإنّ المفعول الذي تقتضي وقوعه عقلا بعض الأحداث التي يدلّ عليها الفعل سيكون قضويًا بالضرورة في بنية الموضوعات، وإن كان ترتيبه بعد المنفّذ وبعد الفاعل الذي لم يسمّ فاعله. ومن الأفعال التي تقتضي دلالتها الحديثة عقلا وجود مفعول نذكر ما يلي:

(14) ضرب [زيد] (منفّذ) [عليًا] (متحمّل)



دور قضويّ

ومن الأفعال المتعدّية التي تكون فيها كلّ المكونات المتعلّقة بالفعل أدوارا قضويّة أفعال تتعدّى إلى مفعولين، نحو:

(15) أعطى [البخيل] (مصدر) [زيذا] (مستفيد) [كساء] (محوّر)



دور قضويّ دور قضويّ

ومن الأفعال ما يقتضي تمام معناه ثلاثة مفاعيل لا يمكنه الاستغناء عنها، نحو:

(16) أخبر [ت] (منفّذ) [عمرا] (مستفيد) [زيذا] (محوّر) [أباك] (هدف)



دور قضويّ دور قضويّ دور قضويّ

فمعنى الفعل المتعدّي لا يكتمل إلّا بذكر المفعول. وهذا ما يجعل حاجته أكيدة إلى مفعول في المثال (14) وإلى مفعولين في المثال (15) وإلى ثلاثة مفاعيل في المثال (16). والأدوار الدلالية التي تسند إلى هذه المفاعيل هي أدوار قضويّة في بنية موضوعات الأفعال المتعدّية يقتضيها الفعل اقتضاء ولا يستغني عنها لأنّ هذه المفاعيل وثيقة الصّلة بالإسناد ولأنّ معنى الفعل لا يتمّ إلّا بذكرها.

فالسّمات النّحويّة والدّلاليّة لهذه الأفعال المتعدّيّة تقتضي وجوباً هذه المفاعيل وتُسند إليها أدواراً قضويّة.

وإذا كانت الأدوار الدّلاليّة المسندة إلى أفعال العطاء وغيرها معلومة وتوزّع إلى مصدر ومستفيد ومحور عند جاكندوف مثلاً فإنّ الإشكال الذي يطرح يرتبط بأفعال التّحويل التي تتعدّى إلى مفعولين وكذلك أفعال القلوب باعتبار أنّ المفعولين قضويّان لا يمكن الاستغناء عن أحدهما. ووجه هذا الإشكال متمثّل فيما يلي: ما هو الدور الدّلاليّ الذي سيسند إلى المفعول الأوّل والمفعول الثّاني؟ أم سيُعتبر المفعولان بنية واحدة لا سيّما إذا علمنا أنّ أصل المفعول الأوّل مبتدأ والثّاني خبر؟

يمكن أن نهتدي بتعريف الأستراباذي (1995، ج 1، ص 127) لهذا النّوع من الأفعال لمعرفة كيفيّة معالجة العلاقة بين المفعولين. فقد انطلق من جملة «علمت زيدا قائماً»، واعتبر أنّ مضمون المفعولين «زيداً» و«قائماً» هو مفعول واحد تجمعهما علاقة إضافة. أي أنّ المفعول الثّاني «القيام» مضاف إلى المفعول الأوّل «زيد»: «علمت قيام زيد». وبناء على هذا التّأويل أسندت اللّحائي (2010، ص 231) دور المحور الدّلاليّ إلى المفعولين «قيام زيد» باعتبار العلاقة التّركيبية والمعنوية بينهما. ثمّ فرّعت هذا الدور إلى دورين (زيد: هدف ثمّ مصدر) و«قائماً: محور) مع ذكر السّمات التي تميّز كلّ دور. ولكننا نرى أنّ الدور الذي يناسب الموضوع «زيد» هو المصدر لأنّ «زيداً» هو مصدر القيام وليس الهدف منه. كما أنّ لكلّ من الدورين سماته التي تميّزه عن الآخر. والإشكال نفسه يطرح مع الأفعال المحليّة في نظريّة الحالات لفيلمور (1968). ففي جملة «وُضع المصباح فوق الطّاولَة في الجانب الأيمن قرب الرّواية الأماميّة» نساءل عن الدور الذي سيسند إلى الموضوعين «في الجانب الأيمن» و«قرب الرّواية الأماميّة» إذا علمنا أنّ دور المحلّ الدّلاليّ قد أسند إلى الموضوع «فوق الطّاولَة». ولتجنّب هذا الإشكال قدّمنا صيغة رياضيّة مجردة لتمثيل دور المحلّ ممثلة في «التّعيين في المستوي» «repérage dans le plan» تنأى بنا عن العلاقات البدليّة

وما يترتب عنها من تعقيدات كما يُلاحظ في الجملة السابقة (محمد الصغير بلقاسم، 2021، ص 375).

5.1. ارتقاء المفعول إلى دور قضوي أعلى في سلمية الأدوار

يتضح اقتضاء الفعل للمفعول بشكل أدق عند بناء الفعل له. فقد بينّا أنّ شدة ارتباط الفعل بفاعله وطلبه إيّاه جعلت حذفه أو ترك مكانه شاغرا غير وارد لعدم حصول الفائدة دونه. يقول المبرد في هذا السياق: «فلما لم يكن للفعل من الفاعل بُدٌّ وكنّت ها هنا حذفته أقمّت المفعول مقامه ليصحّ الفعل بما قام مقام فاعله.» (المقتضب، ج 3، ص 115). وهذا ما يفسّر قيام المفعول به نائبا عن الفاعل في حالة بناء الفعل للمفعول وعدم معرفة الفاعل وغيابه عن الكلام. فيرتفع حينئذ المفعول واقعا محلّ الفاعل مؤدياً دوره في عقد العلاقة الإسنادية ليكون دورا قضوياً أعلى، نحو:

(17) أَكَلَ [الطَّعَامُ] (محور)



دور قضوي

كما يمكن أن نلاحظ ارتقاء المفعول إلى رتبة المنفّذ مع حفاظه على دلالة المفعولية عند إضافة بعض حروف الزيادة إلى الفعل. فتكون صيغة الفعل الاشتقاقية دالة على المطاوعة. ويتحوّل معها المفعول من محلّ النصب إلى مرتبة الفاعل، نحو:

(18) كَسَرْتُ [الرَّجُلَ] (دور مقتضى ورد بعد المنفّذ)

(19) تَكَسَّرَ [الرَّجُلُ] (دور قضوي أعلى)

ما يلاحظ في ارتقاء المفعول إلى رتبة الفاعل أنّه يصبح أكثر اقتضاء للفعل لشدة الارتباط بين الفعل والمرفوع من جهة الإعراب ولأنّ ترتيب المفعول في سلمية الأدوار يرد بعد المنفّذ مباشرة. ويمكن القول في هذه الحالة إنّ المفعول الذي لم يسمّ فاعله يرد من جهة تعلّقه بالفعل في مرتبة بعد المنفّذ وقبل المفعول

الذي يرد في محلّ النَّصب. لكنَّ صيغة الفعل التي تدلّ على المطاوعة تجعل المفعول الذي يرقى إلى الفاعل المرفوع في مرتبة قبل المفعول الذي لم يسمَّ فاعله. فالأول يحلّ محلّ الفاعل والثاني ينوب عنه.

6.1. تحوّل بعض المتمّمات غير المقتضاة إلى أدوار قضويّة

يظهر هذا النوع من الأدوار في بنية موضوعات الأفعال اللازمة. فالفعل غير المتعدّي قلّ أن يُبنى للمفعول لغياب المفعول به الذي يقوم مقام الفاعل. لكنَّ بعض النحاة في الصّناعة النحويّة أجازوا بناء الفعل لغير المفعول به كالزّمن، نحو قولهم: «صيد عليه يومان وسير فرسخان». إلّا أنّه أمر قليل لم يتواتر لدى المتكلّمين باللّغة. وعلى هذا النّحو يصبح الموضوعان «يومان» و«فرسخان» دورين قضويّين لشدّة تعلّقهما بالفعل وعدم جواز حذفهما لأنّ الفائدة من الكلام تحصل بذكرهما.

2 - الأدوار الجهيّة

الجهيّة نسبة إلى الجهة. والجهة كما يحدّها الفهري «مجموع سمات الحدث التي تمكّننا من قياسه ووصفه زمانياً، ولا تعني الجهة الزّمان» (الفهري، 1990، ص 28). ويلتقي أحمد المتوكّل في حدّ الجهة مع الفهري ويعتبرها «مجموعة السّمات (تأمّ / غير تأمّ، منقطع / مستمرّ، آت / مستمرّ...) التي تحدّد الواقعة الدّالّ عليها محمول الجملة من حيث تكوينها الدّاخليّ ومراحل تحقّقها» (المتوكّل، 1995، ص 163). وقد ذكر العيساوي أنّ الجهة نوعان: جهة الوضع أو جهة الحدث، وهي لازمة للفعل قبل تصرّفه، وجهة البناء أو التّصرّف، وهي غير معمّمة عادة يرثها المحمول عندما يدخل التّركيب» (العيساوي، 2010، ص 151). وتقابل الجهة مصطلح «المظهر» (Aspect)، ولا تستوجب أيّ تدخّل من المتكلّم لتحقيق المحتوى القضويّ.

والأدوار الجهيّة في التّحليل اللّسانيّة الوظيفيّة هي الحدود الملحقة أو الأدوار الملحقة التي تضمّ الزّمان والمكان والسّبب والمصاحب والآلة والحال. ويمكن

أن تتضمن بنية موضوعات المحمول هذه الحدود الملحقة حسب حاجة المتكلم إليها لتوسيع الفائدة من الكلام. ويتفاوت ترتيبها في سلمية الأدوار حسب أهمية كل متمم وما يؤديه من دور لإبلاغ مقاصد المتكلم.

وقد اختلفت نظريات الأدوار في اعتبار الدور المركزي الذي يشتمل على أدوار دلالية فرعية دورا جهيا أو دورا قضويا. ففيلمور (1968) مثلا يرى في هذا الدور الجهي جزءا مهما لتمام المعنى الذي يطلبه الفعل. ويذهب شايف (1971) إلى أن الموضوع والمتحمل يضمهما الدور المركزي الذي يرتب في سلمية الأدوار بعد المنفذ. وأبرز الأدوار الدلالية التي يشتمل عليها الدور المركزي عند سومرز (1987) هي الزمان والمحل والمحور والصحية والموضوع. واعتبر ستارستا Starosta الدور الجهي «موضع المتمم لمعنى الفعل الذي يجعل منه ضروريا لأنه مضمن في معناه» (ستارستا، 1988، ص ص 141-140).

وإذا كانت المتممات المتعلقة بالفعل مشمولة بالأدوار الجهية في اللسانيات الوظيفية فقد حدها التراث النحوي العربي على نحو قريب منها مع اختلاف في المسميات. ويعرف الأستراباذي هذه المنصوبات المتعلقة بالفعل كما وردت عند ابن الحاجب بقوله: «هي ما اشتمل على علم المفعولية». وأضاف إلى ذلك تصنيف النحاة العرب إليها، فقال: «وقد قسم النحاة المنصوبات قسمين: أصلا في النصب يعنون به المفعولات الخمسة، ومحمولا عليه وهو غير المفعولات من الحال والتمييز وغير ذلك» (شرح الكافية، ج 1، ص 294).

1.2 الدور الدلالي المسند إلى المفعول المطلق جهي:

جعل النحاة المفعول المطلق في صدارة هذه المتعلقات، وسموه أيضا بالمفعول الحقيقي لأنه يمثل بدلالته المصدرية تكرارا لمعنى الحدث وتأكيد وقوعه بعد أن أفاد الفعل وقوعه. ورغم أهمية هذا المفعول الحقيقي، فإن الفعل لا يقتضيه لإتمام معناه، لأنه يعيد معنى موجوداً فيه ولأنه لم يتعد إليه. وعلى هذا الأساس اعتبره «ستارستا» في موضع المتمم لمعنى الفعل الذي يجعل منه ضرورياً لأنه مضمن في معناه». (ستارستا، 1988، ص ص 141-140).

(20) نام زيد [نوما عميقا] (دور مركزي جهي)

وبناء على أهميّة هذا المتمم باعتباره تأكيداً للحدث الموجود في الفعل ويرد في صدارة المنصوبات كما في التراث النحويّ فإنّه يعتبر دوراً جهياً أعلى في سلّميّة الأدوار الجهيّة. ففي قولك:

(21) ضربتُ زيدا [ضرباً] (دور جهي)

إنّما أعدت بالمفعول المطلق "ضرباً" الحدث وأكّدت وقوعه. ومن هذا المنطلق، اعتبر المفعول المطلق استمراراً لمعنى الحدث الواقع في الفعل وتكراراً له. وذكره زيادة في الفائدة التي يمكن الاستغناء عنها.

2.2. الزّمان والمحلّ دوران جهيان

رتّب النّحاة المنصوبات فجعلوا زمان وقوع الفعل ثمّ مكانه بعد المفعول المطلق. إذ يقتضي كلّ فعل وقوعه في زمان معيّن ومكان مخصوص إلى جانب دلّالته المصدرية. يقول المبرّد في هذا المعنى مرتّباً احتياج الفعل إلى المفعول فيه بعد المفعول المطلق (الذي يسمّيه المصدر): "ويلي المصدر الزّمان. فكلّ فعل يتعدّى إلى الزّمان، وذلك أنّك إذا قلت: قمْتُ كنت دللت على أنّ فعلك فيما مضى من الدّهر. وإذا قلت: أقوم وسأقوم دللت على أنّك ستفعل فيما سيقبل من الدّهر. فالفعل إنّما هو مبني للدّهر بأمثله لأنّه لا ينفكّ منه" (المقتضب، ج 4، ص ص 336-335). وعلى هذا الأساس تعتبر دلالة الفعل على الزّمان موجودة فيه. ولم يكن المفعول فيه للزّمان إلّا تخصيصاً لذلك الزّمان المتضمّن في الفعل، نحو:

(22) ضرب زيدٌ عمراً [البارحة] (دور جهي)

ونبيّن من خلال صيغة الفعل الدّالة على الزّمان الماضي أنّ حدث الضّرب وقع فيما مضى. ثم يضاف إلى متعلّقات الفعل المكوّن "البارحة" ليحدّد زماناً بعينه ممّا مضى. فيخرج بذلك أمس والسّنة الماضية وغيرها. والتّخصيص لا يطلبه الفعل في بنية موضوعاته المقتضاة لتمام معناه، وإنّما يورده المتكلّم

ليوسّع الفائدة من الكلام. وعلى هذا الأساس، جاز التخلي عن هذا الدور واعتباره "دورا جهياً". فنقول:

(23) ضرب زيدُ عمراً

دون حاجة إلى تخصيص الفعل بزمان محدد.

وإلى جانب الزمان يفترض أن يقع الفعل عقلاً في مكان محدد (أو المحلّ) كما ورد في المقاربة المحلية (الفهري، 1987) وإن لم يكن هذا المكان موجوداً في الفعل لفظاً ولا ينبنى به بصيغته الاشتقاقية أو بوزنه. غير أن المقاربات المحلية جروبر (1965) وأندرسون (1971) وجاكندوف (1971) قد انبنت على اعتبار المحلّ دوراً دلاليّاً قضوياً مضمناً في الفعل ولا يمكن الاستغناء عنه. وتتوفّر في اللغة الطبعيّة أفعال يكون فيها المحلّ قضوياً في التحليل الوظيفي من قبيل: «سكن»، «قطن»، «وصل»، «حلّ»، «وضع».

(24) يقطن زيدٌ [بصفاقس] (دور قضويّ)

(25) يقطن زيدٌ [في منزل] (دور قضويّ) [بصفاقس] (دور جهيّ)

وقد بين سيوييه في الكتاب أن الفعل «يتعدى إلى ما اشتقّ من لفظه اسماً للمكان وإلى المكان لأنّه إذا قال ذهب أو قعد فقد علّم أنّ للحدث مكاناً وإن لم يذكره كما علّم أنّه قد كان ذهاب. وذلك قوله: ذهب المذهب البعيد، وجلست مجلساً حسناً، وقعدت مقعداً كريماً، وقعدت المكان الذي رأيت». (سيوييه، 1990، ج 1، ص 35). وقد أشار المبرّد، كذلك، إلى علاقة المكان بالفعل مرتباً إيّاه بعد اسم الحدثان أو المصدر الذي أخذ منه والمفعول فيه للزمان وعلاقته بالفعل بقوله: «والمكان لا يخلو فعل منه وهو أبعد الثلاثة لأن الفعل ليس مبنياً من لفظه» (المقتضب، ج 4، ص 366). ويعني ذلك أنّ الفعل يقتضي وقوع حدثه في مكان معلوم سواء ذكر المكان بذكر وظيفة المفعول فيه أو أهمل. ففي قولنا:

(26) التقى زيدٌ عليّاً [في باحة المسجد] (دور جهيّ)

يكون حدث اللقاء قد وقع في مكان مخصوص وهو «باحة المسجد». لكنّ تخصيص حدث اللقاء بذكر المكان الذي وقع فيه لا يطلبه الفعل لإتمام معناه. لذلك يمكن إسقاطه من الجملة دون أن يؤثر ذلك في تمام معنى الفعل. فالمتكلّم قد أوردته توسّعا في الفائدة من الكلام. والحاصل من ذلك أنّ المفعول فيه للمكان يمكن الاستغناء عنه لكونه دورا جهيّا. وتصاغ الجملة السابقة كما يلي مع المحافظة على تمام المعنى:

(27) التقى زيدٌ عليّا

لأنّ المتكلّم ليس في حاجة إلى تحديد مكان اللقاء لتحقيق الفائدة من الكلام.

3.2. السبب والمصاحب دوران جهيّا

يحتاج المتكلّم إلى ذكر علّة القيام بالفعل وسببه. فيطلب الفعل دورا دلاليّا متمثلا في السبب أو الوظيفة النّحويّة المفعول له، وذلك زيادة في الفائدة من الكلام. وقد ذكر ابن السّراج حاجة المتكلّم إلى المفعول له. فقال: «إنّ المفعول له لا يكون إلّا مصدرا. ولكنّ العامل فيه فعل غير مشتقّ منه وإنّما يذكر لأنّه عذر لوقوع الأمر، نحو قولك: فعلت ذلك حذار الشرّ، وجئتك مخافة فلان» (ابن السّراج، 1988، ج 1، ص 206). وفي السّياق نفسه بيّن الأستراباذي مكانة المفعول له ضمن المنصوبات وعلاقته بالفاعل قائلا: «وأما المفعول له وإن كان مفعولا للفاعل وصادرا منه إلّا أنّ فاعليّته ليست لقيام هذا المفعول به. ألا ترى أنّ كون المتكلّم زائرا في قولك: زرتك طمعا ليس لأجل قيام الطّمع به بل لأجل الزيارة؟ فبان أنّ المفعول المطلق أخصّ بالفاعل من المفعول له. فهو أحقّ بتقديم ذكره أيضا» (شرح الكافية، ج 1، ص 295).

ويمكن إخفاء دور السبب من الجملة وإسقاطه إذا لم يكن المتكلّم راغبا في ذكر علّة قيام الفاعل بالفعل. ومثال ذلك:

(28) اجتهد الطّالب [سعيّا للنّجاح] (دور جهي)

يحذف هنا المفعول له فتحافظ الجملة على مقبوليتها. لكن في بعض السياقات تبدو حاجة السامع ملحة لمعرفة سبب قيام المتكلم بفعل معين. كأن الفعل مع تمام معناه في حاجة إلى ذكر المفعول له. فإذا قلت لشخص لا تعرفه: «جئتك» دون ذكر المفعول له فإن تمام معنى الفعل سيطلب دوراً قضيوياً وليس جهياً متمثلاً في ذكر سبب المجيء. فالسبب وإن أدرج ضمن المنصوبات في التراث النحوي العربي وضمن الأدوار الجهية في اللسانيات الوظيفية فإن تمام معنى الفعل في سياقات معينة لا يتحقق إلا بذكره. وهذا ما يجعل منه دوراً قضيوياً إضافة إلى كونه دوراً جهياً عند جواز حذفه.

ومن الأدوار الدلالية التي قد يحتاج إليها المتكلم لحصول الفائدة من الكلام «المصاحب». إذ يقتضي السياق ذكر المفعول معه الذي يلحق بالفعل عند وقوعه. فيعبر عن معنى المصاحبة بين طرفين أو أكثر. وقد رتبه الأستراباذي بعد المفعول له (شرح الكافية، ج 1، ص 296). وذلك لعدم احتياج كل الأفعال إليه على خلاف المفعول له. إذ لا يخلو فعل من علة تبرر وقوعه. ثم إن المفعول معه إنما كان كذلك لدخول الواو عليه وتسمى واو المصاحبة، نحو قولك: «استوى الماء والخشبة». فقد أبنت عن المفعول الذي صاحبه الفاعل وسائره أثناء وقوع حدث الاستواء. ولا يختلف التراث النحوي العربي الذي يعتبر المفعول معه من الفضلة مع اللسانيات الوظيفية التي ترى أن دور المصاحب جهي. ولم نجد في الدراسات اللسانية الوظيفية من يجعل هذا الدور الدلالي، شأنه شأن دور السبب، ضمن دور الأصل الذي يختزل جملة من الأدوار القضيوية.

4.2. الحال دور جهي

يحتاج المتكلم إلى وصف حالة فيعلق بالفعل دور الحال. وقد اعتبر الحال في الدراسات الوظيفية دوراً جهياً من الأدوار الملحقة (اللياني، 2010، ص 242). إذ يمكن الاستغناء عنه. ويمكن أن يتعلق دور الحال في بنية موضوعات المحمول بالإسناد أو بأحد المشاركين من المتممات، نحو:

(29) جاء [زيد] [منفَذ] [راكبا] (حال)



(دور جهي)

(30) رأيتُ [زيدا] (مفعول) [راكبا] (حال)



(دور جهي)

والملاحظ أنَّ رتبة الحال المتعلِّق بالإسناد في سلَّميّة الأدوار الجهيّة أعلى من رتبته عند تعلُّقه بمتَّم من متَّمَّات الجملة. وفي السِّياق نفسه يرى الأستراباذي (شرح الكافية، ج 1، ص 296) أنَّه تجنَّباً للخروج عن إجماع النِّحاة ومسائره لهم فقد أُبقي على الحال في مرتبة بعد المفعول له والمفعول معه والأولى أن يكون قبلهما. وذلك لكون كلِّ فعل لا يخلو من حال لهيئة فاعله ذُكر ذلك الحال أو لم يذكر. ففي قولك: جاء زيد راكبا، أظهرت حالة حدوث الفعل من قبل فاعله. فالمجيء من زيد إنَّما كان في حالة الرُّكوب. لكن يبدو أنَّ تأخير الحال عن المفاعيل الخمسة هو لمراعاة اعتبارين: أولهما أنَّه متعلِّق بالنَّوَّة الإسناديّة. ولعلَّ هذا النوع هو الذي رأى الأستراباذي أنَّه يقدِّمه على المفعول له والمفعول معه نظراً لكونه يتعلَّق بالفعل. أمَّا الثاني فهو متَّصل بمكوّن من مكوّنات الفضلة المتعلِّقة بالفعل في الإسناد الفعليّ كالمفعول به في قولنا: رأيتُ زيدا واقفاً. كما يدخل هذا النوع على الإسناد الاسميّ كقولنا: «العسل صافيا مفيد»، ف«صافيا» حال المبتدأ «العسل».

ويُتَّضح ممَّا سبق أنَّ الأدوار الجهيّة هي بدورها ترتَّب بحسب حاجة الفعل إليها. ومن الباحثين في التحاليل الوظيفيّة من خالف ترتيب النِّحاة العرب للمنصوبات التي تتفق في جزء منها مع الأدوار القضيويّة والأدوار الجهيّة. ويكمن الفرق الجوهريّ في كون النِّحو العربيّ القديم لم يفصل بوضوح بين الوظيفة النِّحويّة والفائدة التي تدلُّ عليها مع اهتمام محدود بالمعنى. بينما تميّز

نظرية الأدوار تميزاً منهجياً واضحاً بين مواقع المكونات النحوية في بنية الجملة والأدوار الدلالية المناسبة لها. فموضع المنفذ أو الموضوع في التحليل الوظيفي أساسي لا يستغنى عنه. في حين ترد بقية العناصر الدلالية التي يطلبها الفعل في موضع الأدوار الجهية. فمنها ما يطلبه الفعل لإتمام معناه فيكون قضوياً ويأخذ دوراً ثانوياً في سلمية الأدوار الدلالية. ومنها ما لا يحتاج إليه الفعل. ويعتبر ذكره في هذه الحالة توسعاً في الكلام وزيادة في الفائدة فيكون دوراً جهياً.

واستناداً إلى ترابنية متعلقات الفعل في التراث النحوي وقائمات الأدوار الدلالية في نظرية الأدوار المحورية الدلالية واللسانيات الوظيفية تبين أنه بالإمكان ترتيب الأدوار الجهية إلى جانب ترتيب الأدوار القضيوية بحسب حاجة الفعل إليها وبحسب مقاصد المتكلم من الكلام.

خاتمة

- بدا لنا في هذا البحث أن المعنى أساسي لإدراك العلاقة بين الفعل وبنية المقتضاة، وأن الفعل يتحكم في البنية النحوية بتحديد المتعلقات ووظائفها ومواقعها، وتبعاً لذلك يوزع أدواره على الموضوعات التي ينتقيها. وقد تبين أن الأدوار تنوزع إلى قضوية وأخرى جهية بحسب علاقتها بالفعل. فإذا كانت ضرورية لتمام معناه فهي قضوية أو حدود موضوعات. وإذا كان الغرض منها توسعاً في الفائدة من الكلام وأمكن الاستغناء عنها فهي أدوار جهية أو حدود ملحقه.

- ما لاحظناه أن تصنيف الأدوار إلى قضوية وأخرى جهية أمر غير ثابت. فلصيق الفعل الاشتقاقية القدرة على جعل الدور الدلالي المحوري الذي يسند إلى وظيفة المفعول مقضى وجعل الدور الذي يسند إلى وظيفة الفاعل جهياً بالإضافة إلى تغيير مواضع هذه المتعلقات في سلمية الأدوار الدلالية خصوصاً مع بعض الصيغ الفعلية الدالة على المطاوعة من قبيل «انفعل» و«تفعل» و«استفعل». وقد اتضح لنا أن هذا التحول في الحدود التي يطلبها الفعل من قضوية إلى جهية

أو العكس، لا يطرح إلّا مع وظيفتي الفاعل والمفعول. أمّا بقية الوظائف النحويّة فهي تأخذ الأدوار المناسبة لها.

- خلصت هذه الدّراسة إلى أنّ بنية الفعل وعمله النّحويّ وخصائصه الدّلاليّة من الأسس التي تحدّد طبيعة هذه المتعلّقات وأهمّيّتها في سلّميّة الأدوار. فالفعل اللاّزم يكتفي بدور قضيويّ واحد يكون منقّذا إراديّا أو غير إراديّ أو مجرّبا أو متّصفا أو فاعلا في اللفظ ومفعولا في الدّلالة. وتحدّد الأدوار القضيويّة التي يطلبها الفعل المتعدّي حسب خاصيّة التعدية فيه.

- تبينّا أنّ الأدوار القضيويّة التي تسند إلى وظيفة الفاعل النّحويّ هي بدورها خاضعة للتّرتيب. إذ يحتلّ فيها الدّور الأعلى المنقّذ الإراديّ يليه المنقّذ غير الإراديّ ثمّ المجرّب أو المتّصف ثمّ الآلة عند فيلمور. أمّا الأدوار التي تسند إلى بقية متعلّقات الفعل فإنّها تخضع، كذلك، للتّرتيب. وقد بيّنّا أنّ المنصوبات كما وردت في التّراث النّحويّ ترتّب بحسب خصائصها المعنويّة والإعرابيّة وحاجة الفعل إليها لتمام معناه أو توسيع الفائدة من الكلام. لذلك يمكن أن نقرّ بعض المفاهيم الحديثة اعتمادا على ما ورد في التّراث النّحويّ من مفاهيم لها صلة بمتعلّقات الفعل وتراتبيتها. لكن يغيب عن هذه الملاءمة هذا التّعبير الصّريح (أدوار قضيويّة وأدوار جهيّة).

- انتهينا إلى أنّ العلاقة بين التّرتيب النّحويّ والتّرتيب الدّلاليّ لمتعلّقات الفعل لا تكون آليّة وإنّما وظيفيّة. ذلك أنّ توزيع الأدوار الدّلاليّة على المكوّنات النّحويّة في بنية الجملة يتأثّر بالخصائص التركيبيّة والصّرفيّة للغات الطّبيعيّة وبالوظيفة التّواصلية. ممّا يجعل هذا التّرتيب الدّلاليّ والنّحويّ مرنا يتحدّد حسب النظام التركيبيّ لكلّ لغة ولا يتحقّق بشكل صارم. وقد يتغيّر ترتيب متعلّقات الفعل النّحويّة فتقع في مواضع إعرابيّة مختلفة. فالفاعل النّحويّ ليس دائما هو المنقّذ الفعليّ للحدث. لكنّ ترتيب الأدوار الدّلاليّة يظلّ ثابتا لا يتغيّر بتغيّر الفاعل اللفظي. وكلّ لغة يمكن أن تغيّر هذا التّرتيب لأسباب تداوليّة مثل التّقديم والتّأخير لأنّ النظام النّحويّ صدى للمعنى والتّواصل وليس منفصلا عن الاستخدام اللّغويّ.

المصادر والمراجع العربية

- ابن السّراج (أبو بكر محمد بن السّري): الأصول في النّحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط 3، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، 1988.
- الأسترابادي (رضيّ الدين): شرح الكافية، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، 1995.
- بلقاسم (محمد الصّغير):
- أ. الأدوار الدلالية وتمثيل الجملة، ط 1، مخبر اللّسانيّات الدلالية والحاسوبية، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة، تونس، 2021.
- ب. المستثنى وظيفة نحويّة ووظيفة دلالية، مجمع الأطرش للنّشر، تونس، 2025.
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، طبعة عبد السّلام هارون، دار المعارف، مصر، 1975.
- العيساوي (عبد السّلام): العلاقات المعنويّة في البنية النّحويّة مقارنة لسانيّة، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة، تونس، 2010.
- الشّريف (محمد صلاح الدين): الشّروط والإنشاء النّحويّ للكون، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، منّوبة، تونس، 2002.
- الفهري (عبد القادر الفاسي): البناء الموازي: نظريّة في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، 1990.
- المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1994.
- المتوكّل (أحمد): قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيّات الوظيفيّة: البنية التّحتيّة أو التّمثيل الدلاليّ التّداوليّ، دار الأمان للنّشر والتّوزيع، الرباط، المغرب، 1995.

المصادر والمراجع الأعجمية

- Anderson, (J.M) :
 - (1971) : ”*The Grammer of Case, Towards a Localistic Theory*“. The cambridge University, Press.
- Chafe, (W.L):
 - (1970): ”*Meaning and the Structure of Language*“. University Press, Chicago.
 - Cook, (W):
 - (1989): ”*Case Grammar Theory*“, Georgetown University Press, Washington.
- Dowty, (D) :
 - (1991) : ”*Thematic Roles and Argument Selection*“, Language 67: 547-619.
- Fillmore, (Ch) :
 - (1968) A : ”*The Case for Case*“ – universals in linguistic theory- Edited by Emmon Bach / Robert T. Harms the university of texas, Holt, Rinehat and Winston – U.S.A.
 - (1971): ”*Some Problems for Case Grammar*“ dans O’Brien.R.J. (ed) pp 35 – 56, (Monograph series on language and linguistics 24), Georgetown University Press, Washington D.C.
 - (1975) : »*Quelques problèmes posés à la grammaire casuelle*«, Langages N° 38 Juin P.P 65 – 80.
- Jackendoff, (R) :
 - (1972):”*Semantic Interpretations in Generative Grammar*“, MIT Press, Cambridge, Mass.
 - (1990) : » *Semantic Structures.*«, London: Cambridge, MIT Press.
- Riegel, (M) et Pellat, (C):
 - (1997) : »*Grammaire méthodique du français*«, P.U.F de france.

- Simon (D) :
 - (1997) : »*The Theory of Functional Grammar*«, Mouton de Gruyter, Berlin & New York.
- Somers, (H):
 - (1987): »*Valency and Case in Computational Linguistics and Machine Translation*«, Centre for Computational linguistics, University of Manchester, Institute of science and technology.
- Starosta, (S):
 - (1988): »*The Case for Lexicase*«, london, Pinter University.

الفضاء اللغوي والفضاء العرفاني في النصّ الشعريّ من خلال فضاء الغاب في أغاني الشّابي

د. فاطمة البكوش

مخبر «المباحث الدلالية واللسانيات الحاسوبية» (LR18ES46)
كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة

ملخص

يرتبط النصّ بفضائه اللغويّ من خلال مفاهيم فضائيّة تحيل على الزمان أو المكان، سواء أ كان واقعياً أو تخييلياً، فتكون مفاتيح الدخول إلى المعاني والدلالات والمقاصد التي يتضمّنها النصّ، وهي مفاهيم فضائيّة مرتبطة أساساً بصاحب النصّ تعكس موقفه ورؤيته الفنيّة والفكريّة، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالنصّ الشعريّ الذي يلتبس بالشاعر وفضائه المكانيّ والزمنيّ ليخلق له فضاءً فنياً يصوغه من خلال لغة تسم المكان والزمان والذات بطرق تخييليّة تستند إلى فضاء عرفانيّ أساسيّ مهما اختلفت تجربة الشاعر ونصّه المنتج عبر فضاء لغويّ. في نصّ الشّابي، شاعر الحياة في أغانيه، يتحوّل فضاء الغاب من فضاء مكانيّ إلى فضاء فنيّ تتعدّد صورة وتختلف باختلاف تجربته ورؤيته الوجوديّة والفنيّة، فيخلق داخل الفضاء أفضية وداخل النصّ نصوصاً. فالفضاء في النصّ الشعريّ متعدّد متجدّد غير ثابت لا يمكن حدّه ببساطة لأنّه يتجاوز الحدّ الحيّزي والمسافة الفاصلة بين المكان واللامكان، إلى فضاء عرفانيّ يؤطّر كلّ نصّ، فلا يخرج النصّ مهما كان نوعه عن الفضاء، فهو يُنتج داخل فضاء.

Abstract

The text is connected to its linguistic space through spatial concepts that refer to time or place, whether real or imaginary. These concepts function as keys to accessing the meanings, connotations, and intentions embedded in the text. They are spatial notions fundamentally linked to the author, reflecting their stance and artistic and intellectual vision—especially in the case of poetic texts, which are closely intertwined with the poet and their spatial and temporal environment. Through this intertwinement, the poet creates an artistic space shaped by a language that marks place, time, and self in imaginative ways, grounded in a fundamental cognitive (conceptual) space, regardless of the diversity of the poet's experience or the In al-Shābbī's text—the .produced text within a linguistic space poet of life in his songs—the forest space is transformed from a mere physical setting into an artistic space whose images multiply and vary according to his experience and his existential and artistic vision. Within this space, he creates sub-spaces, and within the text, multiple texts. Thus, space in the poetic text is multiple, dynamic, and non-fixed; it cannot be simply delimited, as it goes beyond spatial boundaries and the distance between place and non-place toward a cognitive space that frames every text. No text, whatever its type, .exists outside space, for it is produced within a space

الكلمات المفتاح : فضاء (Space) / فضاء عرفاني (Cognitive space) / فضاء لغوي (Linguistic space) / أفضية ذهنية (Mental spaces) / فضائية نصية (Textual spatiality) / حيّزي (spatial) / أبنية تصوّريّة (Conceptual structures)

1- الفضاء والنص

1-1- في مفهوم الفضاء : الفضاء العرفاني والفضاء اللغوي

ما الفضاء (space) ؟ هل هو مكان (place/lieu) أم حيّز (space) ؟
مكان أم لا مكان (non place/non lieu) ؟ هل هو الحيّزي (spatial) أم

التصوري (conceptual)؟ قد يكون الفضاء مكانا واقعيًا أو تخيليًا ذهنيًا أو عرفانيًا (cognitive) أو لا مكانا، وهو الافتراضي، ولكنه يظل فضاءً من الأفضية الممكنة لإنتاج المعنى والفكر والقول. الفضاء في النص الشعري فضاء مخصوص لأنه يتعلّق بالشاعر وكونه الشعري فلا يتحدّد بمكان أو زمان معيّن بل بفضاء ذهنيّ عرفانيّ قبل أن يكون لغويًا. هذا الفضاء العرفانيّ للنصّ ينتج عددا من الأفضية الممكنة التحقّق من خلال الإنجاز اللغويّ، قد يتمثّل في حرف أو في عبارة أو في عبارات تمسك بمقاصد النصّ فيقيم فيها الشاعر لا يبرحها وتصبح الفضاء الحاضن له، وهو ما نجده لدى الشابي في أغاني الحياة الذي طالما سكن الفكرة قبل أن يسكن الكلمة والنصّ والخارج، فكان الغاب في شعره فضاء البوح وفضاء الكون الشعريّ الذي ميّزه ناتجا عن فضاء عرفانيّ جسده فضاء لغويّ من خلال فضاء واقعيّ أو تخيليّ، لا يهمّ، مادام فضاءً مبدعًا خلّق من عبارة ولفظ وحلم وفكرة.

يمثل الفضاء مبحثًا مشتركًا بين اللسانيات والأدب والفلسفة والسيميولوجيا والتحليل النفسي والسوسيولوجي والانتروبولوجي لكونه يتعلّق بتصوّر الإنسان للأشياء ووعيه بها. يعيش كلّ إنسان «في عالم فضائيّ (مكانيّ) خاصّ به يدركه بوصفه مشهدًا منظّمًا يتحرّك فيه هو وغيره، ويقطعون مسافات، ويأخذون الأشياء أو يتركونها ويواجهون فيه بُنى عديدة»⁽¹⁾. فالفضاء يرتبط بالإنسان، بوجوده ومقولته للعالم، ويرتبط باللغة باعتبارها تعبيرًا عن تشكّلات الفضاء، ولا يهمّ هنا إن كان الفضاء مكانا أو لا مكانا، يتّسم بالواقعية أم بالتخيل، وهل يختلف الفضاء الماديّ الذي تدور فيه الأحداث ويتنقّل فيه الإنسان عن فضاء النصّ وفضاء الشاعر المنجز؟ وهو من الأسئلة المطروحة حول الفضاء الذي يتأسّس فيه النصّ الشعريّ أو إنشاء قوليّ ما، هل هو فضاء حقيقيّ واقعيّ أم هو خياليّ ليس له وجود إلا في ذهن المتكلم؟ وهل يتعلّق الفضاء ضرورة بمقولتي الزمان والمكان أم قد يرتبط الفضاء باللامكان (non place)؟ وإذا كان الأمر كذلك،

(1) Dieter Wunderlich: Langage et espace, DRLAV. Documentation et Recherche en Linguistique Allemande Vincennes Année 1982, n° 27, p. 63

بِمَ يتَّسم الفضاء الذي يحتوي نصًّا ما؟ قد يكون الفضاء ذهنيًّا من منطلق عرفاني فتحدّث عن الأفضية الذهنية (Mental spaces) ⁽²⁾ التي تؤطّر كلّ فعل إنسانيّ يكون الفضاء العرفاني سابقاً له في شكل خطاطات (schema) تمقّول الأشياء وتساعد على إدراكها وتنظيمها في ذهن المتكلّم. وقد عرّف فوكونيه الأفضية الذهنيّة باعتبارها «أبنية جزئيّة تتكاثر عندما نفكّر ونتكلّم، تسمح بأن يتوزّع خطابنا وأبنية معارفنا توزّعاً جزئياً مفصّلاً» ⁽³⁾. وقد نتساءل عن كيفيّة إدراك الفضاء، كيف يدرك؟ ذهنيًّا مجرداً أم حسّياً لغويًّا؟ إنّ «الفضاء المدرك بالحواس يؤدّي إلى نوعين من الوصف في اللغة: وصف طوبوغرافي ووصف مبنيّ يتجلّى من خلال مختلف أنماط التحديد» ⁽⁴⁾. قد يكون التحديد مرجعاً متعلّقاً بالمكان أو الزمان أو باللامكان، أو بعبارات إحاليّة، إذ يرتبط «إنتاج العبارات اللغويّة أو فهمها بعمليات بناء مفهوميّ متطوّرة على درجة عليا من التعقيد من خلال موارد عديدة متنوّعة منها المعاني المعجميّة والقوالب التركيبيّة» ⁽⁵⁾. كما تتضمّن القدرة التخييليّة ذات الشراء الهائل كما نجدها في النصّ الشعري «أدوات من قبيل الاستعارة والمزج والتخييليّة والأفضية الذهنيّة، وتعوّل الأبنية الذهنيّة الجليّة في استعمال اللغة تعويلاً حاسماً على المعرفة العامة والسياقيّة والمقاميّة» ⁽⁶⁾. ومهما كان الفضاء واضحاً محدّداً يظّل في حاجة إلى حدّه وحدّ ما يرتبط به من إحالات وسياقات. يبدو الفضاء مرتبطاً أبداً بالكائن اللغوي وإنتاجه القولّي، ولكن «هل نعرف حقّاً طبيعة الفضاء الذي يبدو لنا قريباً ومألوفاً؟» ⁽⁷⁾.

(2) انظر حول مفهوم الأفضية الذهنية : Fauconnier G. *Espaces Mentaux*, Editions de Minuit, Paris 1984

(3) Fauconnier 1997, p. 11;

(4) انظر :

Espace, référence, représentation. Réflexions sur quelques :Rousseau André Année 1993 p. 152 ,conceptualisations de l'espace

(5) لانغكير، مدخل في النحو العرفاني، ترجمة الأزهر الزناد، معهد تونس للترجمة 2018 ، ص 78

(6) المصدر نفسه، ص ص 79-78

(7) p. 152: Rousseau André *Espace, référence, représentation*

ولكن عندما يتعلق الأمر بنصّ شعريّ فنحن إزاء فضاء يرتبط بذات متكلمة تتحدّث عن ذاتها، عن كيانها داخل فضاء منحوت بسمات ذاتية حميمية تعكس العلاقة بين الشاعر واللغة، بين القائل والمقول، فتنتج علاقة مخصصة بالفضاء يعبر عنها الشاعر من خلال حلوله بالمكان، إطاراً ذهنياً مسبقاً، لا يمكن فصله عن ذاته حتى يتحول المكان الفضاء إلى ذات، ذات الشاعر وكيونته وتغدو الذات فضاء متعدّد الأبعاد يعبر عنه بطرق عدّة أولها اللغة. فضاء الشاعر لا محدود قد يتجسّد في مكان مألوف يوهّم بواقعيته وقد يكون مكاناً غريباً كما يمكن أن يكون غير واضح مربكاً أحياناً يبعث على الحيرة والتهيب لا يمكن القبض على ملامحه ولكنه قد بني في ذهن الشاعر منتظماً بكل ملامح التخيل وصوره التي تتغيّر وتتجدّد فيكون الفضاء في النصّ الشعريّ منفثاً مسترسلاً، بوابته في كلّ مرّة مفردات اللغة ودلالاتها المتغيرة والمتجددة.

1-2- فضاء النصّ:

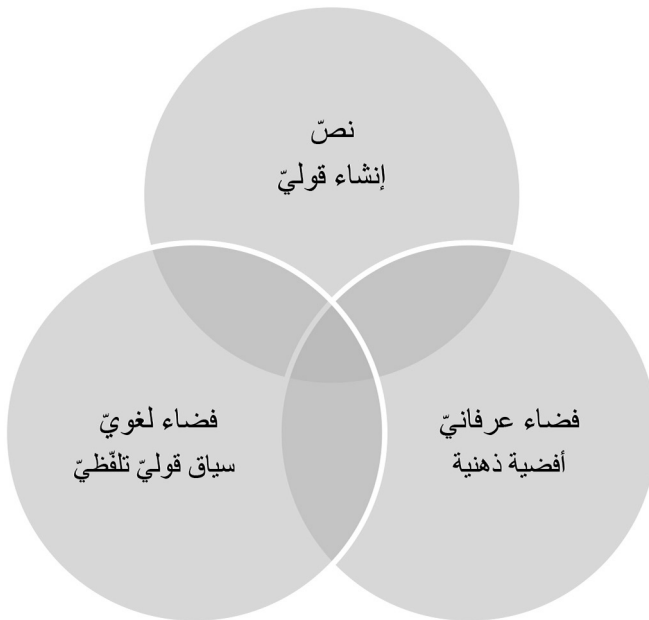
يرتبط النصّ الشعريّ بعناصر فضائية (spatial) أو مكانية أو حيزية، حيث تمثل «الفضائية النصّية» (Textual spatiality) مجموعة مكونات القصيدة - سواء كانت معجمية أو لفظية أو نحوية أو إنشائية - تستخدم لتشكّل تمثيلات للفضاء من خلال اللغة. إن طبيعة واختيار وتنظيم هذه المكونات تحدّد شبكة العلاقات الدلالية الفضائية أو الحيزية، وهي شبكة محدّدة لكلّ عمل ومن خلاله يتمّ صياغة علاقة فريدة بالفضاء⁽⁸⁾. يرتبط الفضاء باللغة أساساً من خلال مفاهيم فضائية مكانية أو زمانية، فتساءل عن الدور الذي تؤديه المفاهيم المكانية في تنظيم اللغة، وهل تتسم بعض المبادئ المنظّمة بطابع كونيّ لأنها تستند إلى مبادئ عرفانية مستمدة من التجربة الإدراكية للفضاء⁽⁹⁾؟

لكلّ نصّ فضاء عرفانيّ ولكلّ كاتب فضاءه تصوّري كما لكلّ قارئ تصوّر لهذا الفضاء، فتنشأ أفضية متعدّدة للنصّ الواحد لا يمكن حصرها في صورة

(8) Marc André Brouillette : De l'espace de la langue à l'espace du poème, Voix et Images Volume 28, numéro 3 (84), printemps 2003, p5

(9) Dieter Wunderlich: Langage et espace, p. 63

واحدة أو مرجع واحد، ولكن يمكن أن نحدّد ثلاثة أفضية تتعلّق بالنصّ باعتباره إنشاءً قولياً، وبالفضاء اللغويّ باعتباره سياقاً تلفظياً وبالفضاء العرفانيّ بكونه يتعلّق بالمراجع العرفانيّة والخطاطات التي تحدّد سياق القول وإطار النصّ، كما نبيّن في الرسم التالي:



يتشكّل الفضاء في النصّ بوسائل شتى ولعلّ الفضاء اللغويّ إحداها وهو ما يساعد على تحليل النصّ الشعريّ وتأويله والوصول إلى مقاصد القول فيه فنياً وبلاغياً تواصلياً. يظلّ النصّ الشعريّ قولاً مخصوصاً يقتضي فضاءً مخصوصاً لعلاقته بذات المتكلّم وهي علاقة حميميّة ينتج أحداها الآخر فمن الصعب الفصل بين الشاعر ونصّه، بينه وبين مكانه الوجوديّ والفنيّ، بينه وبين فضائه اللغويّ والعرفانيّ، إذ يرتبط الأمر بسياق التلفّظ الذي يعلن فيه الشاعر عن لحظة بنائه لفضائه الخاصّ الذي يحده مكان ما وزمان ما لا تتحقّق ذاته إلا من خلالهما. ومن هنا نتحدّث عن مسألة المكان والذات في الشعر التونسي وقد اخترنا نماذج

من شعر الشابي من أغانيه التي عبّرت عن الحياة من خلال استعارات الموت والفناء والخلود، فكانت أغاني الحياة أفضية للحياة بتناقضاتها تجمع بين الحلم والواقع وبين المنشود والموجود، عبّرت عن رغبة الشابي في الحياة والتجديد والثورة فنياً ووجودياً. وقد تجسّد في نصوصه الشعرية فضاء مخصوص يرتبط بذات الشاعر وبمكان مخصوص ميّز تأملاته وفلسفته الوجودية وهو الغاب. فضاء الغاب هو النصّ الذي يسكنه الشاعر لأنه بيته ومسكنه، فكانت استعارة «الغاب بيت» استعارة انطولوجية تمثل استعارة الوعاء⁽¹⁰⁾ الحاوي حيث يحوي الغاب البيت الشاعر، كما عبّر عن ذلك في قصيد الغاب⁽¹¹⁾:

بيتٌ بنته لي الحياة من الشذى	والظّل والأضواء والأنغام
بيتٌ من السحر الجميل مشيدٌ	للحبّ والأحلام والإلهام
في الغاب سحرٌ رائع متجدّدٌ	باقٍ على الأيام والأعوام

يتخذ الشابي من الغاب بيتاً وسكناً ونصّاً وحرفاً يتغنّى به من خلال استعارات الحياة والبناء والتشييد، فيتحوّل الغاب إلى بيت طرازي لا يسكنه الشاعر بقدر ما تسكنه الأحلام، وهو بيت مبني من «الشذى والظّل والأضواء والأنغام»، بنته حواسه الحسية إيهاما بحقيقته ووجوده الفيزيائي، فحضور حاسة الشم (الشذى) وحاسة البصر (الأضواء) وحاسة السمع (الأنغام) دليل على تفاعل الشاعر بكلّ حواسه مع الفضاء الذي خلقه داخل النصّ وخارجه. تتحوّل الحواس إلى أدوات بناء البيت ليكون الغاب بيتاً حقيقياً يتجاوز التخيلي الشعري لا يتحقّق حلم الشاعر إلا من خلاله وفيه، حلولا به مكاناً وفضاءً عرفانياً ووجودياً.

2- المكان والذات في أغاني الحياة: الغاب ورمزيته

لم يكن الغاب المكان السحري للشابي حيث تلتحم ذاته بكونه الشعري فحسب وإنما الفضاء العرفاني واللغوي الذي ميّز أسلوبه الفني وقد انطلق من

(10) جورج لايكوف ومارك جونسون الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة،

دار توبقال للنشر، ط 1 2018، ص ص 60-53

(11) الديوان، ص 211

الغاب ليعود إليه في أغانيه فكان المكان على سعته وفضايته الممتدة كون الشاعر الخاص المحدود بحدود لغوية ودلالية جعلت من المكان وجودا وكيانا يميز شاعر الحياة وأغانيها. حضر فضاء الغاب بكل عناصره متلائماً ومنسجماً مع رغبة الشاعر في التفرد، إذ «يستلزم معنى عبارة ما أرضية مفهومية متعددة الوجوه شاسعة تسنده وتشكله وتجعله منسجماً، ومن وجوه هذه الأرضية إدراك المقام المادي والاجتماعي والثقافي»⁽¹²⁾. وقد أدرك الشابي المقام المادي والوجودي، وهو مقام عرفاني في الأصل، هو الغاب الذي حضر في أغانيه مقاماً للكتابة والخلق، وهو فضاء تجربة الشاعر الفنية. كأن الغاب عند الشابي قد غدا سنة طليّة، يقف الشاعر الجاهلي على الطلل ليمر ولكن الشابي يقف عند الغاب لا ليمر وإنما ليحل به فيسكنه ويقيم به لا يبارحه إلا ليعود إليه ليلاً ونهاراً، هو مأواه ومأوى القصيدة، بل هو القصيدة والنص فضاء حسياً وفنياً ووجودياً ولكنه يظل فضاءً عرفانياً بانياً لأفضية ذهنية متعددة.

2-1- عناصر المكان اللغوية وأفضيتها الذهنية:

لا ينفصل الفضاء اللغوي في النص الشعري عن الأفضية الذهنية التي تحيل إلى مراجع المعنى، فيتعلق التعبير عن المكان والزمان باعتبارهما فضاءين حيزين لاحتواء الأحداث والحالات بتصور ذهني عرفاني يمكن من فهم المعنى واختيار الدوال الزمنية والعبارات المكانية المناسبة. نختار فيما يلي بعض الإشارات اللغوية التي تؤسس فضاء الغاب في أغاني الحياة وما يرتبط به من دوال زمنية تبني تصور الفضاء الدلالي والشعري للقصيدة من خلال النص التالي «تحت الغصون»⁽¹³⁾:

ههنا في خمائل الغاب تحث الزا	ن	والسندان والزيتون
أنت أشهى من الحياة وأبهى	من جمال الطبيعة الميمون	
ما أرق الشباب في جسمك الغص	وفي جيدك البديع الثمين	

(12) لانفكير، مدخل في النحو العرفاني، ص 79

(13) الشابي، الديوان، ص 188-189

وأدقّ الجمال في طرفك السّاهي
والذّ الحياء حين تغني
وأفقتنا فقلت كالحالم المس
أيّ دُنيا مسحورة أيّ رؤيا
وأجابت وكلّها فتنة تُغ
أبدًا أنت حالم فاسأل اللّي
وسكتنا وغرّد الحبّ في الغا
وبنى اللّيل والرّبيع حوالي
معبداً للجمال والحبّ شعريّاً
تحتّه يزخر الزّمان ويجري
وتمرّ الأيام والحزن والمو
معبداً ساحراً مباخره الزّه
ومضت نسمة تُوسّوس للغا
وطغى السّحر والغرام بقلبي
انظري اللّيل فهو حلّة الأح
واسمعي الغاب فهو قيثارة الكو
إنّ سحر الضّباب واللّيل والغا
وجمال الظّلام يعبق بالأح
آه ما أعذب الغرام وأحلى
وسكرنا هناك في عالم الأح
وتوارى الوجود عنا بما في
ونسينا الحياة والموت والسّكو

وفي ثغرك الجميل الحزين
ن فأصغي لصوتك المحزون
حور قولي تكلمي خبريني
طالعّني في ضوء هذا العيون
وي وتغري بالحبّ بل بالجنون
ل فعند الظّلام علّم اليقين
ب فأصغي حتّى خفيف الغصون
نا من السّحر والرّوى والسّكون
مشيداً على فجاج السنين
صامتاً في مسيله المحزون
ت بعيداً عن ظلّه المأمون
ر على الصّخر والثّرى والغصون
ب وتشدو في عمق ذاك السّكون
فتوسّلت ضارعاً بجفوني
لام يمشي على الدّرى والحزون
ن تغني لحبنا الميمون
ب بعيد المدى قويّ الفتون
لام والحبّ فابسمي والثميني
رنة اللّثم في خشوع السّكون
لام تحت السّماء تحت الغصون
ه وغبنا في عالم مفتون
ن وما فيه من منى ومنون

يعلن الشاعر منذ بداية التّلفظ في هذا النصّ عن المكان من خلال فضاء لغويّ دلاليّ وفّرته مفردات تحيل على المكان بوصفها علامات إشاريّة أبرزها ظرف المكان «هنا» الذي يحدّد الفضاء اللغويّ والفنيّ للشاعر. ال «هنا» إشارة إلى مكان محدّد مخصوص مرتبط بذات الشاعر وكيّنونته التي لا تتحقّق إلا بذلك المكان

الذي يمثل ههنا. «هنا» ليس مكان الغاب بقدر ما هو مكان النصّ ومكان الشاعر والشعر، هو فضاء ذهنيّ عرفانيّ أولاً. أمعن الشاعر في تحديد المكان وتدقيقه في ثلاث إشارات ظرفيّة «هنا»، «في» خمائل الغاب، «تحت» الزان والسنديان والزيتون:

هَهْنَا فِي خَمَائِلِ الْغَابِ تَحْتَ الزَّانِ وَالسَّنْدِيَانِ وَالزَّيْتُونِ

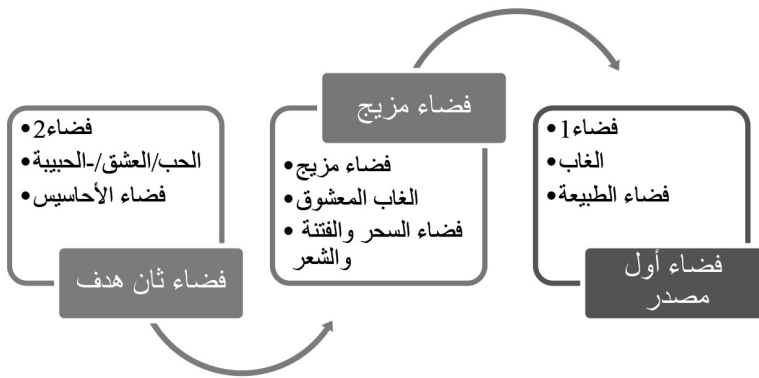
وكأنّ الإشارة الأولى «ههنا» غير كافية لتحديد المكان والفضاء الذي سيبنى النصّ فكان مكاناً داخل المكان وفضاءً داخل الفضاء، وهو يمعن في تحديد المكان ينحت الشاعر كيانه الفنّي والوجوديّ. تتجسّد ذات الشاعر وكيونته من خلال التحامها بالمكان والانصهار فيه حتى صار النصّ غاباً والغاب نصّاً، وهو مكان مخصوص حدّد بعناية فائقة الدقّة «في خمائل الغاب تحت الزان والسنديان والزيتون» تعبّر عن انتظام الفضاء داخل النصّ ووجوده في ذهن الشاعر أولاً. ثمّ إنّ التحديد الدقيق للمكان الموعّل في الواقعيّة، وهو ما توهم به إشارات المكان، هو تحديد حيزيّ واهم لا يرتبط بالواقع بقدر ما يرتبط بذهن الشاعر، فالمكان المحدّد بدقّة، الغاب بجزيئاته، موجود في ذهن الشاعر وهو فضاء ذهنيّ عرفانيّ بالأساس يؤسّس لمجموعة من الأفضية تحيل عليها عناصر لغويّة تحدّد المكان أو الزمان أو الحالات والأحداث التي تمثل محور الصور الشعريّة في النصّ.

لم يكن الغاب في هذا النصّ فضاءً طبيعيّاً عادياً بل هو فضاء عاطفيّ يوح فيه الشاعر بأحاسيس الحبّ والغرام في سياق غزليّ، فغدا الغاب فضاءً غزليّاً عاطفيّاً ومكاناً سحريّاً للحبّ، حيث يجتمع فيه الشاعر مع حبيبته في زمن متناسق مع المكان وهو الليل، تحت الظلام، ليكتمل المشهد العاطفيّ وتكتمل عناصره الفضائيّة فتشكّل صوراً شعريّة تبيّن معاني القصيدة وغرضها. ولكنّ الشابي وهو الذي يسكنه الغاب حتى صار لباساً له ولشعره لم يجعل الغاب مكاناً للحب والعشق بل جعله المعشوق الموازي لحبيبته وهو المفتون به كفتته بالمرأة الحبيبة، فيتحوّل الغاب من فضاء مكانيّ تحيل عناصره على فضاء الطبيعة إلى فضاء للعشق والغزل والفتنة وهو المعشوق، فهو «معبد ساحر» و«قيثارة الكون»:

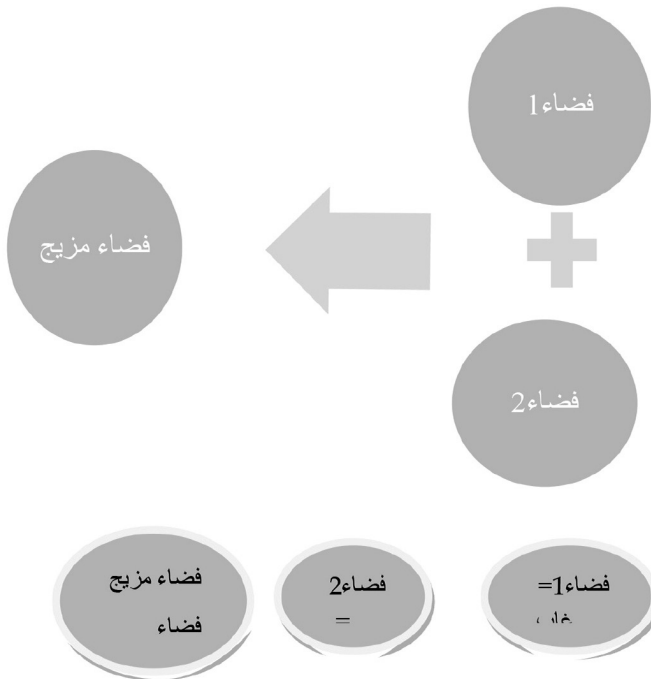
معبداً ساحراً مباحِرُهُ الرَّهْ رُ على الصَّخِرِ والثَّرَى والغُصُونِ
وطغى السَّحَرُ والغرامُ بقلبي فتوسَّلتُ ضارعاً بجفوني
واسمعي الغابَ فهو قيثارةُ الكو نِ تغني لحبنا الميمونِ
إنَّ سِحْرَ الضَّبَابِ واللَّيلِ والغا بِ بعيدُ المدى قويُّ الفُتونِ

يتحوّل الغاب من فضاء الطبيعة إلى فضاء شعريّ متكامل العناصر فيحيل على الجمال والسحر والفتنة، وتغدو الطبيعة كوناً عاطفياً وشعرياً، فضاءً لكلّ معاني الحبّ والأحلام، وهذا ليس بالغريب عن شاعر أغاني الحياة الذي اعتنق الغاب طريقاً للوصول إلى أحاسيسه وكونه الشعريّ. ولأنّ لفضاء الغاب أفضية ذهنيّة متعدّدة فلا يثبت الفضاء في صورة واحدة أو معنى وحيد، بل تتعدّد الأفضية وفق ما يؤوّل إليه موقف الشاعر ورغبته في بناء نصّه وكونه الشعريّ. فتمتزج الأفضية لينشأ فضاء مزيج هو الصورة المُبنيّة في ذهن الشاعر وهي البنية تصوّريّة في النصّ من خلال عبارات مكانيّة أو زمنيّة تحدّد فضاءاً لا محدوداً عرفانياً. في النصّ فضاء مزيج⁽¹⁴⁾ من خلال فضاءين جمع بينهما الشاعر ليخلق فضاءه الخاصّ وهو الغاب المتخيّل ذهنيّاً وليس الغاب كما في الطبيعة في الواقع، حيث يمتزج الغاب بعناصره الطبيعيّة مع الغاب المتصوّر بعناصر عاطفيّة وأحاسيس حميميّة فينشأ الفضاء المزيج وهو الغاب المعشوق الفاتن الذي يتقاسم معه الشاعر ترانيم الحبّ والهوى حيث لا تكتمل صورة العشق إلا بحضوره فيتماهى الغاب مع المرأة الحبيبة ومع شعور الحب ليكون هو الحبّ والعشق. ونبيّن هذا الفضاء المزيج في الرسم التالي:

(14) نظرية المزج التصوّري (conceptual blending theory): لصاحبها فوكونيه وتورنر (Gilles Fauconnier et Mark Turner) هي نظرية في اللسانيات العرفانية تفسّر كيفية دمج العقل البشري لمصادر معرفية مختلفة لإنتاج معان جديدة. لأنّ الفهم اللغوي يقوم على عمليات ذهنيّة ديناميكيّة تدمج بين تصوّرات مختلفة في «فضاء مدمج» جديد. ويستخدم المزج التصوّري لفهم الإبداع الشعري حيث يعتمد الشعراء على دمج الصور والتجارب المختلفة لإنتاج دلالات جديدة. وتساهم نظرية المزج في كشف البنية الذهنيّة التصوّريّة وراء الإبداع الشعري وتفسّر كيفية توليد المعاني والصور الجديدة من خلال المزج بين تصوّرات مختلفة.



ينتج عن مزج الفضاء الأول «الغاب» الطبيعة مع الفضاء الثاني فضاء الحب فضاء مزيج «الغاب الحب» فيمتزج فضاء الطبيعة بفضاء الأحاسيس لينشأ غاب مخصوص لا يرتبط بالطبيعة وإنما بذهن الشاعر وأحاسيسه ليكون الغاب فضاءً عاطفياً وشعرياً، هو غاب الشابي، الفضاء الذي يكتب فيه نصّه، كما نتبين ذلك في الرسم التالي:



2-2- الفضاء الزمانيّ وعلاقته بالفضائيّة النصّية

يرتبط الزمان بالمكان باعتبارهما فضاءين تأطيرين للنصّ الشعريّ، ولكنّهما يرتبطان بفضاء ذهنيّ أعمق وأوسع يتعلّق بالبنية التصرّوية للنصّ ولإنشاء القول. لكلّ حدث أو قول زمان ومكان ولكن هل للشعر زمان ومكان؟ وهل يتقيّد الشعراء بزمان ما ومكان ما؟ ليس للشعر مكان أو زمان محدّد لأنّه فعل مطلق غير مقيد بزمان أو مكان، ولا يسكن الشاعر غير نصّه في كلّ الأزمنة، ولكن لكلّ مقول فضاء عرفانيّ عليه يتأسّس فضاء لغويّ من خلال بناء العبارة والمعنى، فليس للوحدة المعجميّة معنى محدّد تمام التحديد خارج الفضاء العرفاني المرتبط بسياق ما، فكما يتأسّس النصّ الشعريّ من خلال عبارات إحاليّة لا تخلو من أفضيّة ذهنيّة تؤطّر المعاني والأفكار وتبني النصّ والشاعر، يفترض الفضاء الذهنيّ لكلّ مقول مجموعة من العناصر اللغويّة وغير اللغويّة لينشأ الترابط بين الذهن واللغة فيتحقّق النصّ الشعريّ وهو إنجاز ممكن من بين الإنجازات الممكنة لتشكّل الأفضيّة الذهنيّة المؤطرة لكلّ لفظ. إذ لا تمثل العبارات المحيلة على الزمان أو المكان البعد الحقيقيّ لفضاء النصّ، لأنّ «العبارات الزمنيّة تحدّد حيّزاً زائفاً ذا بعد واحد وهو المعروف بالخطّ الزمنيّ وليست الأشياء هي التي تموضع في الزمن بل الأحداث والحالات»⁽¹⁵⁾، فالفضاء الذهنيّ لزمن ما ممتدّ ومتعدّد له بنية تصوّرية في ذهن المتكلم وله دلالة خاصة تختلف من تصوّر إلى آخر. فالليل مثلاً بالنسبة إلى الشابي هو فضاء التأمل والمناجاة يثير الآلام يختلف عن ليله في النصّ السابق حيث احتضنه الغاب وحببته وقد اختار لفضاء العشق الليل زماناً والغاب مكاناً. وبما أنّ العبارات الزمنيّة شأن المكانية تحدّد حيّزاً زائفاً فلا تثبت الدلالة فيهما ولا الصورة المبنية التصرّوية، وإنما تتغيّر بتغيّر حالة الشاعر الفنيّة والنفسيّة، فيغدو الليل مصدراً للخوف والظلام وسط الغاب الذي يتحوّل إلى وحش بعد أن كان سكناً وموطناً، كما جاء في نصّ «صوت من السماء»⁽¹⁶⁾:

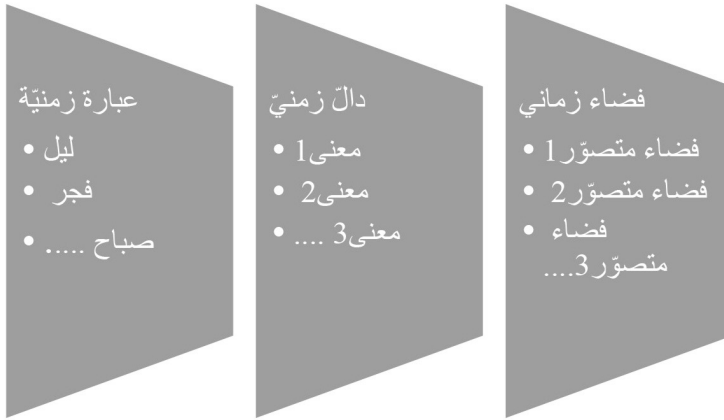
(15) راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرزاق بنور، المركز الوطني

للترجمة بتونس، تونس 2010، ص 337

(16) الديوان، ص 174

متأجج الآلام والآراب	في الليل ناديت الكواكب ساخطاً
والرؤص يسكنه بنو الأرباب	الحقل يملكه جبابرة الدجى
لا ترتوي والغاب للحطاب	والنهر للغول المقدسة التي
ظمأى لكل جنى وكل شراب	وعرائس الغاب الجميل هزيلة
حقت عليها لعنة الأحقاب	ما هذه الدنيا الكريهة ويلها
طال انتظاري فانطقي بجواب	الكون مضغ يا كواكب خاشع
فوق المروج الفيح والأعشاب	فسمعت صوتاً ساحراً متموجاً
وصدى يرن على سكون الغاب	وحفيف أجنحة ترفرف في الفضا
في الكون بين دجنة وضباب	الفجر يولد باسمًا متهللاً

العلاقة بين المكان والزمان في النص علاقة فضائية قائمة على مزيج من الأفضية تتأسس في الذهن في شكل خطاطات وفي النص في شكل عبارات أو إشارات لغوية هي دوال زمنية ومكانية تسهم في ترابط العناصر اللغوية والصور الشعرية فتربط بين المبنى والمعنى. هذه العبارات الزمنية باعتبارها «دوالاً زمنية لها أبنية تصوّرية»⁽¹⁷⁾، تتمثل في الأفضية التصورية التي ينشئها الشاعر في نصّه ويحددها القارئ بطرق متفاوتة ومتعددة. لكل دال زمني أو مكاني باعتباره فضاء بناء تصوّري يشكل نسيج النص الشعري، فتختلف التصورات باختلاف الأفضية التي يحددها القارئ. نتبين ذلك من خلال الرسم التالي:



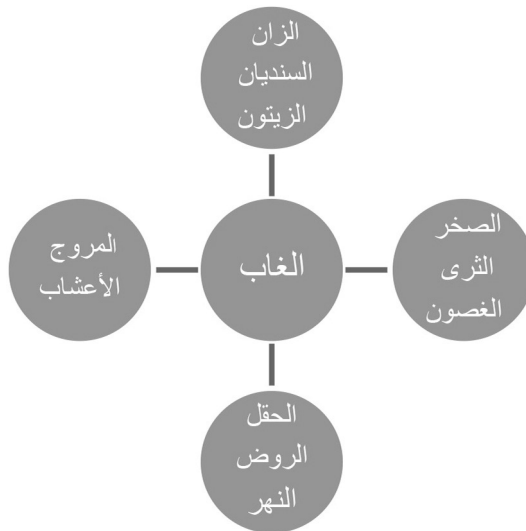
بناء تصوّري لفضاء زمنيّ

الفضاء الزمنيّ في نصّ الشابي متعدّد متحوّل غير ثابت، فلا الليل ليل ولا النهار نهار، وإنّما هذا وذاك، فهو فضاء العشق في نصّه السابق، وفضاء الوحشة في هذا النصّ، الليل زمن الأحلام والأنس حيناً وزمن الخوف والوحشة حيناً آخر، كذلك الغاب فضاء الشعر والكتابة يجمع بين الحبّ والظلم، فيتحوّل من فضاء الأحلام والعشق إلى فضاء الخوف والرعب: «والنَّهْرُ للغول المقدّسة التي لا ترتوي والغاب للحطّاب»، فهل الغاب سكن الشاعر أم سكن الحطّاب؟ أم يتحوّل الشاعر إلى حطّاب يهوي بكلماته على الظلم فيقتلعه، ويجمع شتات العبارات والمعاني ليشعل بها شرارات ثوريّة فتشتعل الحياة ويعود دفء الغاب وتعود للشاعر أحلامه فيعود إليه غابه؟

3- أفضية النصّ: الفضاء النصّ والنصّ الفضاء

تفترض الفضاءيّة النصّية وجود فضاء المكان أو الزمان من خلال وحدات معجميّة أو سياقيّة تشير إلى فضاء ما. يتضمّن الفضاء المكانيّ عناصر لغويّة تحيل على المكان، هي دوالّ مكانيّة تبني فضاء الغاب في نصّ الشابي، هذا الفضاء الذي يتأسّس على فضاء لغويّ دلاليّ من خلال حقل معجميّ خاصّ بالغاب:

(الزان، السنديان، الزيتون، المروج، الأعشاب، الصخر، الثرى، الحقل، الروض، النهر). تحضر عناصر الغاب المتعددة باعتبارها أفضية مكانية تنتمي إلى فضاء الغاب لتؤصل المكان باعتباره إطاراً فضائياً تتحقق فيه معاني النص، فتأطير النص من خلال عناصر الغاب الطبيعية هو تأطير فني لكنه ذهني أساساً، هو بناء تصوّرٍ للمكان الذي ينطلق منه الشاعر لبناء نصّه وأحاسيسه وذاته. هذا الإطار الفضائي للغاب يدور حول الغاب والنصّ وحول الشاعر ليعود إلى الغاب، منطلقاً وهدفاً، فضاءً مكانياً ونصّياً وذهنياً، كما نتبيّه في الرسم التالي:



يقترب الفضاء الدلالي بالفضاء اللغوي ويتحقق بواسطة الحقول المعجمية والدلالية، وقد أنشأ الشاعر حقلاً معجمياً خاصاً بالمكان الأساس وهو الغاب فحضرت كلّ مكوناته من شجر وزهر وصخر وثرى وغصون وروض ونهر وصمت ونور وظلام. لم يرتبط الفضاء في نصوص الشابي بالمكان الغاب فحسب وإنما بالزمان المقيّد بلحظتين تمتدّان بين الليل والفجر، فكان الليل وظلامه وسكونه ونجومه زمن مناجاة الشاعر وبوحه وحلمه ولعلّه وحيه الذي يمتدّ فيخلق فضاءً آخر داخل الفضاء الأول ويمتزج فضاء الحلم بفضاء القول والتلفّظ، فينشأ فضاء مخصوص ذاتي تنحت فيه كينونة الشاعر ونصّه. بين الليل

زمن الحلم والفجر زمن الوحي تتحدّد ذات الشاعر عبر فضاءين، مكانيّ يمثله الغاب وزمانيّ يتراوح بين الليل المتجدّد بين الظلام والنور، الصمت والسكون، الوعي واللاوعي، شبيها بالحلم اليقظة وبين الفجر برمزيتة للحياة والتجدّد والنور والأمل حتى يستحيل النصّ الشعريّ وحيا والشاعر نبياً، أ لم يدّعي الشعراء النبوة؟ أ لم تكن نصوصهم رسائل شأن الشابي الذي كان نبياً قومه وشعبه يحثّهم على الحياة والإرادة؟

لا ينتج النصّ الشعريّ خارج الفضاء، بل هو نتيجة لتفاعل مجموعة من الأفضية تعكس علاقة الذات بالمكان والزمان وتصف تجربة الشعر ذات البعد الذاتي الوجودي والفنيّ. الفضاء في النصّ الشعريّ رؤية فنية مخصصة يتداخل فيها اللغويّ الدلاليّ وغير اللغويّ لإنتاج كون شعريّ فني لا ينفصل عن ذات الشاعر ووعياها بالمكان.

لا يخرج النصّ مهما كان جنسه وشكله عن سياق الفضاء الذي كُتب فيه وأنتج ضمنه مرتبطاً أساساً بالذات التي تحلّ بمكان ما يكون فضاءً حاوياً للنصّ. لا يهمّ إن كان المكان واقعياً أم خيالياً والزمان حاضراً أم ماضياً في النصّ فمآله حتماً التخيل، الفضاء في النصّ الشعريّ مرتبط بعالم متخيّل نسيجه أفضية متعدّدة بين اللغة وغير اللغة، إلا أنّ سبيل التعبير يظلّ وإن تجاوز اللغويّ تلفظياً إشارياً دلالياً ترميزياً له علاقة بالفضاء العرفانيّ. من خلال فضاء لغويّ يتيح للشاعر بناء نصّه يَنْتُج الفضاء الدلاليّ الذي يشكّل دلالات النصّ ومحتوياته بواسطة مجموعة من الحقول الدلالية والمعجميّة الدالة على المكان أو الزمان، ويتعلّق ذلك ببناء الصور الشعريّة في النصّ، وهي تبني في فضاء خاصّ بها قد يكون مرتبطاً بالمكان أو باللامكان، فهي ترتبط أساساً بفضاء ذهنيّ له علاقة بالمحيط الخارجي وبالأنطولوجيا، إذ «تتمتّع الصورة الشعريّة بكيانها الخاصّ، وديناميكيّتها الخاصّة. إنها تأتي من الأنطولوجيا المباشرة»⁽¹⁸⁾ كما يقول قاستن باشلار. إنّ الفضاء العرفانيّ يتضمّن جميع الأفضية الذهنيّة الممكنة لإنتاج الصور الشعريّة

(18) Gaston Bachelard : La Poétique de L'Espace ،Les Presses universitaires de France، 3ème édition ،Paris، 1961، p14

والنصّ، فالصورة الشعرية تمثل وسيطا بين الذهن واللغة لإنتاج النصّ، وهي مصدر التخيل، وهي «تعمل على تحريك كلّ النشاط اللغويّ. فتعيدنا الصورة الشعرية إلى أصل الكائن الناطق (L'image poétique nous met à l'origine de l'être parlant)⁽¹⁹⁾.

خاتمة:

لا ينشأ النصّ الشعري خارج الفضاء، بل هو وليد الفضاء بأنواعه، فكان الفضاء في شعر الشابي من خلال فضاء الغاب عنصرا جوهريّا يعكس نظرتة الثورية والعاطفية. يجتمع الفضاء المكانيّ في عناصر الطبيعة ليكون فضاء فاعلا في النصّ ومنتجاً للمعنى، بينما يعكس الفضاء الذهنيّ المتمثل في البنى التصورية لمعاني النصّ صراع الشاعر بين الحلم والواقع أو بين المنشود والموجود، بين عالمين متناقضين أسسا عالم الشابي وكونه الشعريّ المجدّد والثائر. يأتي الفضاء اللغويّ ليصوغ هذه البنى التصورية في قالب شعريّ ثريّ بالإيقاع والرمزية، فلا يخلو كلّ عنصر لغويّ من رمزية وبعد فنيّ له علاقة ببناء النصّ في علاقته بالشاعر داخل فضاء مخصوص. فالفضاء في نصّ الشابي أفضية، كلّ فضاء يتطلّب بحثا عميقا للكشف عن خلفيات النصّ الفنية والذاتية إذ لا ينفصل النصّ الشعريّ عن ذات الشاعر مهما ابتعد عن الخصوصية فهو نابع منه وعائد إليه.

(19) المصدر نفسه، ص 14

المصادر والمراجع

المصدر:

- الشابي أبو القاسم: ديوان أغاني الحياة، ضبط وشرح إميل كبا، دار الجيل، بيروت، 2002

المراجع المعرّبة:

- جاكندوف راي، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرزاق بنور، المركز الوطني للترجمة بتونس، تونس 2010
- لانقكير رولاند، مدخل في النحو العرفاني، ترجمة الأزهر الزناد، معهد تونس للترجمة 2018
- لايكوف جورج ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط 1 2018

المراجع الأعجميّة:

- Bachelard Gaston : Gaston Bachelard : La Poétique de L'Espace, Les Presses universitaires de France, 3ème édition ,Paris, 1961
- Brouillette Marc André : De l'espace de la langue à l'espace du poème, Voix et Images Volume 28, numéro 3 (84), printemps 2003
- Fauconnier G. Espaces Mentaux, Editions de Minuit, Paris 1984
- Fauconnier G. (1997), Mapping in Thought and Language, Cambridge University Press
- Rousseau André :Espace, référence, représentation. Réflexions sur quelques conceptualisations de l'espace ,Année 1993.
- Wunderlich Dieter :Langage et espace, DRLAV. Documentation et Recherche en Linguistique Allemande Vincennes Année 1982, n° 27 , pp. 63-82

جذور تحليل الخطاب في التراث العربي القديم

أ. عواطف السمعلي

مخبر المباحث الدلالية واللسانيات الحاسوبية (LR18ES46)

كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة

الملخص

تعتبر جملة المفاهيم الأساسية والمساهمات الفعلية والمظاهر الخطابية في التراث العربي المتعلقة بما جاوز حدود الجملة نضجا، تميز به الدرس اللغوي العربي القديم. انطلاقا من النحو وتمييز النّحاة بين الجملة والكلام، ودراستهم لحالات تركيبية ولطرق العطف بين الجمل، إلى تعامل البلاغيين مع وحده لغوية تتحدى حدود الجملة وتتجاوز بنيتها العاملة التي قيّدت النحويين، ودراستهم لمسألة الوصل والفصل بين الجمل سواء أكان ربطا شكليا بـ"الواو" أم ربطا معنويا، ومن خلال وضع قواعد نحوية ومعنوية وتداولية. كما كان للنقد الأدبي معطيات خطابية تعتبر حقائق نصية تحتاج الوقوف عندها سواء أكانت نصوصا أدبية تهتمّ بالتحام أجزاء النصّ وضرورة تماسكه، أم دراسات نقدية تدرس كيفية تماسك النصّ / الخطاب، إذ وضعوا شروطا شكلية ومعنوية تضمن تماسك النصّ / الخطاب، وصولا إلى الدرس الوصولي ومبحث علم التفسير وعلوم القرآن المهتمّ بالنصّ القرآني وكيفية تماسكه وتأخذ آياته وتناسب سورته، مبحث تميز بالطابع الاجرائي.

الكلمات المفتاحية: نحو - بلاغة - نقد أدبي - علم التفسير - علوم القرآن -

وصل - فصل - إحالة.

Abs|tract

Classical Arabic linguistic scholarship is marked by a high level of maturity in its treatment of key concepts, substantive contributions, and discursive phenomena that go beyond the sentence level. This interest first emerged within grammatical studies, where scholars distinguished between the sentence and utterance, and examined syntactic patterns and coordination between sentences. It later developed in rhetorical theory, as rhetoricians engaged with linguistic units that transcend the sentence and its rule-governed structure, which had constrained grammatical analysis. They explored issues of connection and disjunction between sentences, whether through formal linking devices such as *wa* ("and") or through semantic relations, and established grammatical, semantic, and pragmatic principles to account for these phenomena.

Literary criticism also contributed important discourse-based insights, treating textual cohesion as a fundamental textual reality. This was evident both in literary texts that emphasized the integration and coherence of textual components, and in critical studies that examined the mechanisms of textual and discursive cohesion, proposing formal and semantic conditions to ensure textual unity. This trajectory culminates in the study of textual connectedness and in the disciplines of Qur'anic exegesis and Qur'anic sciences, which focus on the coherence of the Qur'anic text, the interrelation of its verses, and the harmony of its chapters—an area of study distinguished by its procedural and analytical orientation.

Keywords: Grammar – Rhetoric – Literary Criticism – Qur'anic Exegesis – Qur'anic Sciences – Connection – Disjunction – Reference.

المقدمة

مثّلت العناية بالخطاب أو ما جاوز حدود الجملة مبحثاً متأخراً في تاريخ اللسانيات الحديثة. إذ تبلورت بحوث ودراسات ومقاربات تهتمّ بالخطاب. واتّسع مجال البحث اللساني ليشمل أبعاداً عدة، لم تكن تدخل ضمن مجال

البحث اللساني البنيوي. وصارت شروط إنتاج الملفوظ عناصر جديدة بالدراسة. وأصبحت الأنماط التعبيرية المختلفة للغة سواء أكانت حواراً أم محادثة أم نصاً مبنياً (Structure) على شكل فقرات ومقاطع ومواضيع جديدة بالدراسة. وصار ينظر عليها على أنها أفعال ذات أبعاد، وظائف اجتماعية ومؤسسية. وضبطت القوانين الخطابية، التي تحكم كل ما يتلفظ به من ملفوظ.

ولم يعد الحديث مقتصرًا على مستوى واحد للغة. (Niveau unique langue)، وهو المستوى الشكلي والمصرح به (Le niveau formel explicité)، بل هناك المستوى المعنوي المضمّر الذي يعرف بتوسل عناصر اللغة ممزوجة بعنصر السياق المتعدد الأبعاد. وظهر مصطلح « لسانيات الخطاب » الذي يشير إلى أسلوب آخر في إدراك اللغة. فبعد أن كانت الجملة بؤرة اهتمام الدرس اللساني ومركز الدوران فيه، إذ هي الوحدة الأساسية للدراسة اللسانية، أصبح الاهتمام موجهًا إلى درجة أعلى تتجاوز حدود الجملة ومحاوريتها، وتتجاوز الجانب البنيوي. وصرف الاهتمام على المعنى والعلاقات الخفية بين أجزاء النص. والمعنى لا يمكن دراسته منفصلاً عن سياقه اللساني المتمثل في البنية اللغوية الكبرى.

ومن هذا المنطلق نشأ هذا العلم الجديد الذي يهتم بدراسة الخطاب / النص. ويدرس تماسك وتعلق أجزائه حتى يكون وحدة كلية تؤدي أغراضاً ووظائف معنية. في مقامات تبليغية محددة. وكان الاتساق والانسجام من أهم المفاهيم والمسائل التي عالجها هذا الفرع المعرفي الجديد. الذي تكوّن بالتدرج في النصف الثاني من الستينات على أنقاض لسانيات الجملة (Linguistique de phrase) واللسانيات الأسلوبية (linguistique stylistique)، التي يرى الكثير من الباحثين أنها عجزت عن الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: البنيوي والدلالي والتداولي. فلسانيات النص علم جديد يدرس الخطاب / النص كوحدة لغوية كبرى، يتحقق اتساقها ويؤلّ انسجامها. اعتماداً على مجموعة من الأدوات الشكلية والمعنوية الخفية.

إلا أن الاهتمام بما جاوز حدود الجملة ودراسة الترابطات الشكلية والدلالية والتداولية بين أجزاء النص / الخطاب وما بينهما من اتّساق دلالي ومن انسجام منطقي عقلي له بؤادر وله جذور في التراث العربي القديم سواء في الدّرس اللغوي أم في الدّرس الأصولي لذلك اخترنا البحث في جملة المفاهيم الأساسية والمساهمات الفعلية والمظاهر الخطابية التي لها علاقة بما جاوز حدود الجملة فانتهجنا منهجا تحليليا توسعياً إذ انطلقنا من النحو ومن تمييز العرب بين الجملة والكلام وقوفا عند دراستهم لحالات تركيبية ولطرق العطف والربط بين الجمل كما سندرس البلاغة في تعاملها مع وحدة لغوية تتجاوز حدود الجملة وتجاوز بنيتها العاملة التي قيّدت النحويين إذ اهتمت بالشعر وبالخطبة وبالنص القرآني وهي أنواع خطابية لكل منها سماتها ودرست مسألتي الوصل والفصل بين الجمل لرباط شكلي يتمثل في العطف "بالواو" أو لرباط معنوي أقوى إذ وضع البلاغيون لذلك قواعد نحوية ومعنوية وتداولية تبلورت في مجهودات الجرجاني (400 هـ - 471 هـ / 1009 م 1078 م) والسكاكي (626-555 هـ / 1160-1129 م)

ويعتبر مبحث النقد الأدبي وما قدمه من معطيات خطابية حقائق نصية تحتاج الوقوف عندها سواء كانت نصوصاً أدبية تهتم بالتحام أجزاء النص وضرورة تماسكه عند الجاحظ (255-163 هـ) وابن طباطبا (ت 322 هـ) والحاتمي (ت 345 هـ) أم دراسات نقدية تدرس كيفية تماسك النص وفصول القصيدة لاسيما مع حازم القرطاجني الذي وضع شروطاً وعلاقات شكلية ومعنوية تضمن تماسك أبيات الفصل الواحد أو فصول القصيدة بأكملها وصولاً إلى الدرس الأصولي ومبحث علم التفسير وعلوم القرآن في تعاملها مع النص القرآني وكيفية تماسكه وتأخذ آياته وتناسب سورته واستخراج المفسرين للوسائل والآليات الشكلية والمعنوية والتداولية التي تشد الآيات بعضها ببعض لتجعل من النص القرآني كلا واحداً موحداً رغم اختلاف أوقات نزوله وأسبابه.

1 - منزلة مصطلح النصّ في الدرس اللغوي والأصولي

يقودنا البحث في المعنى المعجمي لكلمة نصّ في اللغة العربية إلى جملة من المعاني اللغوية التي جاء ذكرها في عديد المعاجم التراثية تحت مادة (ن، ص، ص). فإذا ما عدنا إلى (لسان العرب) لابن منظور نجد أنّ "النصّ: رفع الشيء، نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه وكلّ ما أظهر فقد نصّ ومن ذلك المنصّة... يقال نصّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصّت الظبية جيدها أي رفعته"⁽¹⁾.

ويذهب الأزهر زناد في كتابه (نسيج النصّ) إلى أنّ أغلب المعاني الممثلة لمادة (ن، ص، ص) في المعاجم التراثية تعود إلى معنى جامع واحد هو معنى "الارتفاع" أو "إظهار مكوّنات الشيء أو أقصاه"، معتبرا أنّه في بالإمكان التوسّل بهذه المعاني في فهم إجراء النصّ في الاصطلاح على أنّه كائن لغويّ، فالنصّ يطلق على ما به يظهر المعنى أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئيّ منه عندما يترجم إلى مكتوب.⁽²⁾ ولعلّ أوّل من أشار إلى مفهوم النصّ اصطلاحاً الإمام الشافعيّ ت (206 هـ) عندما ذكر وجه البيان في القرآن: "النصّ (أي الكتاب) هو إلى غاية البيان فيه فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره."⁽³⁾ وقد عرفه الشريف الجرجانيّ (ت 816 هـ) في كتابه التعريفات حدّ النصّ فقال: "النصّ ما لا يحتمل إلا معنى واحداً وقيل: ما لا يحتمل التأويل"⁽⁴⁾.

كما أورد أيضاً: "ما ازداد وضوحاً على الظاهر بمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى كما يقال أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغمّ

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (القاهرة، 2016، مجلد 6)، 4441.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النصّ، المركز الثقافي العربي (بيروت، 1993)، 12.

(3) محمد بن إدريس الشافعي، رسالة بن إدريس الشافعي، شرح أحمد محمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (مصر 1938)، 7.

(4) الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان (بيروت، 1985)، 72.

بغمّتي كانتصّ نصا في بيان محبّته⁽⁵⁾ وقد لاحظ محمد الشاوش في كتابه أصول تحليل الخطاب أنّ النحويين والبلاغيين ونقاد الأدب والمفسرين استخدموا مصطلح النصّ استخداما مخالفا لما أصبح يعينه في البحث اللساني الحديث. فالنصّ عندهم كما يقول الباحث "عملية يقوم بها المتكلم أو قل وجه من وجوه العملية التي يقوم بها المتكلم، وليست البتّة القول أو الكلام ذاته، وبالتالي فإنّ المتكلم في نظرهم يتكلّم فينشئ كلاما أو قولاً والكلام لا يخلو من معنى والمعنى يكون نصّا"⁽⁶⁾....، ويقول "والنصّ عند المحدثين هو نتيجة عملية كلام، فلا وجود لمتكلم دون أن ينتج نصّا"⁽⁷⁾.

ولئن غاب مصطلح "نص" بالمفهوم الحديث عن استخدام الدّرس اللغوي والدّرس الأصولي. إذ أطلق المتقدّمون على المادة اللغوية متى احتاجوا الإشارة إليها تسميات أخرى من قبيل القول والكلام وتسميات تتمحور حول جنس الكلام وشكله من قبيل قصيدة وحديث وسورة ورساله وخطبة ومعلقة وبيت، فإنّ وعيهم بترابط أجزاء النصّ وانسجامها كان واضحا وإنّ اشتغالهم بالنصّ على اختلاف درجات الفهم والتفعيد بدا جليّا في العديد من المواضيع في المباحث اللغوية من نحو وبلاغة ونقد أدبي وتفسير للنصّ القرآني.

2 - النحو

2-1 - الجملة والكلام

فرق النحاة العرب بين الجملة والكلام، واعتبر ابن يعيش (ت 643 هـ) الكلام أعم من الجملة وأشمل فكل جملة هي كلام. وليس كل كلام جملة. وقد ذهب ابن جني (327 - 399 هـ) نفس المذهب واعتبر الكلام الجمل المتكونة من الألفاظ المستغنية عن غيرها في قوله: «قد ثبت بما شرحناه وأوضحناه أن الكلام

(5) المرجع نفسه، 72.

(6) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع (بيروت، 2001، ج 1)،

190.

(7) المرجع نفسه، 190.

إنما هو لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة لرؤوسها المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل الصنعة الجمل على اختلاف تركيبها⁽⁸⁾. والواقع أنَّ التمييز بين الجملة والكلام بدأ أكثر وضوحاً مع النجاة المتأخرين مع ابن يعيش والرضي الاستربادي (ت 688 هـ) الذي أقرَّ بوجود فرق بين المصطلحين.

ويوضح ذلك قوله: «الفرق بين الجملة والكلام أنَّ الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر في الجمل، فيخرج المصدر وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه. والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وما كان مقصوداً لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس»⁽⁹⁾ وقد ميز ابن هشام (ت 761 هـ) أيضاً في مغني اللبيب بين الجملة والكلام إذ هو لا يرى في الجملة مرادف للكلام فهو أعم منها وهي أخص منه والكلام عنده هو «ما دل على معنى يحسن السكوت عليه في حين ان الجملة عنده «عبارة عن الفعل وفاعله كـ «قام زيد» والمبتدأ والخبر كـ «زيد قائم» ما كان بمنزلة أحدهما نحو «ضرب اللص» و «أقائم زيدان» و «كان زيد قائماً» و «ظننته قائماً» وهذا يظهر لك إنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس»⁽¹⁰⁾.

ولعل القصد من تتبع تحديد النحاة لمفهومي الجملة والكلام هو الوقوف عند تمييزهم بين هاذين المفهومين الذي يقوم على مرتكزين إثنيين أولهما الإسناد وثانيهما المعنى وقد أوضح محمد الشاوش في كتابه أصول تحليل الخطاب أن نحاة العرب استعملوا مصطلح كلام للدلالة على الشكل اللغوي المستغنى المفيد ومصطلح جملة للدلالة على الشكل اللغوي القائم على الإسناد سواء استغنى

(8) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية (القاهرة، د.ت، ج 1)، 32.

(9) الرضي الأستربادي، شرح الرضي على الكافية، منشورات مؤسسة الصادق (طهران، 1978، ج 1)، 33.

(10) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت، 1991، ج 2)، 431.

و استقل بنفسه أو تعلق بغيره ولم يستغنى وهذا التمييز بين الجملة والكلام فيه إشارات إلى حالات تركيبية تتصل وتعلق بما جاوز حدود الجملة ورغم أن هذه الإشارات لم ترتقي إلى مستوى التقعيد والوصف ولم تصل إلى درجة النظرية إلا أنها تؤكد أن النحاة العرب لم يقفوا في منوالهم النحوي عند حدود الجملة فاهتمامهم بالتركيب على اعتبار أن الألفاظ لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها لكن لأن تضم بعضها إلى بعض.⁽¹¹⁾ وإقرارهم أن الفائدة من الكلام لا تجني كلاً من الجمل ومدارج القول.⁽¹²⁾ جعلهم لا يقتصرون على أشكال التركيب في حدود الجملة بل تجاوزوا إلى أحوال الكلام والتمعن في سبل تركيب الجمل وطرق الربط بينها. وأصبحت الجملة عند النحاة العرب (كما ذهب إلى ذلك محمد الشاوش الوحدة الصغرى التي يتكون منها كل خطاب أو نص، ولم تعد الوحدة القصوى للكلام بل وحدته الدنيا التي لا يمكن أن ينزل دونها: «فاعتبروا بذلك أن أكبر الوحدات العاملة من أبسط الوحدات الخطابية وأدناها.»⁽¹³⁾

2-2 - العطف

اعتبر النحاة أن الكلام «هو أقل ما يكون جملة مركبة.»⁽¹⁴⁾ فبحثوا في وسائل ترابطه واتساقه واهتموا بالعطف بين الجمل واعتبروا أن الجملة لا تعطف على استواء⁽¹⁵⁾. ويتضح ذلك في قول المبرد (210-286هـ / 825-899م): «ولا يقع عطف على الاستواء إلا أن تجعل الكلام الثاني على غير معنى الكلام الأول، فذلك جائز متى أردته وكل جملة بعدها جملة فعطفها عليها جائز وإن لم يكن

(11) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر (دمشق، 2017)، 416.

(12) ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية (القاهرة 1952 ج 2)، 331.

(13) الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، 424.

(14) انظر الخصائص لابن جني ج 1 باب القول على الفصل بين الكلام والقول، أو في سياق حديثه عن تعريف الجملة.

(15) الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، 429.

منها نحو «جاءني زيد» و«انطلق عبد الله» و«أخوك قائم» و«إن تأتني آتاك». فهذا على هذا.⁽¹⁶⁾

اعتبر محمد الشاوش في كتابه (أصول تحليل الخطاب) أن قول المبرد يفتح الباب واسعا في وجه ما أصبح يسمى بنحو النص» بقوله: «وهذه العبارة مهما كانت صيغتها تقيم أصلا مفاده أن عطف الجملة على الجملة يكون دون أن تكون الثانية مضمنة في الأولى.» وتدل على جواز القول بعطف الجمل وتنص على هذا الأمر نصا صريحا لا يشوبه لبس وهي بالتالي تقوم على القول بقيام علاقة العطف في مستوى يتجاوز البنية العاملية للجملة ويخترقها وتكون هذه العبارة على هذا النحو مبتدأ نحو النص وخلاصته⁽¹⁷⁾

وقد اهتم النحاة العرب أيضا بدراسة الحروف التي تربط بين أجزاء الكلام وجعلوا لكل حرف من هذه الحروف معنى واعتبروا حروف العطف من حروف المعاني رغم اعتبار حد الحرف أن يكون معناه في غيره. ويوضح محمد الشاوش في دراسته لدور الأدوات في تحقيق العلاقات المعنوية بين الجمل «أن لحروف العطف معنى واحدا وإنما تأتيها المعاني الأخرى بحسب ما تربطه: فالحكم الجامع بينهما أنها حسب المبرد أن «يدخل الثاني من الإعراب فيما دخل في الأول.»⁽¹⁸⁾

وقد حدد ابن السراج (ت 316 هـ) في كتابه الأصول في النحو: حروف العطف عشرة يتبعن ما بعدهن ما قبلهن من الأسماء والأفعال في إعرابها.⁽¹⁹⁾ إن هذا الوعي بترابط الجمل يكشف عما اشتمل عليه النحو العربي من قواعد يمكن أن تكون مرجعا ودعما لما اصطلاح عليه فيما يعد بنحو النص. حيث يمكن

(16) المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المقتضب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة 1994 ج 3)، 279.

(17) الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، 424.

(18) المرجع نفسه، ج 1، 563.

(19) ابن سراج، أصول النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1996)، ج 2، 55.

أن تكون معينا للآراء والاقتراحات التي طرحت حديثا والتي ستوضح جليا مع مبحث البلاغة.

3 - البلاغة

تعتبر البلاغة من أهم المباحث التي وجهت اهتمامها نحو المظاهر الخطابية التي أبرزت وعي البلاغيين بتماسك الخطاب وارتباط أجزائه بعضها ببعض وكشفت عن وصفهم لطرق اتساق النص وانسجامه حتى أن هناك من الباحثين من بينهم هارفع من ذهب إلى عد البلاغة بمثابة أم أو إرهاص للسانيات النص على اختلاف المنهج والأدوات والأهداف وقد تعددت آراء البلاغيين في الوصل والفصل ولكنها لم تختلف فمدارها على عطف الجمل بعضها ببعض أو ترك ذلك العطف لسبب معنوي ولعل أقدم إشارة إلى أهمية الفصل والوصل في الخطاب ما ورد في كتاب البيان والتبيين أثناء سرد الجاحظ لتعريفات البلاغة.

وقد جاء في تعريف أنه «قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال معرفة الفصل من الوصل»⁽²⁰⁾ على أن الفصل والوصل كمظهر خطابي مر بمرحلتين فلئن كشفت بعض النصوص والتعريفات في مرحلة أولى عن بروز الإرهاصات الأولى التي لم ترتقي إلى مستوى التقعيد وإن سجلت أهمية هذا المظهر الخطابي البلاغي، فإن المرحلة الثانية تمثل تبعا دقيقا لهذا المظهر الخطابي وصفا وتقعيدا.

3-1- المرحلة الأولى

وتتلخص هذه المرحلة في كتاب الصنائع لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ) الذي أورد فيه بعض التعريفات والنصوص حول البلاغة. حيث قال - قال المأمون: (.....) إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواقع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام»⁽²¹⁾

(20) عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي (بيروت، د.ت)، ج 1،

111.

(21) أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، الصنائع، تحقيق البجاوي

- قال أبو العباس السفاح لكاتبه: قف عند مقاطع الكلام وحدوده وإياك أن تخلط المرعى بالمهمل. ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل فانه أشد وأعيب من اللحن.⁽²²⁾

- وكان أكتهم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكاتبه: افصلوا بين كل منقض معنى، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً ببعضه ببعض.⁽²³⁾

- كان الحارث بن أبي شمر الغساني يقول لكاتبه المرقش: إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبعه من الألفاظ فإنك إذا مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن يمدق نقرته القلوب عن وعيها وملته الإسماع واستثقلته الرواة.⁽²⁴⁾

وقد أوضح محمد الخطابي في كتابه لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب أن «الاهتمام بالوصل والفصل في الكلام وإيتائه ما يستحق من العناية تقليد حضاري أملاه تنظيم الدولة وتعقد مهامها واتساع أطرافها وترامي الأمصار الداخلية تحت سلطتها ولنشوء كتاب الدواوين استجابة لهذا الواقع الجديد».⁽²⁵⁾ مثلث النصوص المذكورة في كتاب الصناعتين كما سبق ذكره الإرهاصات الأولى إذ اهتدى أصحابها إلى المواطن التي ينبغي أن يفصل فيها الكلام عن الكلام أو أن يوصل إلى أسباب وعلل الفصل والوصل ودواعيهما وهو حسب ما ورد في هذه النصوص أمر معنوي فيما يبدو مثل «افصلوا بين كل منقض معنى، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً ببعضه ببعض». هذا ما تميزت به المرحلة الأولى، فما هو طابع المرحلة الثانية؟

وأبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب (بيروت 1901)، 497

(22) المرجع نفسه، 500.

(23) المرجع نفسه، 499.

(24) المرجع نفسه، 499.

(25) محمد الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء 2006)، 99.

3-2 المرحلة الثانية

تتمحور المرحلة الثانية حول مجهودات الجرجاني (400 - 471 هـ) وإسهامات السكاكي (555 - 626 هـ) وتدور اهتمامات هذين العلمين حول مسألتي الوصل والفصل أي «ما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها مثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى»⁽²⁶⁾ إلا أننا نكتفي بتتبع هذه المسألة من منظور الجرجاني.

3.2.1 الوصل والفصل من المنظور الجرجاني

3-2-1-1 الوصل

بني الجرجاني قضية الربط والتعليق أي نظم الكلم على خلفية نحوية تلعب فيها العلاقات النحوية دورا بالغا، فقد أعطى الجرجاني للنحو قيمة كبيرة في عطف جملة على أخرى، كما أولى المعاني اهتماما بالغا فاعتمد على خلفية معنوية تفسر وتعلل العطف الحاصل بين جملتين لا محل لها من الإعراب، بل تجاوز ذلك إلى خلفية تداولية تبرر العطف تبريرا نفسيا عقليا يختلف من شخص إلى آخر.

3-2-1-1-1 عطف جملة على جملة مجاورة:

وقد وضع الجرجاني لعطف جملة على جملة مجاورة شروط ثلاثة:

- * أن يكون حكمها حكم المفرد
- * أن يكون للأولى محل من الإعراب.
- * أن تنقل الأولى إلى الثانية حكما وجب للأولى

■ الأسماء الواصفة أو المؤكدة

هذه الأسماء لا تحتاج إلى رابط يربطها بموصفهما أو مؤكدها ومثاله في ذلك «جاءني زيد الظريف وجاءني القوم كلهم». فالأولى صفة لزيد والثانية تأكيد للقوم لهذا لم تحتاجا إلى رابط يربط بينهما أي بين الصفة والموصوف.

(26) الجرجاني، دلائل الإعجاز، 232.

■ معنى الجمع

اقترح الجرجاني هذا المبدأ المعنوي للبحث عن علة وتفسير للعطف الحاصل بين جملتين لا محل لها من الإعراب لانعدام وجود حكم مشترك بينهما والمثل الذي ضربه هو «زيد قائم وعمر قاعد» ومبرر هذا العطف هو أن زيدا وعمرا كالنظيرين والشريكين حيث إذا عرف السامع حال الأول غناه أن يعرف حال الثاني. والظاهر من كلام الجرجاني أن السامع هو أحد عناصر السياق وحاجته إلى معرفة حال الثاني بعد معرفة حال الأول لاقتراحه في ذهنه مبررا من مبررات العطف.

■ النظير والشبيه والنقيض

وهذا المبدأ يجوز العطف معنويا حين يمتنع معياريا والشرط الذي يجوز العطف هنا هو أن يكون الخياران شبيهين أو نقيضين أو نظيرين ويتضح بالأمثلة التالية:

*زيد طويل القامة وعمر شاعر

*زيد طويل القامة وعمر قصير

*زيد شاعر وعمر كاتب

فالعطف الأول شاذ وفق المبدأ والقيد الموضوعين سابقا. لأن الخبرين ينتميان إلى حلقين دلاليين مختلفين ولا شيء يبرر العطف بين كون زيد طويل القامة وبين كون عمر شاعرا. والأصح أن يؤتي لكل خبر بما يشاكله مثل طول القامة وقصرها أو قول الشعر وكتابة القصة. في المرحلة الأولى انتزعت الصفتان من سمة واحدة وفي الثانية من نشاط متشابه. كما اعتمد الجرجاني على خلفية تداولية تظهر في مبدأ:

■ النظام النفسي والنظام العقلي

إذا كان المبدأ السابق يبرر الأمثلة معنويا فإن هذا المبدأ يبرر العطف تبريرا تداوليا فالجرجاني يقول في هذا المثال «عمر قائم وزيد قاعد:» «الشخصان في

ذهن المتلقي لا يفترقان حتى إذا عرف حال أحدهما تاق إلى معرفة حال الثاني مثل إنهما إذا كان أخوين أو نظيرين أو مشتركين في الأحوال في الجملة كان الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك مضمونة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك⁽²⁷⁾. ولأن اقتران الأشخاص في ذهن المتلقي يختلف من متلقي إلى آخر فإن مبدأ النظام النفسي نسبي (خاص)، ذلك أن مجموعة أشخاص تعتبر متضامنة بالنسبة لمن يعرفها ويعنيها حالها وحسب. ولا يمكن أن نعتبر بالنسبة لجميع الناس في حين أن النظام العقلي عام لأنه مرتبط بالوقائع أو «المعاني في اصطلاح الجرجاني». مثال ذلك:

* العلم حسن والجهل قبيح

* العدل محمود والظلم مذموم

* الاجتهاد حسن والكسل قبيح

فالتعبير الدلالي للعطف هو كون الخبر عن الثاني مضادا للخبر عن الأول والمبرر التداولي هو كون الواقعتين متضامتين عقليا بالنسبة لجميع الأمم التي أسست نظاما من القيم نسبت إلى بعضها صفة الإيجاب وإلى أخرى صفة السلب لحت الأفراد على التشبث بالقيم الإيجابية ونبت السلبية. فالعطف بين الجمل في نظر الجرجاني لا يتلخص فقط في المبدأ النحوي وهو الاشتراك في الحكم الإعرابي وإنما تحكمه مبادئ متنوعة تختزل في مبدأ الاشتراك وهي:

* معنى الجمع = الشبيه والنظير والنقيض.

■ النظام النفسي = (مبدأ نسبي)

■ النظام العقلي = بالنسبة للوقائع (وهو عام)

3-1-1-2-3 - عطف جملتين مفصولتين بكلام آخر

■ قياس العطف على الشرط والجزاء

(27) المرجع نفسه، 172.

وفي هذا يقول الجرجاني: «ومما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه يؤتي بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان وهذا فن من القول خاص دقيق»⁽²⁸⁾. على هذا الأساس ينتقل الجرجاني من عطف جملتين متتاليتين إلى عطف جملتين مفصولتين عن بعضها بكلام آخر. ويضرب لنا الجرجاني لهذا النوع هذا المثال.

تولّوا بغته فكأن بنبأ تهيني ففاجأني اغتيالاً
فكأن مسير عيسهم ذميلاً وسيل الدمع إثرهم انهمالاً

يتوسّل الجرجاني في معالجة هذا النوع طريقتين الأولى على الشرح والثانية قائمة على القياس (قياس العطف على الشرط والجزاء) إذ من المحتمل أن يجعل قارئ البيت قوله: «فكان مسير عيسهم ذميل» معطوفاً على فاجأني اغتيالاً «بينما هو معطوف على تولّوا بغته» والمانع من قبول العطف الأول هو القرينة «كان» التي تفيد الوهم وقوله: «فكان مسير عيسهم ذميلاً» حقيقة. امتنع أن تعطف هذه على تلك لأنها إذا جيئت معطوفة أصبح «مسير العيش» متوهماً وهو حقيقة.

والطريقة الثانية المعتمدة في امتناع هذا العطف قرينة منطقية فالجرجاني يرى أنّ الجملة الداخلة في التوهم مسببا (فكان بنبأ تهيني) سببها. بالإضافة إلى أن الجرجاني يرى أنّ العلاقة بين السّطر الأول وبين السّطر الثاني من البيت الأول قوية بل تابعة لأنّ كلا في حاجة إلى الآخر كي يستقيم المعنى. فبرهنة ترابط المعنى في السّطر بين الأول والثاني واتصال البيت الثاني بالأول تدلّ على تماسك النص كله.

3-3 مظاهر الاتساق المعجمي

وهي من بين المظاهر الخطابية التي جمعها البلاغيون العرب القدامى في باب البديع وسموها محسنات بديعية وهي علاقات واقعة في المستوى المعجمي تحقق الاتساق بين الوحدات المعجمية داخل الجمل وأهم هذه المظاهر:

3-3-1 المطابقة

(28) المرجع نفسه، 189.

وهي كما حدّدها العسكري (232-260هـ/ 846-874م) «الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو بيت من أبيات القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والطباق في اللغة الجمع بين الشيئين يقولون طابق فلان بين ثوبين»⁽²⁹⁾ ومن بين هذه الأمثلة التي صاغها البلاغيون قوله تعالى في الآية 22 من سورة الحديد: «مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا: إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ».

وقوله عليه الصلاة والسلام للأَنْصار إنكم لتكثرُونَ عند الفِرْع وتقلّون عند الطمع. ومن الشعر قول المتنبي: أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي ومن خلال النصوص السالفة نستخلص أن المطابقة قائمة بين بعض العناصر الواردة في القول أو البيت الشعري فهي علاقة لا تتجاوز ذلك إلى الخطاب برمته أو معظمه على الأقل إلا أن هذه الحقيقة لا تنفي أن علاقة المنافرة يمكن أن تساهم في نسج خيوط الخطاب كما هو الشأن في هذه الأبيات لبشار بن برد.

حتام قلبي مشغول بذكركم	يهذي، وقلبك مربوط بنسياني
لهفي عليها ولهفي من تذكرها	يدنو تذكرها مني وتأنّي
إني لمنتظر أقصى الزمان بها	وإن كان أدناه لا يصفو لحران

ولئن اجتهد البلاغيون في رصد الأبيات المنظومة والأقوال المتعمدة على علاقة المطابقة فإنهم لم يعتبروا المطابقة آلية معجمية مساهمة في اتساق الخطاب ولعل عذرهم في ذلك هو أنهم اهتموا بوصف الأساليب البلاغية المختلفة التي تضفي رونقا وجمالا على النص واعتقادهم أن مهمة النظر كآلية لتماسك النص من شأن مبحث النقد الأدبي وهو بدوره كانت له قضاياها الأساسية آنذاك.

3-3-2- رد العجز على الصدر

يفسر ابن معتمر «هو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، وهذا الباب ينقسم على

(29) أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين دار الكتب العلمية بيروت، (لبنان 1981)،

ثلاثة أقسام (ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه، وما يوافق آخر كلمة فيه أول كلمة في نصفه الأول، ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه)⁽³⁰⁾

ويقول السجلماسي: «قول مركب من جزئين متفقي المادة والمثال، كل جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال ملائمه، وقد أخذنا من جهتي وضعهما في جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال ملائمه، وقد أخذنا من جهتي وضعهما في الجنس الملائم من الأمور، ووضع أحدهما صدرا والآخر عجزاً مردوداً على الصدر بحسب هيئة الوضع اضطراراً، ومعنى ذلك أنه، لما قد تقرر، ينبغي أن يكون أحد الجزئين وهو العجز ضرورة - كائناً من القول في الخاتمة، النهاية، والآخر فقط دون تضاعفه وأثنائه...»⁽³¹⁾

وبناء على هذه التعريفات يمكن أن نعتبر أن ما يسمى برد الصدر على العجز هو ورود كلمة في الشطر الأول والثاني معاً. مندرج في مظهر خطابي معجمي قائم على إعادة نفس الكلمة وهذا ما توضحه الأبيات التالية:

1. سريع إلى ابن العم يشتم عرضه وليس إلى داعي الندى بسريع
2. يلفي إذا ما الجيش كان عرمرما في جيش رأي - لا تقل - عرمرما
3. زيز بني سليم أقصدته سهام الحرب وهي سهام
4. سقى الرمل جون مستهل غمامه وما ذاك، إلا حب من حل بالرمل
5. يود الفتى طول السلامة والغني فكيف ترى طول السلامة تفعل

وهكذا يقوم العنصر المعجمي المعاد بوظيفة ربط البيت شطريه الأول والثاني، ولكن نلاحظ في المثال (3) أن الإعادة تمت في العجز وحده، وهذا لا يؤثر شيئاً في عملية الاتساق.

وما نلاحظه في هذه الأبيات شدة الارتباط المعنوي بين شطري البيت الواحد فالعنصر المعجمي المعاد يقوم بالوظيفة ربط البيت أي شطريه الأول والثاني.

(30) عبد الله بن المعتز، كتاب البديع دار الجيل، (الأردن 1990)، 47-48.

(31) السجلماسي، المتنوع البديع مكتبة دار المعارف (الرباط 1980)، 406.

3-3-3- التكرار

التكرار عند السجلماسي (1037 - 1090 هـ) إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع (أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع) في القول مرتين تصاعداً⁽³²⁾ وقد أدرج مجموعة من المظاهر البلاغية ممیزا بين ما يربط باللفظ وبين ما يرتبط بالمعنى ملحقا كلا منهما بأصله. فيسمى التكرار اللفظي مشاكله والتكرار المعنوي مناسبة ويعتبر البناء أكثر العناصر ورودا ضمن التكرار اللفظي وهو مندرج تحت عنصر الاتحاد:

■ البناء

يقصد بالبناء بناء نفس اللفظ بنفس المعنى فيكون بينهما اتحاد لفظا ومعنا ويمیز فيه السجلماسي على مستوى الوصف بين الواقعتين أولهما ما يسميه الصورة الجزئية والثانية طريقة الإجمال. يقدم مثلا عن صورة الجزئية في قوله تعالى في الآية 35 من سورة المؤمنين ﴿يَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾. فقله تعالى ﴿أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ «للثاني بناء على الأول وتذكير به خشية تناسيه لطول العهد به»⁽³³⁾

أما الطريقة الثانية طريقة الإجمال والتفصيل وهي أن تقدّم التفاصيل والجزئيات في القول إذ يخشى عليها التناسي لطول العهد بها بني على ما سبق منها بالذكر الجملي وذكرت الجزئيات الداخلة في ضمن المقتضى الأول به⁽³⁴⁾. ومثال ذلك قوله تعالى في سورة النساء الآية 155 ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

معجميا تعد كلمة «كفرهم» عنصرا عاما تدرج فيه كل الجزئيات والتفاصيل السابقة عليه وكذلك الجزئيات اللاحقة عليه من الصدد عن سبيل الله وأخذ الربا

(32) المرجع نفسه، 476.

(33) المرجع نفسه، 475.

(34) المرجع نفسه، 470.

فكلمة «فيظلم» تعتبره عقدة تصل ما تقدم بما تأخر فتصب فيها الجزئيات المتقدمة عليها وتتبع منها اللاحقة لها وذلك لأنها لفظة عامة معجمياً.

4 - النقد الأدبي

يهتم هذا القسم إلى جانب إثبات وعي النقاد العرب القدامى بانسجام النص الشعري بالكشف عن آليات وأدوات انسجام القصيدة في رأيهم سواء في أدبياتهم أو في دراستهم.

4-1- المرحلة الأولى

4-1-1- التحام الأجزاء: الجاحظ (163-255هـ)

ورد في البيان والتبيين للجاحظ أن «أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج. فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا وسبك سبكا واحداً. فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»⁽³⁵⁾. ولفهم ما يقصد الجاحظ بتلاحم الأجزاء نذكر قوله: «ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع המשند إنشادها إلا بعد استكراه ومن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قرب
ثم قال:

لم يضرها والحمد لله شيء وانشئت نحو غرف نفس ذهول
إذا قرأت النصف الأخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض⁽³⁶⁾ كما يعلق الجاحظ عن البيت التي أنشده أبو يبيدء الرياحي وهو:

شعر بعركبش فرق بينه لسان دعى في القريض دخيل

فيقول: «وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت الشعر تراها متفقة ملساء ولينة المعاطف سهلة وأخرى تراها متباينة ومتناظرة ومستكرهة تشق على اللسان

(35) الجاحظ، البيان والتبيين، 87.

(36) المرجع نفسه، 87-88.

وتكده والأخرى تراها سهلة لينة (...) خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد. «⁽³⁷⁾ ويمكن أن نحصر الأجزاء الملائمة في القصيدة في:

■ الأبيات المشكلة للقصيدة.

■ الأجزاء المشكلة المبنية للبيت (الصدر والعجز)

■ الأجزاء المشكلة للشطر: الألفاظ

■ الأجزاء المشكلة للفظ: الحروف (الأصوات)

إلا أنّ اهتمام الجاحظ كان منصباً على التحام الألفاظ والحروف. ويمكن في البعد الصوتي ومدى تألفه أو تنافره فالتألف مرتبط بتباعده مخارج الأصوات سواء في اللفظ الواحد أو الألفاظ المتجاورة. والتنافر مرتبط بتقارب المخارج وتمائلها ولذلك نراه استقبح قول الشاعر وقبر حرب... «فتلاحم الأجزاء» مترتب عن تلاؤم الأصوات المشكلة للألفاظ وتباعده المخارج وتباعده المخارج المكونة للكلمات مما يجعل تجاورها ممكن.

ويمكن أن نستخلص أن كلام الجاحظ يمكن أن يتخذ مبدأً صوتياً يخدم إذ احترم تلاحم الأجزاء من حيث تجاورها. والتلاحم هنا ينظر إليه لا من زاوية التركيب ولا من زاوية الدلالة وإنما من زاوية الصوت (التأليف الصوتي).

4-1-2- ضرورة التماسك: ابن طباطبا (توفي 322هـ)

في «عيار الشعر لابن طباطبا إشارات تكشف أولاً عن وعي بضرورة توفر شروط التماسك في الخطاب الشعري وثانياً اعتبار هذا الشرط قاعدة لا يجب أن يحيد عنها الشاعر إذا أراد أن يقبل شعره ويستحسن حيث يقول: «إن للشعر فصول كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه. صلة لطيفة

(37) ابن طباطبا، عيار الشعر مراجعة نعيم زرزور دار الكتب العلمية، (بيروت)، 89.

فيتخلص من الغزل إلى المديح إلى الشكوى (...) ألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله. ⁽³⁸⁾

وفي هذا الكلام إشارة واضحة إلى ضرورة مراعاة وصل الكلام بعضه البعض فللقصيدة محاور متنوعة تحتاج إلى صلات لطيفة. «تجمعها وتجعل منها كلا واحدا، أو على الأقل قصيدة مترابطة، وليس مقاطع (فصولا) متفرقة مشتتة لا يجمعها شيء. ويصر ابن طباطبا على ضرورة الاتصال بين المعنى الأول والمعنى الثاني على أن المعنى ينبغي أن يفهم في سياقه إذ المقصود به الغرض أو الفن ما دام الحديث مرتكزا هنا على اتصال فصول القصيدة ولتأكيد ذلك يقول في نص آخر محددا ما يعتبره شعرا حسنا:» أحسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله. (...) يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا فصاحة وجزالة ألفاظ (...) حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا (...) تقتضي كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها. ⁽³⁹⁾

فإن السؤال المطروح هو هل يتوافق الوعي الذي لا سبيل لجحده بضرورة الانتظام الذي يضمن اتساق أول القول مع آخره مع ما يمثل له ابن طباطبا حين يدرج ما يستحسنه؟ إذ لا يتجاوز ذلك الشعر بيتا أو بيتين ولعل مقارنة ابن طباطبا بين نوعين من الشعر أولهما شعر محكم قصير مشيد بناءه موفق وشعر مموه، خيمة يخشى عليها التقوض. غير بعيد عن التقسيم السابق للشعر وهو ما نسميه «الإلحاق الذي يوضحه قوله: «وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسق أبياته ويقف على حسن تجاوزها أو قبحه فيلاءم بينها لتتنظم له معانيها (...) فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع آخر. ⁽⁴⁰⁾

(38) المرجع نفسه، 131.

(39) المرجع نفسه، 129.

(40) المرجع نفسه، 130.

4-2- المرحلة الثانية

4-2-1- كلفة تماسك النص: حازم القرطاجني

(608-684هـ/ 1211-1386م)

لئن شكلت الآراء السالف ذكرها إشارات على التلاحم والتناسق والاتصال. حيث كانت إلحاحا وهما مشتركاً لدى مجموعة من النقاد رغم تباعدهم الزمني. ظلّ نظرياً أكثر منه تمثيلاً. فإنه يمكن أن نعتبر أن البحث في الوسائل والعلاقات وكيفيات التماسك ظهر في إنتاج حازم القرطاجني وإن كان لا بد من الإشارة أنه استفاد من أعمال بعض الفلاسفة المسلمين مثل الكندي والفرايبي وابن رشد. حيث كان النقد العربي في ذلك العهد أكثر نضجاً إذ تجاوز الجملة إلى مستوى النص ككلّ. تجاوز القرطاجني التناول الجزئي للقصيدة عند النقاد القدامى إلى تناول أعم ممكنه من تقديم نظرة كاملة وشاملة عن كلفة التي يجب أن تتبع في بناء القصيدة فصلاً وفصولاً مهتماً في ذلك بالعلاقات الترابطية لأجزاء القصيدة الواحدة فسمى كل جزء منها فصلاً. والفصل عنده عبارة عن بيتين في غالب الأحيان إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين.⁽⁴¹⁾ كما صنف تماسك القصيدة إلى تماسك الفصل وتماسك الفصول.

4-2-1- تماسك الفصل وشروطه

وضع القرطاجني شروطاً وقوانين هي على حدّ تعبيره: «طرق العلم بأحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض». تتعلق أولها بالفصل وما ينبغي لاستجداء مواده وانتقاء جوهره.⁽⁴²⁾ وقسمه إلى مجموعة من الشروط:

■ أن تكون مواد الفصل متنسبة للموسوعات والمفاهيم

■ أن تكون مواد الفصل حسب الاطراد

(41) الخطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، 150.

(42) حازم القرطاجني، ابن الحسن الحازم ابن الخوجة نتاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق

محمد الحبيب، دار الكتب الشرقية (تونس 1960) 288.

■ أن تكون مواد الفصل غير متخاذلة النسيج

■ أن تكون مواد الفصل غير متميز بعضها ببعضها.

يلجّ القرطاجيّ على الترابط. فالنص عنده نسيج والكلمات خيوط متداخلة ينشأ من قوة صياغتها نص محكم النسيج. هذا وقد اشترط القرطاجيّ أن يكون نمط نظم الفصل مناسباً للغرض تعتمد فيه الجزالة في الفخر والعدوبة في النسب. والمقصود بذلك أن يكون نمط النظم والفصل مناسباً للغرض تعتمد فيه الجزالة في الفخر والعدوبة في النسب. والمقصود بذلك أن يرتبط نمط النظم بالمعجم الذي على الشاعر أن ينهل منه فإن كان الغرض فخراً وجب عليه أن يختار من الألفاظ ما يتسم بالقوة والفخامة والجزالة ليوافق المحتوى المعبر عنه. وإذا كان غرض القصيدة النسيب اختير من الألفاظ اللين الرقيق العذب وبلغه أخرى يجب أن تكون العلاقة بين الغرض والتعبير عنه علاقة انسجام وليست علاقة تناقض. ويتعلق هذا الشرط بالعلاقة التي ينبغي أن تحكم الفصول أي وضع بعضها إلى جوار بعض.

وقد صاغ القرطاجيّ علاقات معنوية تكون دليلاً يسترشد به في الربط بين البيتين أو الأبيات المشكّلة للفصل الواحد وهي:

■ أن يردف البيت الأول من الفصل بما هو لائق به من باقي معاني الفصل مثل أن يكون:

* مقابلاً له (على جهة من وجوه التقابل)

* أو بعضه مقتضى له مثل أن يكون: مسبباً أو مفسراً له أو محاكاً بعض ما فيه ببعض ما في الآخر.

يمكن اختزال هذه العلاقات في:

علاقة التقابل الكلي وعلاقة التقابل الجزئي وعلاقة الاقتضاء التي تندرج ضمنها علاقات فرعية كالسببية والتفسير والمحاكاة الجزئية وهي علاقات تساهم في تماسك الفصل.

* تماسك الفصول

إلى جانب ما ذكره القرطاجني عن كيفية ترابط الفصل وعن بعض العلاقات الضامنة لتماسكه فإنه تفتن إلى أنه وجب البحث عن كيفيات تتربط بها الفصول لتكون كلا متماسكا باعتبار أن النص الشعري متركب من فصول عدة. وهكذا انتقل القرطاجني من وحدة صغرى إلى وحدة كبرى وقد أشار إلى ذلك في خاتمة حديثه عن ترابط الفصول بقوله: «وربما ختم الفصل بطرف من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة إلى بعض معانيه.»⁽⁴³⁾

نستنتج من خلال قوله هذا أنه حدد طريقتين لربط فصل بفصل أو لاهما تلميح خاطف إلى غرض من أغراض الفصل اللاحق وثانيتها إشارة إلى معنى من معانيه. ومعنى ذلك أن يحتوي البيت الأخير من الفصل طرفه من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة إلى معنى من معانيه.

2.1.2.4 - علاقات الجزء / الكل - الخاص / العام

حدد القرطاجني علاقات عدّها أساسية في تماسك الفصول أهمها علاقة الجزء / الكل، الخاص / العام وخصها بالتدليل فقال: «ومن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمّن معاني جزئية تكون مفهوماتها شخصية ومنها ما يقصد في فصولها أن تتضمن المعاني الكلية التي مفهوماتها جنسية أو نوعية ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المضمنة إياها مؤتلفة بين الجزئية والكلية.»⁽⁴⁴⁾

5 - علم التفسير وعلوم القرآن

لقد شد النص القرآني اهتمام وإفهام المفسرين وعلماء القرآن فتوزعت جهودهم حول دراسة تماسكه وكيفية تأخذ الآيات والصور مشكلة بذلك نصا منسجما وفي استخراج الحجج عن ذلك سواء أكانت دينية أو معنوية تنبع من

(43) نفس المرجع، 289.

(44) نفس المرجع 291.

صميم اللغة العربية فاعتبروا الخطاب القرآني «نظاما متجانسا لا يشوبه اضطراب أو اختلال أو تفاوت من سورة وسورة وآية وآية وموضوع وموضوع»⁽⁴⁵⁾.

ولئن كانت العصور التي عاشها هؤلاء العلماء والمفسرون متفاوتة ومتدرجة من القديم إلى الحديث فإن ما يهمنا هو الكشف عن جذور وأصول هذا المظهر الخطابي وما حدده من آليات وعلاقات ساهمت في جعل النص القرآني آيات وسور كلا واحدا موحدًا رغم اختلاف أوقات نزوله وأسبابه والملاحظ أن المفسرين وعلماء القرآن مارسوا آليات الاتساق وأدوات الانسجام في تفسير القرآن فالرازي (251 هـ / 313 هـ) كان على وعي مسبق بأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.⁽⁴⁶⁾ ونص في تفسيره على البحث في المناسبة معبرا عنه بصيغتين مطردتين أولهما قوله: «ذكروا في اتصال هذه الآيات بما قبلها وجوه»⁽⁴⁷⁾ وثانيتهما قوله: «في كيفية النظم وجوها»⁽⁴⁸⁾.

كما استخدم الزمخشري (467-538 هـ) صيغة استفهامية معبرا عن وعيه بالترابط وكيفياته ومن ذلك قوله «فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه؟ قلت...». ولئن لم يكن الترابط والمناسبة وغيرها من أدوات الانسجام الدلالي عملا ميكانيكيا في منظور المفسرين فإننا نجد في تفاسيرهم تنبيهات يمكن أن تعد توجيهات عامة في هذا العلم.

ومن بين هذه التوجيهات قول فخر الدين الرازي: «اعلم أنه من عادته سبحانه وتعالى في هذا الكتاب الكريم أن يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها بعض أعني علم التوحيد وعلم الأحكام وعلم القصص. والمقصود من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد وإما المبالغة في التزام الأحكام والتكاليف وهذا الطريق هو

(45) الباقلائي محمد الطيب، إعجاز القرآني ج 1 دار المعارف (مصر 1964)، 11.

(46) الرازي فخر الدين، التفسير الكبير دار الفكر (بيروت، 1981) ج 3، 255.

(47) المرجع نفسه، 10.

(48) المرجع نفسه، ج 7، 47.

الطريق الأحسن لإبقاء الإنسان في النوع الواحد لأنه يوجب الملل، فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ويفرح به القلب...»⁽⁴⁹⁾

تعتبر هذه المقدمات السالفة دلائل على وعي المفسرين بارتباط القرآن الكريم بعضها البعض والسؤال المطروح هو كيف فسر العلماء والمفسرون العلاقات بين الآيات دليلاً على تماسك النص القرآني؟

5-1 علم التفسير وعلوم القرآن واتساق الخطاب

5-1-1 الإحالة

وقد اهتم المفسرون بالدور الذي تلعبه الإحالة سواء إحالة بالضمائر أو إحالة بالإشارة في ربط الخطاب القرآني إلا أن دراستهم تميز بانتباههم إلى احتمال تعدد ما يحيل إليه الضمير وما يشير إليه اسم الإشارة. يشير الزمخشري (ت 538 هـ) + أن الضمير يجوز أن يحيل لأمر عدة كما هو الشأن في قوله تعالى في الآية 45 من سورة البقرة ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ويفسر الزمخشري ذلك بأن الضمير للصلاة والاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بني إسرائيل ونهوا عنها في قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ.....﴾ إلى ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾. سورة البقرة الآية 45

على أن المفسرين اهتموا أيضاً إلى جانب تعدد المحال إليه بأحادية الإحالة ومثالهم في ذلك. الآية 07 من سورة يس ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. جاء في صفوة التفاسير إن: «الضمير «هم» يعود على هؤلاء الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم. استخدم المفسرون أسماء الإشارة في تفسيرهم لعدد الآيات منوّهين على أهميتها في ارتباط وتماسك الخطاب القرآني ويتراوح اهتمامهم بالإحالة بالإشارة بين تعدد المشار إليه وبين الإشارة إلى خطاب واحد وبين عدم التطابق بين اسم الإشارة والمشار إليه. وقد أشار الزمخشري إلى هذا النوع من الإحالة في الآية 74 من سورة البقرة في قوله تعالى

(49) الزمخشري محمود بن عمر، الكشف، دار الفكر (بيروت، 1981)، ج 1، 253.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ مفسرا: «أن ذلك» إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآليات المعدودة.⁽⁵⁰⁾

فلتعدد المشار إليه أو ازدواجه احتمالا من مختلفان ففي الإشارة إلى القتيل إحالة عنصر على عنصر وفي الإشارة إلى الآيات التي تتمحور حول ذبح البقرة «إحالته إلى خطاب مكون من عدة آيات وسواء كانت الإحالة الأولى أم الثانية فإن المبدأ وراء هذه الإشارة هو جعل الخطاب متماسكا من خلال استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله. أما في مستوى الإشارة المقامية فتجد لها أثرا واضحا في كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور (1296 - 1393 هـ) ونعني بالإحالة المقامية أن يكون العنصر المحال إليه حاضرا في الخطاب بالقوة ليس الفعل مثاله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية 1 سورة البقرة

ويفسر ابن عاشور هذه الإشارة بقوله: «وعلى الأظهر تكون الإشارة إلى القرآن المعروف لديهم يومئذ واسم الإشارة مبتدأ والكتاب بدل وخبره ما بعده...» وقد اعتمد ابن عاشور في استخلاص ما أشار إليه «ذلك» على قرينتين الأولى نحوية وهي كون الكتاب بدلا من اسم الإشارة. (والكتاب اسم من أسماء القرآن). والثانية تداولية تجسمها إشارته إلى أن المشار إليه حاضر في أذهان المخاطبين ويقصد معرفتهم للعالم رغم غيابه في الخطاب.

5-1-2 العطف

تناول المفسرون العطف إبرازا لما له من دور هام في تحقيق الربط وبالتالي اتساق جمل آيات الخطاب القرآني ومن عطف جملة على جملة في قوله تعالى في الآية 8 من سورة يس ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي «إلغاء قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ

(50) المرجع نفسه، 621.

فَهُمْ مُّقَمَّحُونَ ﴿عطف على جملة﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴿أي فأبلغنا إلى الأغلال وإلغاء في قوله﴾ مُّقَمَّحُونَ ﴿تفريع على جملة﴾ فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴿⁽⁵¹⁾

هذا بالنسبة إلى ربط جملة على جملة في الآية الواحدة أما بالنسبة إلى ربط آيتين متباعدين فهي كثيرة في سورة القرآن الكريم ومثاله في ذلك قوله تعالى الآية 13 من سورة يس ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ والآية 20 من نفس السورة ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ويفسر ابن عاشور ذلك بقوله: «عطف على قصة التحاور الجاري بين أصحاب القرية والرسول الثلاثة لبيان البون بين حال المعاندين من أهل القرية وحال الرجل المؤمن فذلك أن تجعل جملة﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ﴿عطفًا على جملة جاءها.﴾ الْمُرْسَلُونَ ﴿الآية 13 وذلك أن تجعلها عطفًا على جملة﴾ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿الآية 14. ⁽⁵²⁾

وقد وقف الزمخشري (467 - 538 هـ) عند تعدد المعطوف عليه تبريرا للمعاني الظاهرة الخطابية في قوله: «تعالى في الآية 164 من سورة البقرة﴾ إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضَرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿إذ يفترض الزمخشري سائلا عم عطف فيها «أعلى»﴾ أَنْزَلَ ﴿أم على﴾ فَأَحْيَا ﴿؟» ويجب باحتمالين ظاهر وجائر أما الظاهر فهو عطفه على أنزل وعلى هذا النحو يكون داخلا: تحت حكم الصلة لأن قوله﴾ فَأَحْيَا ﴿به الأرض عطف على «أَنْزَلَ» فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكأنه قال وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة. ⁽⁵³⁾ أما الجائر فهو عطفه على قوله أحى على معنى فأحي بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة. والواقع أنَّ العطفين معا جائزان لأنَّ البنية المنطقية التي تحكمهما متماثلة وهي بنية السبب والنتيجة.

(51) المرجع نفسه، 35.

(52) المرجع نفسه، ج 22، 365.

(53) المرجع نفسه، ج 22، 325.

5-1-3 الحذف

اهتم المفسرون بالحذف لأهمية في ربط الكلم واتساقه وكان يطلقون عليه اسم الاحتباك ويقول السيوطي عنه: «وهو أطف الأنواع وأبدعها. وذكره الزركشي ولم يسمه بهذا الاسم بل سماه «الحذف المقابلي» ويقول أيضا ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والإحكام»⁽⁵⁴⁾.

يتبين لنا من خلال كلام السيوطي أن العرب قديما ربطوا بين الحذف وتماسك النص مثلما الحال عند العلماء اللسانيين حديثا وقد يمس الحذف الكلمة اسما أو فعلا وقد يمس الجملة بأكملها ويرى المفسرون أن تحديد المحذوف وكذلك تحديد الدليل عليه ونوعه سابق أو لاحق مفروض، وتحديد الاتساق الذي يحققه. والاتساق الذي يحققه الحذف بين أجزاء الآية الواحدة أو بين الآيات بل ويمكن أن يحقق الاتساق من خلال الحذف بين السور القرآنية بعضها ببعض. وكما وقف المفسرون عند مواقع الحذف وأنواعه وما يدخل في هذا الباب من حذف الفعل وحذف المسند أو المسند إليه وحذف المفعول به وحذف المضاف ولنا في حذف الفعل هذه الأمثلة من سورة يس وهي الآية 12: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

5-1-4 التكرار

اهتم المفسرون في تعاملهم مع التكرار لا فقط ببيان وضيعة هذه الظاهرة اللغوية والوسيلة الإحالية والتكرارية في ارتباط أجزاء الخطاب بعضها ببعض وإنما أيضا اعتنوا بدلالته. والنص القرآني بصفة عامة تتواجد فيه ظاهرة التكرار بصفة واضحة وهذا ما يمنحه خصوصية وقد بين المفسرون كمية إسهام التكرار بشكل بارز في تحقيق اتساق وتماسك سوره وآياته ففي الآية 47 من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

(54) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر (بيروت 1979)، 92.

يلق الرّازي: «اعلم أنه تعالى إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى تأكيد للحجة عليهم وتحذيرا من ترك أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ثم قوله بالوعيد وهو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾⁽⁵⁵⁾ بالإضافة إلى أن مساهمة هذا التكرار في تماسك الخطاب فهو يؤكد وظيفة أخرى هي تأكيد الحجة وتحذير بني إسرائيل.

5-2 علم التفسير وعلوم القرآن وانسجام الخطاب

5-2-1 موضوع الخطاب

رغم أن المفسرين لم يسيروا إلى موضوع الخطاب بصيغة البنية الدلالية التي يتطلب فيها مجموع من الآليات غير متواليات قد تطول وقد تقصر حسب ما يتطلبه الخطاب. فإن تحليلاتهم وتفاسيرهم تكشف عن وجود مثل هذا المفهوم في أذهانهم وهم يمارسون التفسير والتدليل على وعيهم بانتظام الخطاب لذلك وجب التدليل بقول الرّازي: «اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد إلى هذا الموضع (الآية 27، 28 من سورة البقرة) إلى الآية 40 (أخذ) في شرح النعم التي عمت جميع المكلفين وهي أربعة.»⁽⁵⁶⁾

فقد كان الرّازي يتصور النص القرآني موضوعات خطابية مرتبة بطريقة مقصودة فمن خلال النظر في سورة البقرة يمكن أن نستخرج موضوعين خطابين تتمحور حول الأول 1-27 وهو «دلائل التوحيد والنبوة والميعاد. وحول الثاني الآيات 28 إلى 39 وهو «النعم العامة لسائر المكلفين»

ومما يؤكد أن الرّازي واع تمام الوعي بأن النص القرآني من حيث التنظيم يسير وفق موضوعات خطابية نذكر قوله هذا: «اعلم أن سبحانه وتعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولا تم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الإنعامات للخاصة على أسلاف اليهود»⁽⁵⁷⁾.

(55) الرّازي، التفسير الكبير، ج 3، 55.

(56) المرجع نفسه، مج 1، ج 2، 163.

(57) المرجع نفسه، مج 1، ج 2، 163.

5-2-2-تنظيم الخطاب

تتضح هذه الآلية خاصة من خلال منظور الرازي الذي يرى أن الخطاب القرآني تحكمه علاقة العام/الخاص فمن خلال تفسير لسورة البقرة يتضح أنه يمكن أن تحصر في ست موضوعات:

- 1 - الكلام في التوحيد والنبوة والميعاد
- 2 - النعم العامة لسائر البشر
- 3 - النعم الخاصة ببني إسرائيل
- أ- النعم الخاصة بأسلاف اليهود
- ب- النعم الخاصة ببني إسرائيل.
- 4 - قبائح أفعال اليهودي والنصارى والمشركين
- 5 - أحوال إبراهيم
- 6 - الأحكام

فالخطاب القرآني مبني بطريقة مجبوكة والمواضيع العامة تتخصص كلما تقدمنا في قراءته. فالنص ابتداءً مثلاً بسنّ الأنعم العامة لسائر البشر ثم استرسل مستعرضاً نعمه تعالى الخاصة ببني إسرائيل وفي هذا خصص القول عن الأسلاف ثم عن الخلق ويتضح ذلك أيضاً في أن الرازي يضع عنواناً لكل موضوع ويتبع تفاصيله آية آية. فيقول: «القول في النعم الخاصة ببني إسرائيل» وحين يضع العنوان العام يشرع في التفسير بقوله: «اعلم أن هذه⁽⁵⁸⁾ النعم الأولى أو الثانية أو الثالثة... إلخ أو موضوع «أحكام النساء» التي يخصصه بعناوين مثال «أحكام الطلاق» «أحكام الحيض» «أحكام الرضاعة».

(58) المرجع نفسه، مج 2، ج 3، 30.

5-2-3 تغيير موضوع الخطاب

كما اهتم المفسرون بموضوع الخطاب اهتموا كذلك بتغيير موضوع الخطاب مشيرين كلما كان ذلك واردا إلى الانتقال والتغيير دون انفصال المنتقل إليه انفصالا نهائيا عن الموضوع العام فقد أوضح الرازي أن الآية 66 في سورة البقرة ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ انتقل فيها إلى التركيز على تشديدات لله على بني إسرائيل أوجبها عصيانهم حيث أن الآيات السابقة تتمحور حول أنعام الله تعالى على بني إسرائيل.

هذا ولم يخلو تفسير الزمخشري كذلك من الإشارة إلى هذا المظهر الخطابي الذي يمكن ملاحظته في المستوى السطحي للخطاب حيث أن تغيير المحتوى يخلق أثرا شكليا. إذ يقول: « فإن قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنعو قوله «إن الفجار لفي جحيم» وغيره من الآيات الكثيرة. قلت: « ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت، لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين، وسيقت الثانية لأن الكفار في صفتهم كيت وكيت، فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب، وهما على حد لا مجال فيه للعطف»⁽⁵⁹⁾

5-2-4 ترتيب الخطاب

لقد اعتمد المفسرون على اختلاف زوايا اهتمامهم بترتيب الخطاب فلئن اهتم الزمخشري بقاعدة قلب الترتيب المرتبط بما تقع في الخارج فقد اهتم الرازي بسبب ترتيب الخطاب ترتيبا معينا. وقد قدّم الزمخشري مثالا في الآيات من 67-73 من سورة البقرة حيث يقول: «فإن قلت: فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال. وإذ قتلتم أنفسا فأدرأتم أنتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها، قلت. كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قصّ تعديدا لما وجد منهم من الجنيات وتقريعا لهم عليها. ولما حدد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة

(59) الزمخشري، الكشف ج 1، 149.

منهما مستقلة بنوع من التقرير وإن كانتا متصلتين متحدتين: فالأولى لتقريرهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك. الثانية للتقرير على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة، وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تشية التقرير. ولقد وضعت نكتة بعدها استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها فإن وصلت بالأولى دلالة على اتحادها بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله «اضربوه ببعضها» حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقرير وتشية بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة»⁽⁶⁰⁾.

انتبه الزمخشري أولاً إلى أن القصة كما في الخطاب وقع فيها التقديم وتأخير وثانياً إلى أن قلب الترتيب يحكمه مقصد المتكلم وهم تشية التقرير الذي ينتج عنه إشعار المتلقي بالذنب العظيم الذي ارتكبه المعني بالقصة ومعنى ذلك أن المقصدية وهي مبدأ تداولي وهي التي قلبت الترتيب.

5-2-5 العلاقات:

ننظر في هذا القسم إلى أنواع العلاقات التي يرى المفسرون أنها قائمة بين آيات متجاورة أو متباعدة وهي علاقات تتعدى الارتباط الشكلي وتتجاوزته إلى ما هو أعمق ولعل أهمها:

* علاقة البيان والتفسير:

وَصَّحَ ابْنُ عَشُور أَنَّ الْآيَةَ 173 مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بَيَانٌ لِلآيَةِ 172: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. حيث يقول: «بيان استئنافي ذلك أن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال من يسأل ما هي الطيبات؟ فجاء هذا الاستئناف

(60) المرجع نفسه، ج 1، 290.

مبيناً المحرمات وهي أضداد الطيبات لتعرف الطيبات بطريقة المضادة المستفادة من صيغة الحصر⁽⁶¹⁾. والملاحظ أن علاقة البيان والتفسير سواء بين عنصرين داخل نفس الآية أو بين آيتين غالباً ما يكون استجابة لاستفهام مقدر وهذا يعني العلاقة بين المبين والمبين علاقة متينة لا تحتاج إلى رابط.

* علاقة الإجمال والتفصيل:

وهي من بين العلاقات الخطابية التي اهتم بها المفسرون والأمثلة كثيرة تذكر منها الآية 31 من سورة البقرة: «يُفَسِّرُ الرَّاغِبُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «اعلم أن الملائكة لما سألوها عن وجه الحكمة في خلق آدم وإسكانه تعالى إياهم الأرض. وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصل لهم ذلك المجمل فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم هو ذلك أن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله (...) فيؤكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي»⁽⁶²⁾. ويعني ذلك أن العلاقة بين الآية 30 إلى 33 علاقة الإجمال والتفصيل فالآيات تفصيل لقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

العلاقة بين الآيات لا تتبع دائماً سبيل المجمل/المفصل فقد تنقلب. ففي الآية 17 من نفس السورة حيث قال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾. أعقبت تفاصيل صياغتهم بتصوير مجموعها في سورة واحدة وذلك بتشبه التمثيل... تلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة. لأن النفس إلى المحسوس أميل وإتماماً للبيان بجميع المفترقات في السمع، والإطالة في اللفظ في صورة واحدة لأن للإجمال بعد التفصيل وضع في نفوس السامعين.⁽⁶³⁾ هذا يعني أن التمثيل

(61) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر (تونس 1984 ج 302، 1).

(62) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج 3، 32.

(63) بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، 302.

إجمالاً للتفصيل ورد في الآية 8 إلى 16 وهذا يعني أن العلاقة بين الآية لا تسلك دائماً طريق الإجمال والتفصيل بل تتبع سبيلاً مخالفاً من المفصل إلى المجمل، فالترتيب «الأول معباري» والثاني تداولي يأتي لتحقيق غاية معينة.

5-2-6- المناسبة والتناسب:

5-2-6-1- المناسبة بين الآيات:

يبحث المفسرون عن المناسبة أي عن العلاقة بين آية وآية أخرى متقدمة تنقطع الصلة بينهما. كان يكون في الآية السابقة كلام عن القتال وفي الآية اللاحقة كلام عن إنفاق الأموال فهي بحث عن موقع آية من كلام سابق وقد تواترت الصيغ الدالة على بحثهم في ذلك فاستعمل الزمخشري هذه الصيغة في كيفية الاتصال «فإن قلت: من المأمور بقوله (وبشر) قلت (...).⁽⁶⁴⁾ بم تتعلق». واستخدم الرازي: «ذكروا في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوها»⁽⁶⁵⁾.

والملاحظ أن المفسرين يعتمدون لتوضيح كيفية اتصال الآيات إلى شروح مستفيضة لإقناع القارئ بسلامة تصريح الصلة بينها إذ «لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط (...) وتنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب⁽⁶⁶⁾». وأول هذه الأسباب في رأي الزركشي: «التنظير: ويمثل لذلك بقوله تعالى في الآية 4 و5 من سورة الأنفال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. ويعلق الزركشي قائلاً: «فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون...»⁽⁶⁷⁾

(64) الزمخشري، الكشاف ج 1، 253.

(65) الرازي، التفسير الكبير، ج 3، 255.

(66) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل الديمياطي، دار الحديث،

(القاهرة 2006 ج 1)، 46.

(67) المرجع نفسه، ج 1، 47.

فعلاقة التنظير عند الزركشي هنا هي المناسبة التي جعلت لتجاور الآيتين مبررا. وذلك لتناظر الحداث وتماثل رد فعل المسلمين وهو كره ذلك ومحااجة الرسول فيه.

- التضاد: ويضرب لهذا السبب المعنوي هذا المثال من قوله تعالى في آية 6 من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ويشرح المناسبة بقوله: « فإنه أول السورة كان حديثا عن القرآن وأن من شأنه كيت وكيت وأنه لا يهدي القوم الذي من صفاتهم كيت وكيت. فرجع للحديث عن المؤمنين فلما أكمله عقب بما هو حديث عن الكفار. فبينهما لجامع وهمي بالتضاد عن هذا الوجه⁽⁶⁸⁾. فانتقال الخطاب من الحديث عن المؤمنين إلى الحديث عن الكفار جعل بين الآيتين مناسبة التضاد.

- الاستطراد: ولتوضيح ذلك يقدم مثلا من سورة الأعراف في الآية 26 ويستشهد بتفسير الزمخشري قائلا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أُنْزِلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكْ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾.⁽⁶⁹⁾

5-2-6-2- مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها

قدم الزركشي في مؤلفه البرهان في علوم القرآن مثالين أولهما من سورة القصص والثاني من سورة المؤمنين حيث يقول عن الأولى: « تأمل سورة القصص بدايتها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته وقوله في سورة القصص الآية 17: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة وختمها بأمره للنبي (ﷺ) ألا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته بخروجه من مكة

(68) المرجع نفسه، ج 1، 49.

(69) المرجع نفسه، ج 1، 49.

والوعد بعودة إليها ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٍ﴾ (القصص آية 85)»⁽⁷⁰⁾.

اعتمد الزركشي في هذه المناسبة على نهى الله نية موسى أن يكون للمجرمين ظهيرا ونهى الرسول (ﷺ) أن يكون ظهيرا للكافرين كما أن وعد الله موسى برده إلى أمه ووعد الرسول بإرجاعه إلى مكة حدثان متشابهان. أما المثال الثاني يذكره مصحوبا بتعليق الزمخشري فقال: «وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين «قد أفلح المؤمنون» وأورد في خاتمتها «أنه لا يفلح الكافرون» فشتان بين الفاتحة والخاتمة.»⁽⁷¹⁾ فالتضاد بين فلاح المؤمنين وعدم فلاح الكافرين هو سبب مناسبة هنا. وقد تغدو هذه الوسيلة نوعا من رد العجز عن الصدر سيمة مشتركة بين الخطاب القرآني والخطاب الشعري.

5-2-6-3 - مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها

ويذهب الزركشي إلى أن هذا النوع من المناسبة متواتر في القرآن في ذلك سورة النساء وسورة المائدة قائلا: «لما ختم النساء أمر بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾»⁽⁷²⁾. ويدرج مجموعة من السور بينها هذا النوع من المناسبة. من ذلك افتتاح سورة الحديد بالتسبيح واختتام سورة الواقعة بالأمر به وافتتاح البقرة بقوله «الم...فيه» إشارة إلى الصراط في الفاتحة.

5-2-6-4 - مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه

المقصود أن الكثير من السور مسماة أو مفتوحة بحرف من حروف اللغة «يتراكم فيها الحرف ويتكرر وربما كانت دلالة الكلمات معضدة للسمات الصوتية لهذا الحرف.»⁽⁷³⁾ يقول الزركشي: «فتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف

(70) المرجع نفسه، ج 1، 185.

(71) المرجع نفسه، ج 1، 186.

(72) الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، 196.

(73) الزركشي، البرهان علوم القرآن، ج 1، 169.

المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف. فمن ذلك: «ق والقرآن المجيد». فإن السورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن ومن ذكر الخلق تكرار القول والقرب من آدم وتلقى الملكين وقول العتيد وذكر الرقيب وذكر السابق والقرين والإلقاء في جهنم وسر آخر وهو أن كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح.⁽⁷⁴⁾

والأمر نفسه بالنسبة لسورة «ص» التي حولت خصومات متعددة خصومة الكفار مع النبي (ﷺ) ثم اختصام الخصيمة عند داود ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملائكة في العلم... ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه لأمره السجود... وفي سورة (نون والقلم...) نجد فواصل الآيات كلها على وزن النون مع ما تضمنته من الألفاظ النونية⁽⁷⁵⁾.

5-2-6-5- المناسبات بين السورة واسمها

ويرى الزركشي أن تسمية السورة باسم معين هو تعزيد لتقليد معروف عن العرب هو تقليد يراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نواذر تكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه. على ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز لذلك سميت سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها. وسميت النساء أيضا بهذا الاسم لما تردد فيها كثير من أحكام النساء. غير أن ذكر حدث معين أو اسم ما في السورة ليس كافيا لتبرير التسمية، وقد أورد الزركشي جوابا عن هذا الاعتراض قال: «قد ورد في سورة هود: ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلم تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به وقصة نوح فيها أطول وأوعب؟... تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعى مما وردت في غيرها

(74) المرجع نفسه، ج 1، 170.

(75) المرجع نفسه، جزء 1، 170.

ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع⁽⁷⁶⁾.

5-2-6-6- تناسب السور

وهو مبحث في التبرير والبرهنة على الترتيب الذي عليه السور في القرآن الكريم ولتحقيق ذلك وضع السيوطي وهو من أهم مصنفي وعلماء القرآن في مؤلفه تناسق الدور لتناسب السور قاعدة عامة وفقها رتبت السور.

حيث قال: « إن القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل للإجمال ما قبلها وشرح له أطناب لا يجازيه. وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها. »⁽⁷⁷⁾

وقاعدة الإجمال/ التفصيل في صميم الجانب العلائقي تعزز موقف أن الترتيب توقيفي وليس اعتباطيا بمعنى أن علاقة الإجمال والتفصيل التي تحكم سورة القرآن دليل على أن النص القرآني نص محكم البناء متلائم حيث يعتبره السيوطي نصا يعتمد على زرع مجموعة من العناصر في سورة معينة ثم تقع تنميتها أو تنمية بعضها في سورة لاحقة بل قد تكون سورة بأكملها تنمية للآية أو اثنين وردتا في سورة سابقة. وهذه العلاقة بين السور تسير في اتجاهين ذهابا وإيابا.

خاتمة

تناولنا في هذا البحث منزله مصطلح النصّ في الدرس اللغوي العربي القديم وفي البحث الأصولي وحددنا جملة المفاهيم الأساسية التي تتعلق بما جاوز حدود الجملة، ودرسنا مساهمات ومجهودات النحويين والبلاغيين ونقاد الأدب والمفسرين في تحليل النصّ / الخطاب وترباط أجزائه وتعالق قضياه

(76) المرجع نفسه، ج1، 271.

(77) جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1986)، 65.

على اختلاف درجات الفهم والتعقيد وعلى تمايز المراحل بين الوعيّ باتساق وانسجام النصّ وبين الإسهامات الفعلية وفي ذلك إيضاح لأصول وجذور تحليل الخطاب في التراث العربي .

ويمكن أن نختم بذكر جملة النتائج التي أفضى إليها البحث:

- غياب مصطلح نصّ بالمفهوم الحديث واستخدام تسميات أخرى من قبيل القول والكلام وتسميات قائمة على جنس الكلام من قبيل قصيدة وحديث وسورة ورسالة وخطبة ومعلقة وبيت لا ينفي وجود وعي بترابط النصّ وانسجام أجزائه، بل يتجاوز ذلك إلى الفهم والتعقيد والممارسة النصّية.
- لم يقف النحاة العرب في منوالهم النحوي عند حدود الجملة بل تجاوزوا إلى أحوال الكلام والتمعّن في سبل تركب الجمل وطرق الربط بينها.
- الوعي بترابط الجمل كشف عما يشتمل عليه النحو العربي من قواعد يمكن أن يكون مرجعا ودعما لما اصطلح عليه فيما بعد بنحو النصّ.
- مرّت البلاغة بمرحلتين في علاقتها بالنصّ الخطاب وتحليل اتساقه وانسجام أجزائه مرحلة الإرهاصات التي لم ترتقي إلى مستوى التعقيد وإن سجّلت أهمية هذا المظهر الخطابي البلاغي ومرحلة التتبع الدقيق لتحليل الخطاب وصفا وتقييدا.
- المظاهر الخطابية التي جمعها البلاغيون العرب القدامي في باب البديع وسموها محسنات بدعية وهي علاقات واقعة في مستوى المعجم تحقق الاتساق بين الوحدات المعجمية داخل الجمل.
- مرّ مبحث النقد الأدبي بمرحلتين: مرحلة وعي النقاد العرب القدامي بانسجام النصّ الأدبي تمحور حول مسألة التحام الأجزاء عند الجاحظ وضرورة التماسك عند ابن طباطبا، ومرحلة دراسة كيفية تماسك النصّ لاسيّما مع حازم القرطاجني وصياغته علاقات معنوية لترابط الأبيات في الفصل الواحد أو لترابط فصول القصيدة بأكملها.

- تَوَزَّعت جهود المفسرين وعلماء القرآن في دراسة تماسكه النصّ القرآني وفي كيفية تأخذ آياته وسورة.
- اهتمام المفسرين بأدوات اتّساق النصّ الشكلية والدلالية وتحليلهم لها واستخراج الحجج على ذلك يعدّ إسهامات فعلية في تحليل الخطاب.
- اهتمام المفسرين بموضوع الخطاب وتغييره وتنظيمه وترتيبه، وبجملة العلاقات الدلالية والمعنوية بين آيات متجاوزة أو متباعدة، وبالبحث في تناسب الآيات والسور وتناسب فواتح السور إلى خواتمها دليل على تحليلهم للخطاب القرآني في المستوى المنطقي العقلي والمستوى التداولي، وإن لم يكن بالمفهوم الحديث.
- نستنتج وجود تقاطع مميز لبعض نتائج الدّراسات اللغوية العربية فيما يتعلّق بتحليل اتّساق النصّ وانسجامه مع ما تنبّه إليه علماء البلاغة والنحو والنقد الأدبي والتفسير وعلوم القرآن في التراث العربي وهو تقاطع يبرز النضج الكبير الذي ميّز النظريات اللغوية العربية بما يجعلها حلقة هامة من حلقات المعرفة الإنسانية وإثراء هاماً للزّاد اللغوي الإنساني.

المصادر والمراجع

- ابن إدريس، محمد. رسالة الإمام الشافعي. د.م.: د.ن.، د.ت.
- الاسترأبادي، محمد بن الحسن. شرح الرضي على الكافية. طهران: مؤسسة الصادق، 1978.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر. تناسق الدرر في تناسب السور. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986.
- البلقاني، محمد الطيب. الإعجاز القرآني. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. شرح الحسن السندوبي. بيروت: دار الفكر، د.ت.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد. التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان، 1985.
- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية. دمشق: دار الفكر، 2017.
- ابن الجني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد علي المجار. القاهرة: المكتبة العلمية، 1952.
- الخطابي، محمد. لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991.
- الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). بيروت: دار الفكر، 1981.
- الزركشي، محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار التراث، 2008.
- الزمخشري، محمود بن عمر. الكشف عن حقائق التنزيل. بيروت: دار الفكر، 1981.
- الزناد، الأزهر. نسيج النص. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1993.

- السجل ماسي، أبو محمد القاسم. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. الرباط: مكتبة المعارف، د.ت.
- ابن سراج، أبو بكر محمد. أصول النحو. تحقيق عبد الحسين الفتلي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. بيروت، 1987.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتيقان في علوم القرآن. بيروت: دار الفكر، 1979.
- الشاوش، محمد. أصول تحليل الخطاب. بيروت: المؤسسة العربية للتوزيع، 2001.
- ابن طباطبا، محمد أحمد. عيار الشعر. مراجعة نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية، 2005.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984.
- القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. عمّان: مكتبة النور، 2011.
- ابن المعتز، عبد الله. كتاب البديع. عمّان: دار الميسرة، 1982.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. القاهرة: دار المعارف، 2016.
- ابن هشام، عبد الله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، 1991.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. بيروت: دار الكتب العلمية، 1981.

- Maingueneau, D. (2002). « Problèmes d'ethos. » *Pratiques : linguistique, littérature, didactique*, n°113-114, 55-67.
- Mayaffre, D. (2005). *Les chemins de la lexicométrie*. Paris : Presses universitaires de France.
- Plantin, C. (1996). *L'argumentation*. Paris : Éditions du Seuil.
- Riegel, M., Pellat, J.-C. & Rioul, R. (2021) [1994]. *Grammaire méthodique du français* (8e édition). Paris : Presses Universitaires de France.
- Salem, A. (2006). *Pratique des segments répétés*. Paris : Éditions Karthala.

Références bibliographiques :

- Amossy, R. (2012). « L'ethos et ses doubles contemporains ». *Argumentation et Analyse du Discours*, 9.
- Amossy, R. (2010). *La présentation de soi. Ethos et identité verbale*. Paris : Presses Universitaires de France.
- Amossy, R. (2009) [2006]. *L'argumentation dans le discours*. Paris : Armand Colin.
- Amossy, R. (2008). « Argumentation et Analyse du discours : perspectives théoriques et découpages disciplinaires. » *Argumentation et Analyse du Discours* [En ligne], 1/2008.
- Aristote. (1991). *Rhétorique*. Paris : Livre de Poche.
- Charaudeau, P. (2014). *Le discours politique : les masques du pouvoir*. Limoges : Lambert-Lucas.
- Charaudeau, P. (2005). *Le discours politique. Les masques du pouvoir*. Paris : Vuibert.
- Charaudeau, P. (2002). « A quoi sert d'analyser le discours politique ? » dans *Análisis del discurso polític*. Barcelone : IULA-UPF.
- Charaudeau, P. (2008). « Pathos et discours politique. » dans *Émotions et discours. L'usage des passions dans la langue*. Rennes : Presses universitaires de Rennes.
- Danblon, E. (2006). « La construction de l'autorité en rhétorique. » *Semen* [En ligne], 21/2006.
- Doury, M. (2016). *Argumentation. Analyser textes et discours*. Paris : Armand Colin.
- Ducrot, O. (1984). *Le dire et le dit*. Paris : Éditions de Minuit.
- Kerbrat-Orecchioni, C. (1980). *L'Énonciation - De la subjectivité dans le langage*. Paris : Armand Colin.
- Leipivaara, K. (2021). *L'argumentation du Président Macron dans ses discours pendant la pandémie du coronavirus*. Mémoire de licence, Université de Helsinki.
- Maingueneau, D. (2022). « L'ethos en analyse du discours : perspectives actuelles ». *Langage et société*, 178(4), 13-28.
- Maingueneau, D. (2021). *Analyser les textes de communication*. Paris : Armand Colin.

des priorités thématiques seront autant d'éléments que mobilisera cette stratégie discursive.

La réponse à la question de la pertinence de l'ethos présidentiel face au changement d'une crise internationale que formule notre recherche est nette : il orchestre finement des postures énonciatives qui lui permettent d'incarner d'abord successivement puis simultanément les figures de type complémentaire du « leader ferme », de « l'humaniste compatissant », de « l'architecte politique » et du « coordinateur international ».

L'ethos construit par Macron apparaît donc comme un artefact discursif à la fois complexe et cohérent, capable de faire la synthèse d'exigences apparemment opposées et de garantir la crédibilité à tous les publics désunis. Sa solidité reposera in fine sur la confirmation de ce qu'elle formule en tant que crédibilité de l'éthique alléguée par l'action politique au travers des actes, mais elle atteste pour autant d'une maîtrise discursive dans la communication politique en situation de crise internationale prolongée.

La méthode mixte mise en œuvre, croisant lexicométrie et analyse discursive, a permis de contraindre les tendances, tout en sauvegardant l'affût de l'analyse stratégique. L'approche comparative et diachronique a permis de faire dépasser l'analyse ponctuelle afin d'explorer les dynamiques transformationnelles.

Cette recherche participe ainsi à l'explication des mécanismes de la légitimation discursive des démocraties contemporaines face à des crises internationales complexes où le dire politique est sans cesse tiraillé entre affirmation des principes, ajustement à la situation contrainte, recherche de la crédibilité face aux multiples audiences.

Plusieurs pistes de recherche mériteraient d'être envisagées comme l'étude contrastée des discours d'autres leaders internationaux sur la même crise ou l'analyse de la réception au sein des différents publics cibles qu'ils soient nationaux, internationaux ou régionaux. De même, nous pourrions élargir la perspective de cette étude à d'autres indicateurs linguistiques et discursifs qui enrichiraient l'approche méthodologique. Un élargissement thématique à d'autres crises internationales pourrait également faire émerger d'éventuelles constantes transnationales.

d'expression. L'alliance intemporelle des principes moraux et des propositions opératoires, témoigne de la recherche de crédibilité par l'articulation entre action et valeur.

Plutôt que comme construction figée, notre analyse prouve que l'ethos doit se penser comme un processus dynamique d'adaptation stratégique, la capacité d'évolution en compétence discursive dans les situations de crise durable. L'ethos "caméléon" comme compétence stratégique. La possibilité d'un ethos "caméléon" positif, qui traduit la capacité d'Emmanuel Macron à faire évoluer ses postures *éthotiques* sans qu'il perde de la crédibilité, tout au plus est la manifestation d'une capacité d'adaptation contextuelle sans incohérence fondamentale. De cette plasticité *éthotique*, se déduisent des ressources stratégiques, précieuses dans un environnement politique complexe. Notre analyse témoigne sans conteste de l'importance de la scène d'énonciation comme variable explicative des transformations *éthotiques*. Les transformations notées, trouvent elles-mêmes une très large correspondance avec les contraintes spécifiques à chaque situation de communication.

Conclusion

Le fait de recourir à des indicateurs lexicométriques standardisés pour étudier la dynamique évolutive de l'ethos du président Macron a permis d'objectiver des évolutions qui auraient pu relever de l'interprétation subjective. L'efficacité de notre analyse repose sur la fine contextualisation des performances discursives. Cette contextualisation permet d'interpréter les adaptations *éthotiques* comme des réponses stratégiques à des contraintes situées.

Notre analyse comparative du discours politique démontre l'extrême adaptabilité de l'ethos macronien face à la complexité évolutive de la crise israélo-palestinienne entre 2023 et 2025. La trajectoire observée – du protecteur national à l'architecte international – dénote une sophistication croissante dans la gestion des contradictions inhérentes à la matrice du conflit.

La construction éthotique est appréhendée comme un processus dynamique et stratégique, le locuteur modulant son image en fonction des contraintes contextuelles tout en prenant soin de garantir une cohérence fondamentale. L'équilibre entre ethos individuel et collectif, la polyphonie maîtrisée des postures, l'évolution calculée

manifestent à travers

- le changement des contextes :

- Octobre 2023 : urgence et choc post-attaque → priorité à la sécurité
- Novembre 2023 : crise humanitaire et complexité croissante → recherche d'équilibre
- Septembre 2025 : Conjoncture exceptionnelle et mise en décision → Légitimation institutionnelle

- le changement des publics :

- Octobre 2023 : Public national prioritaire → discours d'unité et de protection
- Novembre 2023 : Public international et humanitaire → discours d'équilibre
- Septembre 2025 : Public international élargi → discours de légitimation historique

- et l'évolution des enjeux :

- Octobre 2023 : Gestion de crise immédiate et protection des citoyens
- Novembre 2023 : Gestion humanitaire et préservation de l'écriture des perspectives politiques
- Septembre 2025 : Construction politique durable et repositionnement diplomatique

Finalement, l'une des constantes stratégiques dans toutes ces évolutions est le maintien de l'engagement personnel perceptible à travers la constante stabilité du "je" autour de 24 % sur les trois périodes significatives. Il indique bien la permanence de cet engagement personnel et de cette responsabilité individuelle assumée du président, qui est au cœur de la conception macronienne de la fonction présidentielle. Le recours à la rationalité processuelle à travers l'usage prédominant des connecteurs d'Addition et la gradualisation de la paix en termes de « processus », est révélateur d'un planisme et d'une logique qui se veut rationnelle.

Si les contextes évoluent, la problématique de l'équilibre entre les parties demeure, même si elle se modifie dans ses modalités

3.3 Consécration de la figure légitimateur (septembre 2025)

La figure finale du « légitimateur institutionnel » est une synthèse des positions antérieures :

- l'architecte institutionnel designer de structures durables
- le témoin historique inscrit dans la longue durée
- le fondateur visionnaire prenant les décisions historiques
- le porte-parole international d'une responsabilité collective

Cette figure ultime répond à la nécessité de la scène onusienne, à la décision historique. L'« ethos de compétence » (Charaudeau) est ici au paroxysme associé à un « ethos de chef visionnaire ».

À ce propos, il serait possible de réaliser une analyse fine des *ethè* selon Charaudeau. L'évolution de l'« ethos de sérieux » correspondrait à cette progression :

- Octobre 2023 : sérieux sécuritaire (« mesures renforcées »)
- Novembre 2023 : sérieux humanitaire (« protection des civils incontournable »)
- Septembre 2025 : sérieux institutionnel (« modèle d'architecture de paix durable »)

La transformation de l'« ethos d'humanité » est aussi évolutive :

- Octobre 2023 : humanité absente au profit de la fermeté
- Novembre 2023 : humanité naissante (« pensée sur les conséquences des victimes civiles »)
- Septembre 2025 : humanité bilatérale (« compassion pour toutes les victimes »)

L'« ethos de solidarité » connaît également une mutation :

- Octobre 2023 : solidarité nationale (« Nous, les français »)
- Novembre 2023 : solidarité humanitaire (« communauté internationale »)
- Septembre 2025 : solidarité universelle (« responsabilité partagée »)

L'adaptation et la recherche de la cohérence stratégique se

qu'une opposition frontale. De même, on peut dire que la hausse du pourcentage des *connecteurs de But* dans le discours de 2025 dévoile une tendance plus forte vers l'avenir et vers la projection.

3. Du chef de guerre au bâtisseur de paix : vers une transformation des postures

3.1 Préfigurer le protecteur (octobre 2023)

La figure originelle du protecteur national repose sur différentes dimensions complémentaires :

- Le décideur urgent qui prend des mesures de protection immédiate
- L'unificateur national qui réunit la nation face à la menace
- Le partenaire solidaire qui fait preuve de solidarité à l'égard d'Israël
- Le défenseur de valeurs qui condamne sans ambiguïté le terrorisme

Cette figure si variée mais cohérente est appropriée aux nécessités de la conjoncture de crise immédiate dans la terreur post-attaque. L'« ethos de sérieux » (Charaudeau) domine en complémentarité avec l'« ethos de chef de la nation ».

3.1 Émergence de la figure médiatrice (novembre 2023)

La figure médiatrice de l'équilibriste humanitaire se montre plus composite :

- L'humaniste compassionnel soucieux des communautés civiles ;
- Le diplomate pondérateur attentif aux exigences contradictoires ;
- Le pragmatique processuel mettant en avant les stratégies progressives ;
- Le coordinateur international dans l'esprit multilatéral.

Cette figure plus complexe répond à la complexification de la crise et la constitution de nouveaux publics. L'« ethos d'humanité et de solidarité » (Charaudeau) résonne fortement avec l'« ethos de sérieux initial ».

Sur le plan des modalités d'action, nous relevons le glissement progressif de l'action immédiate vers l'institutionnalisation ce qui conduit à une conception de l'intervention internationale de plus en plus plurielle et délibérative, contribuant à la construction d'un ethos de bâtisseur et de planificateur à long terme.

Cette évolution dans les registres d'action est accompagnée de certaines transformations relatives aux registres de légitimation. En effet, nous signalons trois ancrages successifs de la crédibilité :

- 1. octobre 2023** : légitimation par la protection immédiate et l'unité nationale face à la menace
- 2. novembre 2023** : légitimation par l'équilibre humanitaire et la recherche de consensus
- 3. septembre 2025** : légitimation par la responsabilité historique et l'action collectives internationale

Cette évolution des registres de légitimation répond à une adaptation aux exigences à la fois changeantes des scènes énonciatives et des contextes politiques dans lesquels la légitimation se déploie.

2.5 Évolution des stratégies argumentatives

L'analyse comparative des connecteurs laisse entrevoir une relative stabilité des stratégies argumentatives, y compris des usages des connecteurs, qui jouent dans l'articulation d'arguments - même si des usages très différents couplent la légitimation à la sauvegarde d'un minimum de dignité républicaine et conditionnent le respect d'une homogénéité et d'une continuité permettant l'instruction du citoyen et la fonction de rôle de l'Etat.

Tableau 5 : Évolution des stratégies argumentatives

Type de connecteur	Oct 2023	Nov 2023	Sept 2025	Tendances
Addition	77,4%	73,6%	67,9%	Légère diminution
Cause	9,7%	11,6%	15,2%	Augmentation progressive
But	3,2%	2,3%	8,1%	Augmentation significative

L'analyse comparative de la relation entre les connecteurs du discours pour la même période (2023-2025) montre que la disposition prédominante des *connecteurs d'Addition* dénote comme stratégie discursive une construction progressive et cumulative plutôt

Palestine en octobre se fait dans un cadre sécuritaire. En novembre, elle s’intègre dans une perspective politique et humanitaire.

Le retournement quantitatif significatif de 2025 (-7 occurrences en faveur de la *Palestine*) consacre diplomatiquement ce qui n’était jusqu’alors que stratégie discursive d’équilibrage. Ce rééquilibrage numérique vient donc accompagner et légitimer la décision politique de reconnaissance.

Nous assistons progressivement à une distinction des catégories de plus en plus fine ; l’analyse fait apparaître une complexification progressive de ces catégorisations :

- Octobre 2023 : Distinction simple *terrorisme/Etats*
- Novembre 2023 : Distinction fine *Hamas/peuple palestinien/Autorité palestinienne*
- Septembre 2025 : Conceptualisation fine des processus de paix et architectures institutionnelles

Cette évolution vers une plus grande complexité analytique s’inscrit dans le cadre d’un processus de construction de la *phronesis* présidentielle, portant une compréhension de plus en plus fine des dynamiques conflictuelles.

2.4 Transformation des modalités d’action et de légitimation

Tableau 4 : Comparaison des modalités d’action

Période	Type d’action	Formulation typique	Registre
Octobre 2023	Action immédiate	«J’ai demandé au gouvernement de renforcer nos mesures de protection»	Sécuritaire et urgentiste
Novembre 2023	Processus	«Je proposerai également une série d’actions»	Diplomatique et processuel
Septembre 2025	Institutionnalisation	«construire l’architecture de paix»	Structurel et fondateur

Nous constatons le glissement de la logique sécuritaire (première thématique à 60% pour *Conflit + Sécurité* en octobre 2023) vers une thématique politique et humanitaire (deuxième thématique à 52% pour *Proche-Orient + Politique* en novembre 2023), voire à une thématique institutionnelle qui présente enfin un caractère processuel en phase avec une échelle du temps (troisième thématique à 63% pour *Diplomatie + Paix* en septembre 2025) se traduit par un glissement lexical révélateur d’une adaptation consciente aux contraintes contextuelles : rassurer et protéger immédiatement après l’attaque, essayer de rééquilibrer face à la crise humanitaire, pour au bout du chemin construire une légitimité pour une décision historique.

L’analyse des réseaux sémantiques autour du lexique central valide aussi ce processus de complexification des actualisations conceptuelles. Alors qu’en 2023, la « sécurité » est reliée à la notion de protection et de vigilance, en 2025, la « paix » se comprend comme « mécanique » et « architecture », les deux désignant l’importance d’un cadre global avec un organe de contrôle adapté.

2.3 Évolution des stratégies d’équilibrage discursif

Tableau 3 : Analyse comparative des références aux acteurs

Période	Israël	Palestine	Écart	Stratégie d’équilibrage
Octobre 2023	6 occurrences	3 occurrences	+3	Condamnation ciblée avec mention équilibrée
Novembre 2023	5 occurrences	2 occurrences	+3	Équilibrage maintenu malgré le contexte
Septembre 2025	38 occurrences	45 occurrences	-7	Rééquilibrage symbolique et politique

La référence aux acteurs révèle la transformation de la représentation des parties en conflit. En effet, la stabilité relative de l’écart en 2023 (+ 3 occurrences en faveur d’*Israël* dans les deux discours) occulte une évolution qualitative majeure. La mention de la

de la fonction présidentielle par le locuteur qui fait sien privativement ses positions propres et les décisions prises.

En passant de 53,7 à 24,8 %, le «**nous**» retombe rapidement en novembre 2023 pour retrouver un modeste élan en septembre 2025 (40,4 %). La chute semestrielle plus tard montre un décalage entre octobre 2023, année nationale d’un «**nous**» très résolument unificateur, et novembre 2023, temps restreint peut-être d’une action solitaire de crise systémique plus complexe. En septembre 2025, le «**nous**» semble présent pour la conquête internationale matérialisée au-delà de la seule déclaration de l’affrontement.

Le «**on**» émerge dans une stimulante action opérationnelle, conceptuellement insérée dans des cas concrets. Sa parfaite absence en octobre 2023 et son apparition ayant beaucoup de peine à s’imposer plus tard sont autant de marqueurs d’une réflexion qui est de moins en moins promue vers un prenons dans l’action.

2.2 Transformation des priorités lexicales et sémantiques

Tableau 2 : Évolution comparative des univers sémantiques dominants

Période	Univers dominant	Pourcentage	Termes représentatifs	Posture éthotique
Octobre 2023	Conflit/ Terrorisme	32%	terrorisme, Hamas, attaque	Protecteur national
	Sécurité/ Protection	28%	sécurité, protection, vigilance	
Novembre 2023	Proche-Orient	28%	région, conflit, solution	Équilibriste humanitaire
	Politique	24%	État, processus, initiative	
Septembre 2025	Diplomatie	35%	reconnaissance, État, souveraineté	Légitimateur international
	Paix	28%	processus, architecture, construction	

2. Analyse comparative : la transformation stratégique de l’ethos

2.1 Évolution des équilibres pronominaux : stabilité et mutation

L’analyse comparative entre l’« ethos individuel » et l’« ethos collectif » se réalise à travers la confrontation systématique des pronoms personnels qui permet une mise en opération de la distinction entre « ethos individuel » marqué par le *je* et « ethos collectif » marqué par le *nous* inclusif. Cette distinction que nous voulons examiner se révèle essentielle pour comprendre comment le président Macron fait alterner l’affirmation personnelle du « je » et l’invocation collective du « nous » puisque le « je » engage sa responsabilité alors que le « nous » met en jeu des responsabilités diluées dans des entités plus larges comme la *nation*, la *communauté internationale*, etc. et se construit en coalition d’actions.

Tableau 1 : Transformation comparative des stratégies énonciatives

Indicateur	Octobre 2023	Novembre 2023	Septembre 2025	Analyse évolutive
Je	24,4%	24,8%	24,2%	Stabilité de l’engagement personnel
Nous	53,7%	24,8%	40,4%	Recomposition stratégique du collectif
On	0%	10,6%	16,2%	Émergence progressive de l’opérationnel
Vous	4,9%	10,6%	8,1%	Variation contextuelle de l’adresse

La stabilité marquante du « je » entre 24 % environ sur les trois périodes dévoile une permanence de l’engagement personnel et de la responsabilité individuelle malgré les transformations contextuelles macro-économiques, politiques, culturelles, sociales qu’infinie le locuteur affiche. Ce maintien participe à une conception jupitérienne

1.2 *Approche mixte : quantitative et qualitative*

L'analyse quantitative est effectuée grâce au logiciel *Tropes* (version 8.0) selon un protocole standardisé appliqué de manière identique pour les trois discours cités précédemment. Le traitement inclut les étapes suivantes : la segmentation des discours en propositions, la désambiguïsation sémantique et grammaticale des termes, la détermination de leurs catégories sémantiques selon un dictionnaire sémantique hiérarchisé, et l'analyse statistique multidimensionnelle des données sur la période considérée. Cette approche permet la mise en évidence de tendances discursives et la mesure de l'évolution du vocabulaire lexicographique et des choix sémantiques sur la période considérée.

Cette recherche lexicométrique compare systématiquement trois corpus par rapport à des indicateurs constants permettant une analyse pluridimensionnelle :

- la répartition pronominale (*je/nous/on*) et l'évolution de cette distribution

- les univers lexicaux dominants et les transformations qui les affectent

- les stratégies d'équilibrage discursif

- les postures énonciatives et l'adaptation contextuelle de celles-ci.

Quant à l'analyse qualitative, elle permet d'examiner les stratégies énonciatives et argumentatives mises en œuvre dans les discours eu égard aux cadres théoriques mobilisés, permettant de préserver la finesse d'une analyse stratégique au regard des données quantitatives. L'articulation entre analyse qualitative et quantitative servira à mieux comprendre les mécanismes du processus de construction de l'ethos présidentiel.

comment Macron construit son ethos discursif en restructurant les trois dimensions aristotéliennes fondamentales : la *phronesis* (sagesse pratique et compétence), l'*arètè* (vertu morale et intégrité) et l'*eunoia* (bienveillance, sincérité des intentions) : la *phronesis* se trouve sur le plan de la capacité à analyser finement des situations complexes et à proposer constamment des solutions pertinentes ; l'*arètè* sur l'affirmation des principes moraux et la cohérence des positions ; l'*eunoia* sur l'affect du présent tourné vers le bienveillant relationnel avec les différentes parties et la recherche du consensus (ces trois ordres autorisant de penser l'éthotique dans des systèmes d'interaction de crise particulièrement complexes).

De manière conjointe à l'approche aristotélienne, nous ferons appel à la typologie que Charaudeau (2014) met en avant et qui oppose l'« ethos de crédibilité » (sérieux, vertu, compétence) et l'« ethos d'identification » (humanité, solidarité, chef) : cette double grille permet une compréhension plus pertinente des stratégies éthiques déployées par Emmanuel Macron. En effet, l'ethos de crédibilité étant lié à la construction d'une image de confiance et de compétence du président, l'ethos d'identification renvoie à la capacité à créer avec l'auditoire la convivialité, l'affect et l'identité. L'articulation des deux ordres permet de rendre visible la complexité de la construction *éthotique*, en un contexte présidentiel.

Par ailleurs, la notion de « scène d'énonciation » développée par Dominique Maingueneau (2021) restitue le cadre contraignant dans la mesure où c'est la contrainte spécifique à chaque énonciation qui participe à son ethos. L'allocution télévisée du 12 octobre 2023, adressée par le président de la République, sert d'abord la nation française. La conférence humanitaire du 9 novembre 2023 nourrit cette scène multilatérale qui sera encore tragiquement, mais rigoureusement diplomatique. La tribune du 22 septembre 2025 au sein des Nations Unies représente, elle, une scène également solennelle de décision historique. Chaque scène prescrit une norme du dire discursive à intégrer au sein de la performance *éthotique* du locuteur.

Ces interrogations prolongent une réflexion plus large sur le pouvoir des leaders politiques de jouer avec la thématique de la communication en période de contraintes contextuelles, tout en préservant, selon la nécessité, une cohésion identitaire indispensable. Concernant le corpus, il est formé par l'intégralité de ces trois discours :

- Discours du 12 octobre 2023, discours télévisé, 1 842 mots ;
- Discours du 9 novembre 2023, conférence internationale humanitaire, 3 200 mots ;
- Discours du 22 septembre 2025, tribune aux Nations Unies, 2 500 mots.

Le choix de ces trois moments privilégiés s'explique par les valeurs représentatives des phases distinctes d'une crise en évolution et par leur importance dans le positionnement diplomatique de la France.

1. Cadre théorique et méthodologique

Contrairement à une analyse monographique qui ne scrute qu'un discours à la fois, la nôtre est contrastive, s'intéressant aux glissements progressifs et aux ruptures stratégiques dans la construction éthotique présidentielle sur les deux années charnières de la période examinée. Ce choix longitudinal fait qu'en lieu et place d'une analyse ponctuelle, nous tenterons de rendre compte des tendances lourdes et des adaptations stratégiques en jeu dans la communication présidentielle de crise.

Notre recherche se distingue aussi par son ancrage méthodologique mixte qui allie approche quantitative par lexicométrie et analyse qualitative du discours, permettant d'objectiver des réalités discursives tout en préservant la finesse de l'interprétation stratégique.

1.1 La notion d'ethos discursif : fondements et développements contemporains

Notre recherche s'inscrit dans le cadre théorique élaboré par Ruth Amossy (2010) qui contrapose l'ethos prédiscursif - l'image antérieure du locuteur – et l'ethos discursif – l'image construite dans le discours ou par le discours. Nous cherchons à analyser

الأصوات في مواجهة جماهير متنوّعة ذات مطالب متعارضة، فضلاً عن توظيف بلاغيّ متقدّم في التدبير الخطابي لهذه الأزمة الدولية التي طال أمدّها دون ضرورة.

الكلمات المفتاحية: الإيغوس، الخطاب الرئاسي، غزّة، اللّكسكومتريّة، الاستراتيجية الحجاجية.

Introduction

L'affrontement historique et complexe qui se déroule à Gaza ainsi que sa charge émotionnelle constituent sans doute une épreuve discursive pour tout chef d'État notamment le président français, héritier d'une tradition diplomatique qui se veut, ou se dit, médiatrice et équilibrée, mais aussi un enjeu particulièrement sensible. De 2023 à 2025, depuis l'action violente menée par le Hamas le 7 octobre 2023 et les répercussions dramatiques amenant certains à tabler sur une possible guerre mondiale, jusqu'à la reconnaissance de l'État palestinien en 2025, nous disposons d'un cas d'espèce qui nous permet de suivre l'affinement et la construction de l'ethos présidentiel dans un contexte international polarisé.

Dans un contexte de crise internationale, la communication politique ne peut guère s'affranchir de la nécessité pour le leader d'articuler ses affirmations de principe et la réalité de l'actualité. A cet égard, le champ d'étude de l'ethos – cette image de soi que construit le locuteur au fil de son discours en l'ajustant à son auditoire, à son interlocuteur et aux situations qui lui sont offertes par l'actualité – apparaît particulièrement bienvenu pour étudier les mécanismes de légitimation travaillant les hommes ou femmes politiques.

Notre recherche se concentre plus particulièrement sur la métamorphose progressive de l'ethos présidentiel alors que la crise internationale évolue. Comment Emmanuel Macron ajuste-t-il stratégiquement son image' discursive entre 2023 et 2025, selon les nouveaux besoins d'adaptation face à un nouveau projet de gestion qui lui est demandé ? Quelles sont les clés linguistiques et discursives qui opèrent dans cette transformation ? Dans quelle mesure l'actuel président français réussit-il à créer une dynamique de continuité et d'adaptation au sein de la construction éthotique ?

L'ethos du Président Emmanuel Macron dans ses discours sur Gaza (2023-2025)

Mohamed Rayani

Universite de la manouba

Résumé

Ce travail propose une investigation sur la transformation stratégique de l'ethos discursif du Président Emmanuel Macron à travers trois moments charnières de la guerre à Gaza. À partir d'une méthodologie croisant analyse lexicométrique quantitative (grâce au logiciel *Tropes*) et analyse qualitative du discours, nous montrons que l'ethos présidentiel évolue systématiquement d'une posture de « protecteur national unificateur » (octobre 2023) à la figure « d'équilibriste humanitaire » (novembre 2023) pour aboutir à celle de « légitimateur institutionnel » et « architecte de paix » (septembre 2025). L'analyse comparative montre un ajustement conscient aux contraintes contextuelles modifiées, une certaine maîtrise d'enjeux polyphoniques énonciatifs face à des auditoires nombreux aux exigences contradictoires et la mobilisation d'une sophistication rhétorique dans la gestion discursive de cette crise internationale inutilement prolongée.

Mots-clés : Ethos, discours présidentiel, Gaza, lexicométrie, stratégie argumentative.

الملخص

يقترح هذا العمل دراسةً لتحوّل الإيثوس الخطابى لرئيس الجمهورية الفرنسية إيمانويل ماكرون عبر ثلاث لحظات مفصلية من الحرب على غزة. وانطلاقاً من منهجية تجمع بين التحليل اللّكسيكومتري الكمي (باستخدام برنامج Tropes) والتحليل الكيفي للخطاب، يُبيّن أنّ الإيثوس الرئاسي يتطوّر بصورة منهجية من وضعية «الحامي الوطني الموحّد» (أكتوبر ٢٠٢٣)، إلى صورة «الموازن الإنساني» (نوفمبر ٢٠٢٣)، ليلبغ في النهاية مقام «المشرعين المؤسّساتي» و«مهندس السلام» (سبتمبر ٢٠٢٥). وتُظهر المقارنة تحكّماً واعياً في التكيّف مع القيود السياقية المتغيّرة، وقدرةً على إدارة رهانات تلفظية متعدّدة

Allia, 2023 ;

- Plon, Michel et Roudinesco, Elisabeth, *Dictionnaire de la psychanalyse*, troisième édition, Paris, Fayard, 2006 (ISBN numérique : 978-2-213-65416-4) ;
- Quignard, Pascal, *Vie secrète (1998)*, (*Dernier Royaume, Tome VIII*), Paris, Gallimard, coll. « Folio », No. 3292, 2013 ;
- Pascal Quignard, *Sur le jadis* (2002), (*Dernier Royaume, Tome II*), Paris, Gallimard, coll. « Folio », No. 4137, 2013 ;
- Quignard, Pascal, *Petits traités II*, Paris, Gallimard, coll. « Folio », No. 2977, 2002 ;
- Quignard, Pascal, *Boutès*, Paris, Galilée, 2008 ;
- Pascal Quignard, *L'enfant d'Ingolstadt*, Paris, Grasset, 2018 ;
- Quignard, Pascal, *L'Amour; La Mer*, Paris, Gallimard, 2022 ;
- Viart, Dominique « Une “récapitulation de l'histoire humaine » ?, in *Europe, Pascal Quignard*, No. 976-977, Paris, août-septembre 2010.

Références bibliographiques :

- Apollodore l'Athénien, *Bibliothèque d'Apollodore, Tome premier*, traduction d'E. Clavier, Paris, Delance et Lesueur, 1805 ;
- Bergeret, Jean, *La Violence fondamentale. L'inépuisable Œdipe*, Paris, Dunod, collection « psychismes », 2010 ;
- Blanckeman, Bruno, « Une écriture intraitable », *Études françaises, Pascal Quignard ou le noyau incommunicable*, Montréal, Les Presses de l'Université de Montréal, volume 40, numéro 2, 2004 ;
- Calle-Gruber, Mireille, *Pascal Quignard ou les leçons de ténèbres de la littérature*, Paris, Galilée, 2018 ;
- Carrère, Emmanuel, *D'autres vies que la mienne*, Paris, Gallimard, 2017 ;
- Cornu, Michel, *Aux portes de l'indicible. Incarnation et musique*, Lausanne, Editions L'Âge d'Homme, collection « Perspectives spirituelles », 2013 ;
- Eliade, Mircea *Aspects du mythe*, Paris, Gallimard, « Idées », 1963 ;
- Eliade, Mircea, *Le sacré et le profane*, Paris, Gallimard, collection « idées », 1965 ;
- Jankélévitch, Vladimir, *La Musique et l'Ineffable*, Paris, Seuil, collection « Points Essais », 1983 ;
- Le Quellec, Jean-Loïc (Entretien), « On reconnaît comme mythe la vérité des autres » in *Le Monde Hors-série, L'Histoire des mythes fondateurs. Voyage dans l'imaginaire de l'humanité*, collection « La Vie », Paris, 2022 ;
- Levinas, Emmanuel, *Totalité et infini. Essai sur l'extériorité*, Paris, Livre de Poche, biblio essais, 1961 ;
- Nietzsche, Friedrich, *Fragments posthumes sur l'éternel retour* (1880-1888), Paris, Edition établie et traduite par Lionel Duvoy,

devant le caractère tragique du destin. Les crises économiques, les catastrophes naturelles, les maladies bouleversent le rapport à l'environnement de vie et au temps immédiat : celui-ci est d'autant plus frappé d'insignifiance que les personnages évoqués dans *D'autres vies que la mienne* s'adonnent à une introspection méditative qui déconstruit le rationalisme qu'induit l'écoulement linéaire de l'existence pour laisser planer la possibilité d'une manière d'être mythique et même antihéroïque. Le personnage de Boutès en est l'incarnation emblématique : le désir d'altérité que lui prête Quignard s'apparenterait à une profonde caresse humaine au sens où l'entend Lévinas⁽⁴⁹⁾ puisqu'il est question d'un détachement total du ponctuel en vue d'une ouverture sur les désirs transgressifs qui habitent l'être humain, notamment celui de désobéir aux règles et aux normes conformistes. Quignard et Carrère agissent sur le temps : bien qu'elle reflète les spécificités d'une époque régie par le rationalisme, la temporalité que dépeignent les deux écrivains exprime surtout le refus d'une déshumanisation qu'engendre un progrès d'autant plus inhumain qu'il détruit l'inclination à l'empathie. Le retour du temps cyclique chez les deux auteurs recèle un humanisme ramené à des proportions individuelles. Le contraste avec un progrès qui se décline selon un temps linéaire et collectif n'en est que plus saisissant. *Boutès* et *D'autres vies que la mienne* font ainsi résonner une musique émanant d'un temps mythique.

(49) « En dehors de la faim qu'on satisfait, de la soif qu'on étanche et des sens qu'on apaise, la métaphysique désire l'Autre par-delà les satisfactions, sans que, par le corps aucun geste soit possible pour diminuer l'aspiration, sans qu'il soit possible d'esquisser aucune caresse connue, ni inventer aucune caresse nouvelle. Désir sans satisfaction qui, précisément, entend l'éloignement, l'altérité et l'extériorité de l'Autre. Pour le Désir, cette altérité, inadéquante à l'idée, a un sens. Elle est entendue comme altérité d'Autrui et comme celle du Très-Haut. » (Emmanuel Levinas, *Totalité et infini. Essai sur l'extériorité*, Paris, Livre de Poche, biblio essais, 1961, p 23)

rapport à la communauté. À l'instar de celui qui se réjouit du chant fatal des sirènes, « celui qui écrit, celui qui finit par devenir auteur n'est jamais dans l'obéissance de la langue ou du passé, ni dans la répétition, il quête plutôt l'origine : "Boutès : rejoindre la condition originaire c'est mourir." »⁽⁴⁵⁾ Il est ainsi question d'un geste individuel qui suggère l'irrationnalité et l'absoluité de l'art dans un monde régi par des normes et des conventions rigides. C'est la musique qui achemine Boutès *aux portes de l'indicible*⁽⁴⁶⁾. Elle relève de ce que Jankélévitch appelle « l'ineffable » et non de « l'indicible » dans l'univers des deux auteurs :

plus brièvement : le mystère musical n'est pas l'indicible, mais l'ineffable. [...] est indicible, à cet égard, ce dont il n'y absolument rien à dire, et qui rend l'homme muet en accablant sa raison et en médusant son discours. Et l'ineffable, tout à l'inverse, est inexprimable parce qu'il y a sur lui infiniment, interminablement à dire.⁽⁴⁷⁾

La musique dans *D'autres vies que le mienne* et *Boutès* raviverait un idéal esthétique fondé sur la primauté de la sensation sur la raison. Du temps fabuleux des commencements jusqu'à la révolution numérique, la musique a le pouvoir d'incarner le temps et de ressusciter artistiquement des souvenirs passés.

Conclusion

L'interrogation des malheurs humains à travers le prisme de destins individuels brisés révèle chez Carrère un élan invisible vers le mythique voire le divin. Quignard, en ressuscitant la figure de Boutès, réhabilite « un mode d'être sacré »⁽⁴⁸⁾ : l'Argonaute serait le représentant d'une humanité qui refuse la linéarité implacable du temps chronologique au profit de sa suspension totale au nom d'un dévouement pour l'art et la beauté. Les drames vécus par les personnages de Carrère touchent le lecteur contemporain en raison de leur actualité poignante. Elles reflètent la vulnérabilité humaine

(45) Veronica Galindez, « Boutès » in *Dictionnaire sauvage de Pascal Quignard*, op.cit., p. 85.

(46) Michel Cornu, *Aux portes de l'indicible. Incarnation et musique*, Lausanne, Editions L'Âge d'Homme, collection « Perspectives spirituelles », 2013

(47) Vladimir Jankélévitch, *La Musique et l'Ineffable*, Paris, Seuil, collection « Points Essais », 1983, pp. 92-93. (ISBN ePub : 978-2-02-006450-7).

(48) Mircea Eliade, *Le sacré et le profane*, Paris, Gallimard, collection « idées », 1965 (ISBN : 978-2-07-032454-5), quatrième de couverture.

sensuel au langage verbal normé. Il rejoint un temps originel en réaffirmant la prévalence de l'opposition fondamentale entre un individu soucieux de vivre selon une temporalité mythique et une société désireuse de se focaliser sur un temps chronologique et linéaire. Boutès se veut l'incarnation d'une subversion qui parle au lecteur contemporain puisque son renoncement à la société acte en réalité le rejet d'un progrès totalement déshumanisant. L'Argonaute exécute une ultime chorégraphie laissant entrevoir l'existence d'une antéchronie merveilleuse :

Apollonios dit, avec plus de radicalité encore, que les Sirènes emplissent l'âme plus archaïque de Boutès d'un désir d'approcher à l'état pur.

Elles envoûtent le jeune Argonaute dans une attirance qui le projette vers elles.

Was ist Musik ? Tanz.

Qu'est-ce que la musique ? La danse.

Or, qu'est-ce que la danse ?

Le désir de se lever de façon irrépressible. ⁽⁴¹⁾

Boutès expérimente une périlleuse jouissance. Attiré par le chant ensorcelant des sirènes, il précipite en apparence sa chute irrévocable vers la mort. Cependant, il arrache une victoire symbolique sur la société conformiste dans un acte de défiance ultime. L'Argonaute défie la fatalité et la mort en se riant d'elles artistiquement. Boutès confère au désir de se jeter à l'eau une dimension temporelle et mythique : « Boutès se lève du rang de nage et saute. »⁽⁴²⁾ Il rejoint l'inconnu et incite Quignard lui-même à « cultiver la figure de l'artificier, qui laisse éclater l'énergie de la pensée en acte pour donner à apprécier la part d'obscurité qu'ainsi elle traverse. »⁽⁴³⁾ Quignard associe d'ailleurs le temps primitif que rejoint Boutès à une possible manière d'être mythique : « Il y a un avant l'avant. Un sans limite avant la limite. Sans-limite que la limite (la naissance) crée rétrospectivement. »⁽⁴⁴⁾ Boutès se fond dans un tableau musical qui conforte l'auteur dans sa volonté de prendre ses distances par

(41) *Ibid.*, pp. 25-26

(42) Pascal Quignard, *L'enfant d'Ingolstadt*, *op.cit.*, p. 11

(43) Bruno Blanckeman, « Une écriture intraitable », *Études françaises, Pascal Quignard ou le noyau incommunicable*, Montréal, Les Presses de l'Université de Montréal, volume 40, numéro 2, 2004., p. 17.

(44) Pascal Quignard, *Sur le jadis*, *op.cit.*, p 205

(2) *La musique commence, les images défilent. Patrice regarde sa femme. Diane regarde sa mère. Patrice regarde Diane la regarder. Elle pleure, il pleure aussi, il y a de la douceur à pleurer ainsi tous les deux, le père et sa toute petite fille, mais il ne peut pas et ne pourra jamais plus lui dire ce que les pères voudraient dire à leurs enfants, toujours : ce n'est pas grave.*⁽³⁷⁾

La musique impulse le rythme d'un temps cyclique : la contemplation du portrait de Juliette ranime non seulement son souvenir mais aussi sa présence. Le deuil s'inscrit dans le temps d'une anamnèse à la fois fantastique et touchante. La conjonction d'images lointaines et de la musique suscite le pathos de personnages rendant solennellement hommage à Juliette. Les images du passé sont comme hélées et transportent les personnages du monde immédiat des apparences vers le monde originel des essences. Une assertion quignardienne dans *Boutès* le suggère fortement : « La musique ne re-présente rien : elle re-sent. »⁽³⁸⁾ L'itération traduit la volonté de ressusciter chez l'homme contemporain les sensations auditives éprouvées par les artistes et les auditeurs du monde archaïque. La solitude de l'art invite à interpréter « la musique comme reconnaissance folle, extraordinairement émouvante. Comme retrouvaille bouleversante avec ce qu'on n'attendait plus de récupérer du monde d'avant le monde. »⁽³⁹⁾ Elle est constitutive de la sensibilité humaine. La musique porterait le temps du récit mythique que se construirait un personnage confronté à une situation-limite. Elle acquiert des pouvoirs suggestifs lui permettant d'illustrer les drames humains. La musique incarne un medium insolite puisqu'elle jouit de la capacité à convoquer le mythe des origines. L'art musical permet de réinvestir la notion de voyage initiatique. L'expérience de *Boutès* en est l'illustration :

Nos prénoms nous hèlent jusqu'à notre mort. C'est ainsi que la voix ancienne d'un oiseau aux seins de femme appelle Boutès. Elle l'appelle bien plus que par son nom : par la battue de son cœur. C'est ainsi que Boutès quitte le rang des rameurs, renonce à la société de ceux qui parlent, saute par-dessus bord, se jette dans la mer.⁽⁴⁰⁾

Boutès rompt l'idée de progrès en privilégiant le langage musical

(37) *Ibid.*, p 247

(38) Pascal Quignard, *Boutès*, *op.cit.*, p. 10

(39) Pascal Quignard, *L'Amour, La Mer*, Paris, Gallimard, 2022, p. 86

(40) Pascal Quignard, *Boutès*, *op.cit.*, pp. 21-22

simplement agaçantes deviennent dans ces circonstances extraordinaires à la fois monstrueuses et secourables parce qu'elles jalonnent une tâche à accomplir, donnent une forme à l'écoulement du temps. ⁽³²⁾

La musique permet de réinvestir la notion de voyage initiatique : les constructions immenses et luxueuses, fruit du progrès technique, ne peuvent résister au déchainement de l'océan indien et à la perspective d'une mort inéluctable. La catastrophe naturelle engendre un questionnement total de l'existence, faisant naître des sentiments primitifs comme la haine ou le ressentiment :

Jusqu'à la fin de sa vie, les peluches, les mobiles, les ritournelles des boîtes à musique lui arracheraient le cœur. Comment est-il possible que cette femme serre contre elle son enfant vivant alors que ma petite fille à moi est toute froide et ne parlera plus jamais et ne bougera plus jamais ? Comment ne pas les haïr, elle et son enfant ? ⁽³³⁾

Le discours indirect libre fait résonner une voix quasi immémoriale, celle d'une mère et non d'un personnage faisant le deuil de sa fille. La colère éprouvée par Delphine prend un accent musical puisque « les ritournelles des boîtes à musique » font ressasser de manière continue le chant funèbre de la mort. Pour le personnage de Juliette, la musique facilite l'acceptation de l'idée de la mort puisque la « jeune femme épuisée, amaigrie, qui ne se lève plus de son fauteuil » ⁽³⁴⁾ parvenait à rire de l'improvisation « des espèces d'entrechats balourds sur la musique du *Lac des cygnes* » ⁽³⁵⁾. La musique ponctue le retour du temps cyclique. Elle ravive l'âme de Juliette pour son mari, suggérant que la vie est une boucle oscillant entre évocations tragiques et resurgissements fantastiques :

(1) On s'allongeait par terre, sur des tapis de mousse, on mettait de la musique plus ou moins planante, la seule consigne était de se laisser aller. Au début on était replié sur soi-même, roulé en boule, et puis on commençait à bouger, on se redressait lentement, on s'ouvrait comme une fleur qui se tourne vers le soleil, on tendait les mains vers les autres, on entraînait en contact avec eux. C'était magique. [...] C'est alors que Juliette est arrivée. ⁽³⁶⁾

(32) Emmanuel Carrère, *D'autres vies que la mienne*, op.cit., p. 14.

(33) *Ibid.*, p 44.

(34) *Ibid.*, p 54

(35) *Idem.*

(36) *Ibid.*, p. 156

sont le concept et la logique. ⁽²⁹⁾

Certes, Boutès n'accomplit pas des exploits guerriers qui font de lui l'égal d'Ulysse. Il réussit néanmoins à accéder à la postérité en indiquant au lecteur moderne et contemporain la possibilité d'une évasion spectaculaire d'une société conformiste. Boutès est fondamentalement autre : son héroïsme, il le doit à un renoncement symbolique à la collectivité. Quignard pense, à cet égard, que « la vie d'un homme peut toujours être autre, et meilleure, et plus intense, et pire, et plus brève. »⁽³⁰⁾ L'auteur revit « l'épopée » de Boutès selon la logique de l'éternel retour que Nietzsche évoque dans *Le retour du même* :

Nous voulons toujours revivre en œuvres d'art ! Ainsi doit-on modeler sa vie de manière à projeter dans chacun de ses moments un même désir ! Voilà la plus haute pensée ! Au bout du compte, c'est la doctrine de l'éternel retour de tout ce qui a été qui sera proclamée, après que cette tendance aura été d'abord enracinée pour créer quelque chose qui puisse prospérer au centuple sous la lumière solaire de cet enseignement ! ⁽³¹⁾

La centralité du verbe « revivre » se décline dans Boutès à travers l'émerveillement qu'il suscite auprès de Quignard. Sa posture séduit car il brave toutes sortes d'interdits. Le mythe de l'éternel retour nietzschéen fait de l'Argonaute le destructeur de l'ordre chronologique et l'initiateur à un mode d'être mythique.

III. Un temps cyclique musical et prégnant

Le temps cyclique se décline musicalement dans les deux œuvres. Au surgissement brutal de la mort se greffe une musique paradoxalement « apaisante » dans *D'autres vies que la mienne*. Le désastre provoqué par le tsunami de 2004 suspend les états d'âme du narrateur qui vit la mort des enfants de Delphine et de Jérôme comme une épreuve décisive :

[...] et quand enfin Hélène tombe sur un être humain il la transfère sur un autre poste, la musique recommence ou bien la communication est coupée. Ces contrariétés ordinaires et qui dans la vie ordinaire sont

(29) Mirelle Calle-Gruber, *Pascal Quignard ou les leçons de ténèbres de la littérature*, Paris, Galilée, 2018, p. 14.

(30) Pascal Quignard, *Sur le jadis* (2002), (*Dernier Royaume*, Tome II), Paris, Gallimard, coll. « Folio », No. 4137, 2013, p. 27.

(31) Friedrich Nietzsche, *Fragments posthumes sur l'éternel retour* (1880-1888), Paris, Edition établie et traduite par Lionel Duvoy, Allia, 2023, p. 16.

le chant symbolique des sirènes et partant, toutes les tentations auxquelles pourrait se confronter l'être humain. À l'illusion mortelle qu'exposent les sirènes, le héros de l'Odyssée insiste de manière trompeuse sur sa vulnérabilité :

La première fois où la forme "analyse" apparaît dans le monde grec se situe au vers 200 du chant XII de l'Odyssée d'Homère. Ulysse est délié – ἀνέλυσαν – de ses liens – ἐκ δεσμών – par Eurylokhos et Périphèdès dont les quatre oreilles sont bouchées par la cire préalablement découpée à l'aide d'un couteau de bronze dans un gâteau de miel.

Ainsi la première "analyse" répertoriée figure-t-elle l'instant où sont dénoués les nœuds qui enserrant Ulysse après qu'il a passé sans mourir le Lien des lieuses. Car les Seirèniennes sont les lieuses. Face à Odysseus attaché, Seirèn est l'attachante. Le mot seirèn dérive de ser, lier.⁽²⁶⁾

Ce passage de *Boutès* mythifie davantage le portrait d'Ulysse : il est transformé en une allégorie annonciatrice de la psychanalyse freudienne. Le héros de l'Odyssée fait de ses compagnons l'incarnation d'un « surmoi » protecteur alors que les sirènes sont assimilées à un « ça »⁽²⁷⁾ tentant et envoûtant. Le plus illustre des menteurs fait montre d'une grande perspicacité psychologique : il anticipe les situations de tension et de conflit. Il les affronte en usant de subterfuges ingénieux et salvateurs qui lui offrent la possibilité d'aller au-delà des limites assignées à la condition humaine. C'est la ruse du « polytropos »⁽²⁸⁾ Ulysse qui serait l'illustration d'une « pensée rationnelle » au summum de son art. Il demeure attaché à la communauté tout en s'en détachant subtilement. Contrairement à Ulysse, *Boutès* privilégie les sirènes sans prendre la moindre précaution. Son désir de se jeter à l'eau est celui d'une solitude qui appelle une discussion approfondie. Mireille Calle-Gruber estime que le saut de l'Argonaute serait la métaphore de la démarche du littéraire :

Contrairement à la démarche philosophique qui ambitionne d'embrasser toutes choses : de comprendre : d'éclairer l'obscur, la démarche du littéraire, c'est se rendre à l'obscur : plonger dedans (tel Boutès se jetant à l'eau vers la voix des sirènes) : c'est la reddition, rendre les armes que

(26) Pascal Quignard, *Boutès*, op.cit., pp 14-15

(27) Il réfère à « un ensemble de contenus de nature pulsionnelle et d'ordre inconscient ». (Michel Plon et Elisabeth Roudinesco, *Dictionnaire de la psychanalyse*, troisième édition, Paris, Fayard, 2006, p. 211. (ISBN numérique : 978-2-213-65416-4)

(28) Pascal Quignard, *L'enfant d'Ingolstadt*, op.cit., p 107

non pas de défendre la veuve et l'orphelin, mais de dire ce qui est juste et de rendre la justice. Qu'il souhaitait changer la société, mais aussi y occuper une place confortable : sans se soucier de faire fortune, mener une vie bourgeoise. Qu'enfin on exerce en jugeant un pouvoir et qu'il a, sinon le goût du pouvoir, du goût pour le pouvoir.⁽²³⁾

Avant de développer un cancer incurable, Etienne embrasse une manière d'être à travers laquelle Carrère identifie les principaux traits psychologiques de l'homme universel à l'époque contemporaine. Il se reconnaît dans un progressisme nuancé en privilégiant l'idée à l'humain. Il cultive en son for intérieur des paradoxes qu'il tente de concilier en les verbalisant de manière quasi systématique. Cependant, au fur et à mesure que la maladie progressait et que le temps s'écoulait, Etienne « s'est promis de ne pas céder à la tentation de l'abattage, de continuer à voir dans chaque dossier une histoire singulière, unique, appelant une solution de droit particulière. »⁽²⁴⁾ Le cancer consacre paradoxalement le triomphe d'une humanité qui interprète les affaires de justice en cours non plus comme de simples cas ou des chiffres à traiter mais des destins à sauver du sentiment de perte qui les guettait. En tant que juge, Etienne met en évidence un ethos ouvert au changement et sensible au malheur d'autrui. Il s'attaque aux établissements qui accordent cyniquement des crédits à des clients pervertis par la société de consommation :

[...] on signe parce que c'est le seul moyen quand on n'a pas d'argent de s'acheter ce dont on a besoin, ou d'ailleurs pas toujours besoin mais envie, simplement envie, car même quand on est pauvre on a des envies, c'est ça le drame. Là où la banque aurait la prudence de dire non, l'établissement de crédit dit toujours oui, c'est pourquoi les banquiers orientent obligeamment vers lui leurs clients toujours dans le rouge.⁽²⁵⁾

L'humanité contemporaine cède à une cupidité primitive, ce qui prévaut depuis l'Antiquité. La société dépeinte par Carrère prolonge des drames humains archaïques : la privation, la dépossession de soi et l'expérimentation de la perte totale.

Dans Boutès, outre la posture de refus qu'incarne le personnage éponyme, Quignard cite le héros grec d'Ulysse comme un modèle susceptible de résister subtilement au sentiment de perte qu'entraîne

(23) *Ibid.*, p 92.

(24) *Ibid.*, p 12

(25) *Ibid.*, p 130

Le désir de se jeter à l'eau⁽²⁰⁾ de l'Argonaute est un mythe universel et partant, atemporel. Il rappelle au lecteur contemporain que le temps ancien rejaillit inexorablement quand bien même l'humanité se focaliserait de manière obsessionnelle sur le progrès. Boutès exprime le mal-être profond que susciterait une époque peu encline à expérimenter l'enchantement par l'art et la musique. Le saut de Boutès est, en réalité, un appel à ce que les lecteurs contemporains franchissent le seuil de la rationalité excessive et de l'obéissance déshumanisante. C'est ainsi que se dessine l'ethos d'un écrivain dissident.

Quignard et Carrère accomplissent un geste de mémoire symbolique : des individus sont hissés au rang d'emblèmes et même de mythes incarnant une altérité radicale. Les récits des deux écrivains présentent une dimension ontologique et critique. Ils se détachent d'une narration qui chante le progrès collectif pour célébrer des quêtes mythiques individuelles.

II. La quête d'un universel indicible

Bien que les voix de Carrère et de Quignard semblent dissonantes, elles déclinent de diverses manières la quête d'une universalité indicible. Le narrateur de *D'autres vies que la mienne* incarne un mal-être qui caractérise une humanité contemporaine déboussolée : « Je pensais que j'allais vieillir seul. »⁽²¹⁾ Non seulement il semble avoir absorbé la couleur d'une époque sous le signe d'un progrès machinal mais il exprime surtout son incapacité à se détacher du réel immédiat. Il est figé dans une « pensée rationnelle » qui empêche son épanouissement et sa focalisation sur des enjeux existentiels majeurs comme la mort ou la vie en société. Néanmoins, les témoignages qu'il a recueillis auprès de la famille de Juliette, d'Etienne et des familles des victimes du tsunami de 2004 le reconnectent au mystère et à la contingence de la vie. Le narrateur consent à ne plus tout contrôler et accepte finalement de vivre « quelque chose à quoi [il] n'avait aucune part. »⁽²²⁾ Il s'identifie de plus en plus à Etienne qui critique un monde soumis à un schématisme réducteur :

Pour expliquer sa vocation, Étienne dit trois choses. Qu'il aimait l'idée,

(20) Il s'agit du titre d'un essai où Pascal Quignard commente le mythe de Boutès.

(21) Emmanuel Carrère, *D'autres vies que la mienne*, op.cit., p. 2.

(22) *Ibid.*, p. 3.

des espèces d'applications aux personnes que nous connaissons ou que nous avons connues, aux événements, aux circonstances, aux intrigues que nous avons vécues, ou que nous avons déjà lues, ou que nous nous sommes souhaitées.⁽¹⁶⁾

Le mythe de Boutès⁽¹⁷⁾ contrevient quelque peu au schème classique de la reconnaissance. Il s'inscrit en porte-à-faux avec ce que les « anciens Grecs [définissaient par] reconnaître ce qu'on attend », à savoir « *anagignôskô* »⁽¹⁸⁾. Sa plongée en pleine mer échappe à une lecture conventionnelle. Il incarne une altérité radicale. Il renonce délibérément à la vie pour s'abandonner à la voix ensorcelante des sirènes. Boutès est, en ce sens, un personnage qu'il est difficile d'apparenter à des figures mythiques connues. À travers le personnage de l'Argonaute, Quignard recourt à une énonciation oblique : l'auteur interpelle le lecteur contemporain en le confrontant à un individu qui refuse toute compromission au péril de sa vie. Ce protagoniste incarne le rejet de la doxa. Son plongeon au cœur de la Méditerranée annonce un retour sous forme de vagues répétitives d'un temps et d'un schéma cycliques : un individu conscient de son authenticité défie une collectivité attachée à un mode de fonctionnement rigide. Quignard se présente d'ailleurs comme le double de Boutès :

La dissidence figurée dans Boutès comme le plongeon dans la mort, sans fond, la tête la première, dans la douleur, dans l'inconnu, et surtout dans la perte du nom, du soi, devant la condition même de la création. C'est dans cette perspective que le chapitre final de Boutès rejoint le premier, et encore plus radicalement, rejoint la "légende" : "Seul Boutès sauta." C'est une formule à double dissidence, car doublement exclusive : seul Boutès d'une part et le saut de l'autre. La voix de la dissidence faite acte est l'acte sans retour.⁽¹⁹⁾

(16) Pascal Quignard, *Petits traités II*, Paris, Gallimard, coll. « Folio », No. 2977, 2002, p. 67

(17) « Bu- tès, Argonaute, fils de Télôn, I, 85, ou de Téléonte et de Zeuxippe, II, 159 ; se jette dans la mer, et est enlevé par Vénus, I, 103 ; père d'Eryx, II, 283. » (Apollodore l'Athénien, *Bibliothèque d'Apollodore, Tome premier*, traduction d'E. Clavier, Paris, Delance et Lesueur, 1805, p. 27)

(18) Pascal Quignard, *Vie secrète (1998)*, (*Dernier Royaume, Tome VIII*), Paris, Gallimard, coll. « Folio », No. 3292, Paris, 2013, p. 149

(19) Veronica Galindez, « Boutès » in *Dictionnaire sauvage de Pascal Quignard*, Calle-Gruber, Mireille, (dir.), Paris, Hermann, Paris, 2016, p. 83.

recréée par un retour aux sources. Et la “source” par excellence est le jaillissement prodigieux d’énergie, de vie et de fertilité qui a eu lieu lors de la Création du Monde. ⁽¹¹⁾

En devenant « passeur d’histoires », le narrateur abandonne le « je » égocentrique pour un « nous » plein d’empathie. Il n’est nullement question d’un « nous » qui efface le malheur des autres mais d’un « nous » archaïque car issu d’une communauté de gens solidaires dans le malheur. Le cancer d’Etienne n’est plus le mal incurable du siècle mais une « partie de lui, un ennemi intime »⁽¹²⁾ à l’instar des maux consubstantiels aux personnages tragiques de l’antiquité. C’est une manière d’investir le monde et d’en « habiter tous les étages de la cave au grenier »⁽¹³⁾. L’histoire d’Etienne peut être érigée en tant que mythe selon la théorie de Mircea Eliade pour qui « les mythes révèlent que le Monde, l’homme et la vie ont une origine et une histoire surnaturelle, et que cette histoire est significative, précieuse et exemplaire. »⁽¹⁴⁾ Les malheurs auxquels s’identifient le narrateur recèlent d’ailleurs une dimension ésotérique parce qu’ils s’inscrivent dans une « tradition sacrée, révélation primordiale, modèle exemplaire »⁽¹⁵⁾. Carrère ne se contente pas de raconter des histoires, il accorde aux personnages représentés un poids scénique qui convoque un tragique atemporel et immanent à l’homme. L’auteur s’adonne à une *anagnosis* mythique en se reconnaissant dans les personnages qu’il raconte : le tsunami de 2004 ainsi que la maladie de Juliette invitent le personnage-narrateur-romancier à fictionnaliser des vies qui deviennent siennes. Chaque protagoniste est assimilable à un livre authentique à découvrir. La posture du narrateur qu’il expérimente n’est pas sans rappeler la définition que donne Pascal Quignard de la lecture dans *Les Petits traités* :

Anagnosis est le mot grec qui désigne l’opération de lire. Ce mot ancien exprime la lecture comme “reconnaissance”. [...] Elle permettrait de faire

(11) Mircea Eliade, *Aspects du mythe*, Paris, Gallimard, « Idées », 1963, pp. 43-44.

(12) Emmanuel Carrère, *D’autres vies que la mienne*, op.cit., p. 205.

(13) *Idem*.

(14) Mircea Eliade, *Aspects du mythe*, op.cit., p. 31.

(15) *Ibid.*, p 9

au gré de rencontres marquantes et révélatrices que mythifie l'auteur. La restitution fictionnelle des récits d'Etienne met en perspective une opposition fondamentale entre deux manières d'affronter les épreuves de la vie :

La première façon de penser est rationnelle, la seconde est magique. On peut soutenir que devenir adulte, à quoi est supposé aider la psychanalyse, c'est abandonner la pensée magique pour la pensée rationnelle, mais on peut soutenir aussi qu'il ne faut rien abandonner, que ce qui est vrai à un étage de l'esprit ne l'est pas à l'autre et qu'il faut habiter tous les étages, de la cave au grenier. J'ai l'impression que c'est ce que fait Étienne.⁽⁹⁾

Cet enseignement et cette distinction s'appliqueraient à tous les personnages du roman de Carrère. Le narrateur réfléchit d'abord rationnellement dans l'incipit à « sa propre impuissance à aimer Hélène »⁽¹⁰⁾ en se montrant clairement indifférent vis-à-vis du malheur de sa belle-sœur, Juliette, atteinte d'une maladie incurable ; il devient ensuite profondément empathique suite à une césure décisive qui va ébranler son existence, le tsunami de 2004. Il change, dès lors, totalement de posture : son rejet de l'autre cède la place à une ouverture totale sur la souffrance sous ses différentes formes : la maladie, la solitude, la perte tragique d'un être cher, etc. Les malheurs du narrateur s'avèrent seulement circonstanciels et attachés à un contexte dépassable ; les mésaventures tragiques de Juliette, d'Etienne et des victimes du tsunami de 2004 présentent, quant à elles, une dimension tragique et ontologique. Elles suspendent littéralement le temps linéaire et rappellent l'inéluctabilité de la mort. Le sentiment de finitude développe chez le personnage-narrateur une empathie qui le relie au versant mythique de l'humanité. Dans sa vulnérabilité et sa fragilité, l'homme est capable de concevoir pour lui-même une manière d'être mythique. Le personnage-narrateur de *D'autres vies que la mienne* expérimente une empathie quasi archaïque en s'attachant à une communauté de malheureuses et de malheureux dont il cherche à immortaliser le passage. La trace fictionnelle et scripturale qu'il laisse d'Etienne et de Juliette rappelle la pertinence du point de vue de Mircea Eliade :

On a l'impression que, pour les sociétés archaïques,
la vie ne peut pas être *réparée*, mais seulement

(9) *Ibid.*, p. 205.

(10) *Ibid.*, p. 2

que le roman de Carrère serait une métaphore agissante sur le temps alors que l'essai de Quignard serait la caisse de résonance d'un cri de révolte contre un rationalisme radical et étouffant. La dialectique à l'œuvre dans *Boutès et D'autres vies que la mienne* se résume ainsi à deux pôles constitutifs d'un axe herméneutique majeur : le retour d'un temps circulaire vs le recul de l'idée de progrès. Il est légitime pour le lecteur contemporain de voir s'il est question d'une relation de complémentarité ou d'une opposition radicale entre ces deux orientations. Pour ce faire, nous tenterons d'abord de comprendre une altérité contemporaine au croisement du mythe et du progrès pour interroger, ensuite, la volonté des deux auteurs d'atteindre un universel indicible. Enfin, nous assimilerons la prégnance du temps cyclique à l'émergence d'une musicalité invisible à définir.

I. Une altérité contemporaine au croisement du mythe et du progrès

Le concept d'altérité est central dans les deux œuvres aux niveaux intradiégétique et extradiégétique. Les deux œuvres sont représentatives d'une mutation sociale et d'un bouleversement philosophique en cours. Elles donnent lieu à un moi disséminé sur plusieurs personnages. Emmanuel Carrère, en tant que narrateur, se veut « homo narrans, celui qui raconte »⁽⁶⁾ la vie d'autrui en s'évertuant à se l'approprier. À titre d'exemple, il s'intéresse au profil psychologique du « juge unijambiste »⁽⁷⁾, Etienne, avec lequel il fait totalement corps :

Cette phrase m'a alerté, cette phrase et sa façon de la dire. Il y avait une fierté incroyable, quelque chose d'inquiet et de joyeux à la fois. Je reconnaissais cette inquiétude, je reconnais ceux qu'elle habite de dos, dans une foule, dans le noir, ce sont mes frères, mais la joie qui s'y mêlait m'a pris au dépourvu.⁽⁸⁾

Le narrateur s'identifie à Etienne. Il se laisse pénétrer par ses sentiments dans l'optique de ressusciter une posture qui implique le retour d'un temps en apparence révolu mais qui remonte à la surface

(6) Jean-Loïc Le Quellec (Entretien), « On reconnaît comme mythe la vérité des autres » in *Le Monde Hors-série, L'Histoire des mythes fondateurs. Voyage dans l'imaginaire de l'humanité*, collection « La Vie », Paris, 2022, p. 8

(7) Emmanuel Carrère, *D'autres vies que la mienne*, op.cit., p. 78.

(8) *Idem*.

ontologique ; les Lumières promeuvent le bonheur et la tolérance comme valeurs suprêmes ; les XIX^e et XX^e siècles érigent la révolution industrielle et le progrès scientifique comme véritables moteurs de progrès. Cependant, les deux guerres mondiales du siècle dernier ont considérablement remis en question l'idéologie d'un progrès qui serait synonyme de bonheur absolu. Les massacres et les génocides qui ont caractérisé la seconde guerre mondiale ont fait naître un sentiment de perte à l'origine d'une défiance totale à l'égard de l'humanisme faisant dire à Quignard sur un ton ironique et péremptoire : « La nature de l'homme ne s'est pas du tout d'un coup avilie, ni s'est si soudain empirée. / Jusque-là, jusqu'à la Grande Terreur, jusqu'en 1871, jusqu'à la fin de 1913, flottaient encore des songeries rougeâtres ou rosâtres qu'on appelait progrès, révolution, humanisme, communisme. »⁽¹⁾ Une violence fondamentale⁽²⁾ refait violemment surface dans un contexte paradoxal, celui d'un progrès technique qui atteint son paroxysme et d'une pulsion de violence terriblement meurtrière. La littérature de l'extrême-contemporain continue de perpétuer l'onde de choc de « la présence insistante et spectrale du XX^e siècle »⁽³⁾. Des auteurs comme Pascal Quignard et Emmanuel Carrère expriment ainsi leur méfiance à l'égard de la foi inébranlable dans l'idéologie du progrès en s'adonnant dans leurs œuvres respectives, *Boutès*⁽⁴⁾ et *D'autres vies que la mienne*⁽⁵⁾, à une réflexion approfondie sur le devenir-humain contemporain. Ils aspirent à suspendre le temps linéaire et continu au profit d'un temps cyclique quasi mythique pour tenter de comprendre ce qui fonde l'humanité de chacun. Si Quignard réhabilite une figure oubliée de la mythologie grecque en la figure du personnage éponyme Boutès, Carrère représente une humanité confrontée à des situations liminaires tragiques. Ce faisant, les deux écrivains expérimentent une étrangeté et une altérité qui vont à l'encontre de l'idéologie du progrès et qui font état d'un retour insistant d'un temps circulaire profondément humain. Nous défendrons, à travers cet article, l'idée

(1) Pascal Quignard, *L'enfant d'Ingolstadt*, Paris Grasset, 2018, p. 131

(2) Jean Bergeret, *La Violence fondamentale. L'inépuisable Œdipe*, Dunod, collection « psychismes », Paris, 2010

(3) Dominique Viart, « Une "récapitulation de l'histoire humaine" » ?, in *Europe, Pascal Quignard*, No. 976-977, Paris, août-septembre, 2010, p 164

(4) Pascal Quignard, *Boutès*, Paris, Galilée, 2008

(5) Emmanuel Carrère, *D'autres vies que la mienne*, Paris, Gallimard, 2017

Une altérité contemporaine sous le signe d'une médiation appesantie sur la condition humaine dans *D'autres vies que la mienne* (Carrère) et *Boutès* (Quignard)

Marouene Souab

ATTC, Université de La Manouba

Résumé :

Dans leurs œuvres respectives *D'autres vies que la mienne* et *Boutès*, Emmanuel Carrère et Pascal Quignard associent le retour du temps cyclique au surgissement d'une altérité radicale qui s'inscrit en porte-à-faux avec l'idée de progrès et les valeurs communautaires dominantes.

Mots-clés : altérité, détachement, musique, mythe, progrès, récit, temps

Abstract :

In their respective books *Other Lives Than Mine* and *Boutès*, Emmanuel Carrère and Pascal Quignard associate the return of cyclical time with the emergence of a radical otherness which is at odds with the idea of progress and the dominant community values.

Keywords: otherness, detachment, music, myth, progress, story, time

Introduction

L'idée de progrès a été au cœur du système de pensée occidentale depuis la révolution copernicienne du XVI^e siècle. La transition de l'héliocentrisme vers l'anthropocentrisme s'accompagne d'un bouleversement épistémologique majeur : l'homme se détache progressivement de la tradition pour vouer un véritable culte à la raison. L'idéologie progressiste se construit ainsi sur des strates : l'humanisme replace le bien-être humain au centre de toute réflexion ; le cartésianisme fait du doute un outil d'investigation

- ———. *Temps et récit*. 3 vol. Paris : Seuil, 1983.
- Richard, Jean-Pierre. *Onze études sur la poésie moderne*. Paris : Seuil, 1964.
- Rousset, Jean. *Forme et signification : Essais sur les structures littéraires*. Paris : José Corti, 1962.
- Saigh Boustia, Rachida. *Lecture des récits de Tahar Ben Jelloun : Écriture, mémoire, imaginaire*. Casablanca : Afrique-Orient, 1999.
- Tenkoul, Abderrahman. *La littérature marocaine d'écriture française : Réception critique et système scriptural*. Rabat : SMER, 1993.
- ***Auteurs maghrébins étudiés***
- Bachi, Salim. *Dieu, Allah, moi et les autres*. Paris : Gallimard, 2017.
- Ben Jelloun, Tahar. *L'Enfant de sable*. Paris : Seuil, 1985.
- ———. *La Nuit sacrée*. Paris : Seuil, 1987.
- Chraïbi, Driss. *Le Passé simple*. Paris : Seuil, 1954.
- ———. *Une place au soleil*. Paris : Denoël, 1993.
- ———. *La Nuit sacrée*. Paris : Seuil, 1987.
- ———. *La Nuit de l'erreur*. Paris : Seuil, 1996.
- Daoud, Kamel. *Meursault, contre-enquête*. Arles : Actes Sud, 2014.
- Dib, Mohammed. *La Grande maison*. Paris : Seuil, 1952.
- El-Alamy, Youssef Amine. *Les Clandestins*. Casablanca : Eddif, 2000.
- Feraoun, Mouloud. *Le Fils du pauvre*. Paris : Seuil, 1950.
- Ghorbel, Wafa. *Le Jasmin noir*. Tunis : MTL, 2019.
- Harmel, Mohamed. *Siqal, l'ancre de l'ogresse*. Tunis : Déméter, 2023.
- Khair-Eddine, Mohammed. *Agadir*. Paris : Seuil, 1967.
- Kateb, Yacine. *Nedjma*. Paris : Seuil, 1956.
- ———. *L'Œuvre en fragments : Inédits littéraires et textes retrouvés*. Paris : Sindbad, 1986.
- ———. *Le Poète comme un boxeur*. Paris : Seuil, 1994.
- Laâbi, Abdellatif. *Le Fond de la jarre*. Paris : Gallimard, 2002.
- Manai, Yamen. *L'Amas ardent*. Tunis : Elyzad, 2017.
- Mosteghanemi, Ahlem. *Mémoires de la chair*. Alger : ENAG, 1993.

Références bibliographiques :

Ouvrages théoriques et critiques

- Arnaud, Jacqueline. *Littératures francophones et décolonisation*. Paris : L'Harmattan, 1986.
- Bachelard, Gaston. *La Poétique de l'espace*. Paris : Presses Universitaires de France, 1957.
- ———. *La Poétique de la rêverie*. Paris : Presses Universitaires de France, 1960.
- Barthes, Roland. *Le Plaisir du texte*. Paris : Seuil, 1973.
- ———. *Le Bruissement de la langue*. Paris : Seuil, coll. « Tel Quel », 1984.
- Derrida, Jacques. *L'Écriture et la différence*. Paris : Seuil, 1967.
- Glissant, Édouard. *Poétique de la Relation*. Paris : Gallimard, 1990.
- ———. *Traité du Tout-Monde*. Paris : Gallimard, 1997.
- Gontard, Marc. *La violence du texte*. Paris : L'Harmattan, 1979.
- ———. *Mythe et fiction dans la littérature maghrébine*. Paris : L'Harmattan, 1996.
- ———. *Le Moi étrange : Littérature marocaine de langue française*. Paris : L'Harmattan, 1993.
- Jauss, Hans Robert. *Pour une esthétique de la réception*. Paris : Gallimard, 1978.
- Khatibi, Abdelkébir. *La Blessure du nom propre*. Paris : Denoël, 1974.
- ———. *Maghreb pluriel*. Paris/Rabat : Denoël–SMER, 1983.
- ———. *Le Livre du sang*. Paris : La Différence, coll. « Orphée », 1993.
- ———. *L'œuvre de Abdelkébir Khatibi : Préliminaires*. Rabat : Marsam, 1997.
- Laâbi, Abdellatif. *La Brûlure des interrogations*. Entretiens avec Jacques Alessandra. Paris : L'Harmattan, 1985.
- Moura, Jean-Marc. *Littératures francophones et théorie postcoloniale*. Paris : Presses Universitaires de France, 1999.
- Redouane, Najib, et Yvette Bénayoun-Szmidt. *Singularité et pluralité de la francophonie littéraire du Maghreb*. Paris : L'Harmattan, 2017.
- Redouane, Najib. *Littérature francophone du Maghreb : diversité des écritures et enjeux identitaires*. Casablanca : Afrique-Orient, 2000.
- Ricœur, Paul. *Du texte à l'action, Essais d'herméneutique II*, Paris : Seuil, 1986.

2. Une liberté farouchement défendue

Chez l'un comme chez l'autre, le choix du français est pleinement assumé comme espace de liberté. Cette langue permet de dire ce que d'autres langues ne permettent pas encore de formuler ; elle ouvre un champ d'expérimentation et de subversion. Dans cette langue « de l'autre », ces écrivains taillent un territoire propre. Le « je » se dit sans masque. Le sacré est remis en question. Le corps et la mémoire sont pensés à contre-courant. En cela, ils appartiennent à une lignée d'écrivains qui refusent l'assujettissement culturel et qui revendiquent le droit à la complexité. Ils prétendent parler depuis une subjectivité fracturée et lucide. Leurs récits divisent et dérangent. Cette littérature du déséquilibre, veut au contraire maintenir ouverte la plaie du sens pour que puisse s'y engouffrer une parole véritablement libre et plurielle.

Conclusion : une ambivalence féconde

Le roman maghrébin se caractérise par une ambivalence qui lui confère une aura singulière sur la scène internationale. Il revendique, à travers des voix algériennes contemporaines, le droit à la contestation et à la provocation, tandis que la littérature tunisienne affirme pour sa part une transition esthétique qu'elle donne à voir à travers des textes voyageurs. La littérature marocaine tente, quant à elle, de s'affranchir d'un discours critique pesant en vue de réconcilier le lecteur avec une vision du monde qui prône l'ouverture sur autrui et la réconciliation avec le désir. Plus largement, en s'appropriant la langue française, les écrivains maghrébins en font un lieu d'expérimentation esthétique (de nouvelles formes de dire) et ontologique (façonnement de l'homme maghrébin contemporain). Le roman maghrébin se nourrit d'une posture résolument libertaire elle-même caisse de résonance des conflits et des tensions qui agitent le Maghreb contemporain.

à la fois linguistique, géographique, symbolique et générique. En ce sens, ils se font « clairvoyants critiques » pour révéler les lignes de faille et les fractures du présent. Leur écriture, nomade et transgressive, participe d'une géopolitique littéraire qui permet à la fiction de devenir un espace de reconfiguration du réel capable de réinventer les formes et de remettre en jeu les hiérarchies culturelles et linguistiques établies.

IV. Une littérature algérienne en fracture : vers une poétique du blasphème et de l'écart

1. Une littérature provocatrice

La littérature algérienne francophone contemporaine, portée par des voix singulières comme Kamel Daoud et Salim Bachi, s'inscrit dans une logique de confrontation esthétique, spirituelle et idéologique. À l'image de leurs œuvres *Meursault, contre-enquête* et *Dieu, Allah, moi et les autres*, cette littérature interroge les dogmes et les mythes fondateurs au prix d'un geste souvent perçu comme transgressif, voire blasphématoire. Ces œuvres se déplacent dans les interstices, entre sacré et profane, entre Algérie et Europe, entre langue française et mémoire arabe. Elles incarnent une forme de poétique de l'écart. L'écrivain a le statut d'un sismographe des tensions sociales et identitaires. Ces deux écrivains incarnent avec force cette écriture de la rupture. L'un interroge frontalement les figures religieuses, démythifie les récits fondateurs, et donne la parole à des personnages qui osent blasphémer pour mieux penser. Dans son œuvre, le sacré est fiction, le prophète est personnage et l'interdit est moteur d'écriture. Ce choix relève d'un geste littéraire lucide qui libère la parole et redonne au texte sa fonction d'émancipation. L'autre, quant à lui, choisit une voie plus indirecte et plus ironique. Il interroge l'héritage colonial à travers une relecture d'un texte canonique qui renverse la perspective pour redonner voix à celui qui fut tu. Son écriture se nourrit du silence imposé, de la marginalisation symbolique, et en tire une puissance neuve. L'acte d'écrire est un geste de désappropriation du récit dominant et du langage et de l'identité figés. C'est dans le doute et le refus des postures simplistes que cette parole s'installe.

Arnaud, pour qui la langue française, dans les sociétés colonisées, peut paradoxalement devenir cri de contestation et de liberté. Chez Ghorbel, l'écriture ouvre des ponts entre le passé traumatique et la projection d'un devenir affranchi, en travaillant la « trace-mémoire », cette empreinte vive qui a la puissance de convertir la blessure en force de création.

Chez Moha Harmel, l'écriture s'élabore à la croisée du vital et du légendaire, dans un espace contaminé par l'imbrication du réel et de l'imaginaire. Le geste scriptural est à la fois survivance, et réparation. L'écrire naît d'un engagement intime, à la fois lucide et tragique, fondé sur la conviction que l'écriture constitue le seul lieu possible de coïncidence entre le travail et la mémoire. Si, dans son livre réflexif sur la condition de l'auteur, Harmel évoque l'impossibilité de tenir cette promesse, faute de temps et d'un « reste » pour écrire, il n'en demeure pas moins que cette tension nourrit la puissance existentielle de son écriture, perçue comme un ultime lieu d'authenticité. C'est cette même vision qui irrigue *Sigal, l'ancre de l'ogresse*. L'auteur affirme que son désir d'écrire prend racine dans la parole vive de sa grand-mère, analphabète mais détentrice d'un savoir-mythos transmis dans la chaleur de la narration. L'écriture chez Harmel est un héritage spectral et en même temps une reconquête d'un territoire imaginaire habité par les figures de la révolte. Harmel fait de l'acte d'écrire un pont entre l'histoire intime et la parole collective, entre le silence imposé et la parole reconquise.

2. Brouiller les frontières

Ce qui relie ces trois auteurs est moins une thématique partagée qu'une volonté commune de désorganiser les représentations figées et de s'inscrire dans une esthétique de la rupture. Leurs textes opèrent un glissement de la littérature nationale vers une littérature du franchissement. Manai, Ghorbel et Harmel dans cette perspective, participent d'un geste de reterritorialisation. Ils redonnent voix et présence à des subjectivités longtemps invisibilisées. La littérature tunisienne francophone contemporaine s'aligne avec la notion de « littérature-monde ». Le français y est désancré de la France. Il est langue plurielle et éclatée. Leurs romans incarnent ce mouvement de d'hybridation. Ces écrivains élaborent une poétique du déplacement,

Moha Harmel s'inscrit dans une logique de transition esthétique qui reconsidère les fondements de la modernité littéraire maghrébine. Ces œuvres échappent aux catégories traditionnelles d'une littérature strictement nationale et incarnent ce que Lise Gauvin qualifie de « texte-voyageur⁽²⁸⁾ », un texte marqué par la migration des formes et des langues. Cette mobilité textuelle s'enracine dans une double orientation : d'une part, un contexte historique et politique façonné par la révolution (sociale et esthétique), l'exil (extérieur ou intérieur), et d'autre part, un projet de refondation narrative, dans lequel les écrivains cherchent à reconfigurer le réel par l'imaginaire. Cette logique rejoint l'idée d'une littérature qui refuse l'assignation culturelle ou nationale et qui inscrit la langue française dans un processus de réappropriation, comme le souligne Najib Redouane :

écrire en français, c'est trahir son peuple, sa culture et son histoire. Écrire en français, c'est mériter la marginalisation et l'exclusion totale⁽²⁹⁾.

Nous notons aussi que l'œuvre de Yamen Manai s'inscrit dans une veine plus politique et allégorique. *L'Amas ardent* mobilise les codes de la fable et du conte pour transposer les violences contemporaines, notamment l'obscurantisme religieux, dans un univers hybride, entre ruche et village. L'apiculteur, figure centrale du roman, symbolise l'intellectuel éclairé confronté à l'opacité fanatique. L'écriture de Manai, polyphonique et intertextuelle, déjoue les cadres de la linéarité réaliste pour produire un texte-friction qui fait de la satire un outil de résistance idéologique.

En contrepoint, chez Wafa Ghorbel, cette tension trouve écho dans une écriture nomade. Le corps féminin est à la fois territoire de souffrance et surface d'inscription mémorielle. Dans *Le Jasmin noir*, la protagoniste, dépossédée de son corps et de sa voix, traverse un espace symbolique fragmenté. La quête de soi se double d'un exil aussi bien intérieur qu'extérieur. Le français, loin d'être une langue neutre, se présente comme espace de reconquête au milieu duquel se jouent à la fois la douleur intime et l'émancipation critique. Cette posture rejoint la conception postcoloniale de Jacqueline

(28) Lise Gauvin, *Littératures francophones*, Paris, Puf, 2007.

(29) Najib Redouane et Yvette Bénayoun-Szmidt, *Singularité et pluralité de la francophonie littéraire du Maghreb*, Paris, L'Harmattan, 2017, p. 18.

surgissement intérieur, capable de catalyser une vérité intime. Dans cette perspective, l'écriture romanesque s'ancre dans la matière de l'imaginaire et se constitue comme une texture du réel réinventé.

Marc Gontard avance l'hypothèse d'un saut vers une vision mystique. Il fait de l'écriture un vecteur de transcendance. Cette lecture religieuse pourrait, selon lui, réconcilier l'œuvre avec une esthétique de la modernité. Il considère que cette mystique narrative affaiblit la portée subversive de l'écriture : « Ce dénouement, dans sa forme symbolique, permet le retour du religieux, qui vient casser la force subversive du texte⁽²⁶⁾ » Aussi opérant soit-il, le structuralisme gontardien révèle ses limites dès lors qu'il néglige les strates sociales et symboliques de l'écriture. À ce titre, les approches de Derrida, de Barthes ou encore de Khatibi apportent un souffle nouveau. Khatibi, par exemple, insiste sur la « jubilation scripturale⁽²⁷⁾ » comme lieu de dispersion du sens et d'ouverture à l'altérité. Barthes, de son côté, célèbre le « plaisir du texte » comme moment d'érotisme sémiotique. Le lecteur devient co-créateur du sens. Le roman maghrébin est lieu d'une synthèse vivante entre la vie et la poésie, une matrice qui offre à l'imaginaire la promesse de s'éprouver et de s'écrire. Pour Kateb Yacine, le roman est une errance fondatrice qui nomme l'indicible et qui tente moins de représenter un réel figé que de créer un monde poétique et politique. Nommer, pour l'écrivain maghrébin, est un acte de résistance. Ce roman ne se contente pas de décrire ; il engendre un espace de potentialité, de promesse, sous forme d'un « projet itinérant » au sein duquel le critique « serre la main » à la création.

III. Une littérature tunisienne en mouvement : vers une poétique des textes-voyageurs

1. Une transition esthétique en acte

La littérature tunisienne francophone contemporaine, à travers des figures emblématiques comme Yamen Manai, Wafa Ghorbel et

(26) Marc Gontard, *Le Moi étrange, Littérature marocaine de langue française*, Paris, L'Harmattan, 1993, p.46.

(27) Abdelkebir Khatibi, *L'Œuvre de Abdelkébir Khatibi, Préliminaire*, Rabat, Marsam, 1997, p.142.

Dans *La Nuit sacrée*, Gontard observe que « quatre narrateurs entreprennent de raconter huit histoires et douze personnages ». Il note que l'intrigue est délibérément labyrinthique et souligne que le dispositif formel symbolise le trouble identitaire du personnage principal, Ahmed-Zahra, dont la bisexualité est une métaphore du bilinguisme et de l'exil culturel. Il précise que l'androgynie joue avec les normes et déconstruit la linéarité du récit tout en perturbant l'économie du genre tant littéraire que sexué. Ce jeu narratif, dans lequel l'écriture se fragmente et se dédouble, installe une alternance permanente entre dire et taire, entre figurer et effacer : « Je vis des deux côtés du miroir⁽²¹⁾ ». L'impossibilité de se fixer dans une identité unique traduit l'intranquillité ontologique d'un sujet en devenir. La lecture qu'en fait Tenkoul, plus sémiotique que symbolique, déplace le centre de gravité critique. L'androgynie est une matrice structurante de la narration. Il écrit dans ce sens: « l'analyse de l'androgynie porte sur le rôle stratégique qu'occupe ce mythe dans la construction d'une écriture, ainsi que dans la production d'un certain effet de sens⁽²²⁾ ». Pour Abdellatif Laâbi, l'absence d'une approche psychanalytique est regrettable :

Je regrette vivement que l'approche psychanalytique soit quasi absente de la pratique critique du Maroc [...] Et que dire de l'absence d'une méthode aussi féconde que l'approche bachelardienne ?⁽²³⁾

Cette remarque témoigne de l'urgence à renouveler les outils critiques en intégrant les apports de l'imaginaire et de la symbolique, chers à Gaston Bachelard⁽²⁴⁾, pour qui l'image poétique est toujours une retombée phénoménologique d'une expérience intime et sensible du monde. Jean-Pierre Richard converge vers cette perspective herméneutique lorsqu'il conçoit la lecture comme un « dévoilement progressif d'un sens⁽²⁵⁾ », processus graduel qui permet au texte de se révéler par strates successives. Bachelard ajoute que l'image peut « retentir phénoménologiquement », c'est-à-dire devenir le lieu d'un

(21) Driss Chraïbi, *La Nuit sacrée*, Paris, Seuil, 1983, p.57.

(22) Marc Gontard, *Mythe et fiction dans la littérature maghrébine*, Paris, L'Harmattan, 1996, p.71.

(23) Abdellatif Laâbi, *La Brûlure des interrogations*, Entretiens réalisés par Jacques Alessandra, Paris, L'Harmattan, 1985, p. 67.

(24) Gaston Bachelard, *La Poétique de l'espace*, Paris, PUF, 1957.

(25) Jean-Pierre Richard, *Onze études sur la poésie moderne*. Paris, Seuil, 1964.

mots dans l'ivresse de nominations nouvelles, jusqu'à la phraséologie hermétique, ne débouche pas forcément sur une critique littéraire pertinente qui apporte quelque chose de nouveau⁽¹⁷⁾ ». Il ne suffit pas de théoriser à plaisir dans l'abstraction pour produire un savoir opérant sur le texte littéraire.

3. La réconciliation avec le désir

Le texte ne se limite pas à un simple espace interprétatif : il fonctionne comme une machine à réactiver le désir. Dans cette perspective, les romans de Ben Jelloun se présentent comme les expressions d'un désir littéraire inextricablement lié à la production symbolique. Cette dimension désirante que l'on retrouve dans *L'Enfant de sable* convoque une réflexion psychanalytique sur la construction des figures, en particulier celle de l'androgynie, lieu d'une altérité troublante. Rachida Bousta⁽¹⁸⁾ propose une lecture sémiotique de ces récits et tend à réduire la portée du symbole en le rabattant sur le signe. Ce dernier perd la polysémie fertile de l'image littéraire. Les analyses de Abderrahman Tenkoul viennent nuancer cette approche. Selon lui, « la critique maghrébine a plus de chances d'accéder à l'ouverture en penchant du côté des analyses textuelles qu'en demeurant enfermée dans des approches externes⁽¹⁹⁾ ». Il défend une lecture sémiotique inspirée de la théorie de la réception et centrée sur la dynamique du sens au sein même de la textualité. L'androgynie incarne une figure stratégique dans la construction narrative et dans l'émergence d'un sens multiple. Dans *L'Enfant de sable*, le principe de « l'un-en-deux » bouleverse les normes sociales et traverse les frontières de l'identité dans un espace d'errance et de flou. Le nom apparaît comme un espace symbolique central. Lorsque le personnage déclare à Yamna: « Tu peux me nommer selon le rythme des saisons »⁽²⁰⁾, l'acte de nommer prend valeur de création identitaire. Ce travestissement onomastique opère comme une métaphore de l'être postmoderne, figure traversée par la complexité des différentes instances du moi.

(17) Salah Ksikes, *Figures du discours critique au Maroc*, 2002, p. 117.

(18) Rachida Saigh Bousta, *Lecture des récits de Tahar Ben Jelloun*, Afrique Orient, Casablanca, 1999.

(19) Abderrahman Tenkoul, *La littérature marocaine d'écriture française*, 1993, p. 45.

(20) Driss Chraïbi, *La Nuit de l'erreur*, Paris, Seuil, 1996, p.134.

toute compréhension implique une reconfiguration du sens, une relecture active fondée sur une négociation constante entre le texte et le lecteur. Driss Chraïbi, figure emblématique du roman marocain, revendique lui aussi cette posture en affirmant l'urgence de déjouer une littérature maghrébine continuellement rabattue sur des lectures réductrices : « Oui, le temps n'est-il pas venu en effet de dérouter, de faire dérailler vers d'autres voies cette littérature dite maghrébine dont je suis l'ancêtre en quelque sorte ?⁽¹⁶⁾ » Chraïbi porte l'exigence d'une mise en crise des cadres critiques traditionnels. Il appelle à une pensée qui se décentre au contact de l'œuvre et ouvre la voie à une critique poétique, erratique, traversée le relationnel selon une logique plus proche de l'agencement que de la structure, plus ouverte aux devenirs qu'aux taxinomies. La critique littéraire procède d'un inachèvement fécond et maintient ouvertes les lignes de sens. Elle relève d'une expérience subjective de lecture, d'une immersion dans un texte-vivant porté par un espace psychoculturel et une mémoire partagée. En cela, appréhender le roman marocain à travers des catégories figées revient à en réduire la portée symbolique, à en effacer la structuration interne et les multiples résonances.

Il appartient dès lors aux écrivains de changer la littérature, comme il revient aux critiques de transformer la critique. L'infini savoir, réside à notre sens, dans sa capacité à se renouveler, à explorer les zones d'ombre et de mystère du texte. Autrement dit, la critique véritable est une remise en question incessante. D'ailleurs, les critiques consacrées aux œuvres de Tahar Ben Jelloun adoptent le plus souvent une orientation thématique et linguistique et soulignent leur caractère profondément subversif. Les figures du fou, de l'immigré et de la prostituée, récurrentes dans ses récits, apparaissent alors comme des figures d'interface, vecteurs d'un discours critique sur une société soumise à l'autorité de l'interdit, du non-dit et de la marginalisation. Dans cette optique, l'écriture prend en charge la dénonciation de l'ordre établi. Cependant, il semble qu'une telle approche omet certains aspects cruciaux de l'œuvre, notamment la complexité de ses pratiques scripturales ainsi que la profondeur symbolique de son imaginaire fictionnel. Comme l'a souligné le dramaturge marocain Salah Ksikes, « se gargariser de

(16) Driss Chraïbi, *Une place au soleil*, Paris, Denoël, 1993, p. 9.

à la violence, au conflit, à la révolte, etc. Cette lecture se rattache à la catégorie de « l'analyse interférente » telle que la définissait Jean Rousset⁽¹²⁾. Cette méthode brouille l'intérieur de l'œuvre en réduisant sa portée symbolique et en proposant une mono-lecture souvent définitive du texte. Ce formalisme hermétique érige l'analyse textuelle en système clos et postule que le sens émerge exclusivement de la structuration interne du texte, et non de son dialogue avec le monde. Gontard suggère l'existence d'une méthode prétendument autonome et affranchie des contextes de production comme de réception. Or, cette autonomie de la méthode masque en réalité une impuissance à penser le symbolique, l'imaginaire, le métaphorique, c'est-à-dire tout ce qui échappe à l'objectivation.

Abdellatif Laâbi, poète et critique marocain, s'élève contre la violence méthodologique qui enferme, selon lui, les textes dans des grilles de lecture stériles. Il revendique une écriture habitée par l'histoire, la lutte, le corps et la langue dans une volonté de transformation poétique du réel. Dans le même sillage, Abdelkébir Khatibi dénonce ce qu'il appelle l'illusion d'un « infini logique et classificateur⁽¹³⁾ » qui épuise le texte en l'assignant à une catégorie unique. Pour lui, toute œuvre est fondamentalement polygénèse, c'est-à-dire mélange de formes, de signes, de langues et de cultures. La critique de Gontard, si elle a le mérite de proposer une approche systématique, elle ne rend pas compte du projet poétique et politique de nombreux écrivains marocains. Le texte ne se limite pas à une structure ; il est essentiellement souffle, voix, mémoire et création. Khatibi promeut une critique active et dialogique⁽¹⁴⁾, seule à même de dialoguer avec la pluralité de l'œuvre et d'assumer la dimension interprétative et incertaine qui en découle. L'enjeu n'est pas d'être un simple lecteur, mais un critique-créateur, engagé dans une véritable co-création avec le texte.

2. Pour une critique ouverte

Toute critique gagnerait à être interprétation ouverte plutôt qu'explication définitive. Car, comme le souligne Paul Ricoeur⁽¹⁵⁾,

(12) Jean Rousset, *Forme et signification*, Paris, José Corti, 1962.

(13) Abdelkébir Khatibi, *Maghreb pluriel*, Paris, Denoël, 1983. p. 112.

(14) Abdelkébir Khatibi, *La Blessure du nom propre*, Paris, Denoël, 1986.

(15) Paul Ricoeur, *Temps et récit* 3 vol, Paris, Seuil, 1983.

le modèle proposé par Paul Ricoeur⁽¹⁰⁾ et qui autorise chaque lecture postérieure de reconfigurer les lectures antérieures.

La *semiosis* correspond à entreprise collective et évolutive et la critique se transforme en une expérience de lecture, en un acte d'interprétation subjectif et empirique. Chaque lecture produit son propre texte dans une généalogie interprétative qui fait croiser les méthodes et les sensibilités. La subjectivité du lecteur-critique acquiert ainsi une légitimité méthodologique comparable à celle de la sémiotique ou de la narratologie. Cette conception ouverte de la critique rejoint les réflexions de Roland Barthes, pour qui « le texte est un tissu de citations, issues des mille foyers de la culture⁽¹¹⁾ ». Il s'agit de déployer les possibles du texte, d'explorer ses strates et ses voix multiples. Dans cette optique, le roman se donne comme champ d'interprétation dans lequel coexistent les tensions entre mémoire et oubli, entre engagement et imaginaire.

II. Le roman marocain : entre réduction formelle et complexité symbolique

1. La dominance du discours critique

La réception et la valorisation du roman marocain contemporain passent, paradoxalement, par l'intermédiaire du discours critique. Bien qu'elle soit souvent animée par des intentions d'objectivité scientifique, la littérature critique s'appuie sur des cadres méthodologiques prédéfinis (socio-historiques, marxistes ou formalistes) qui tendent à catégoriser la production romanesque au détriment de sa complexité. Ces approches, si elles permettent une description du fait littéraire, ne sauraient en constituer un inventaire exhaustif, car elles réduisent la littérature à une fonction ou à une forme unique, négligeant sa polysémie et son ancrage symbolique. Dans cette perspective, la lecture de Gontard illustre les limites d'une telle approche thématique-formaliste qui analyse la violence selon une logique lexico-paradigmatique. Cette méthode repose sur une lecture isotopique, c'est-à-dire une recherche systématique de champs sémantiques convergents, comme ceux liés

(10) Paul Ricoeur, *Du texte à l'action*, Paris, Seuil, 1986.

(11) Roland Barthes, *Le Bruissement de la langue*, Paris, Seuil 1984, p.65.

3. Le labyrinthe de la critique : entre réduction et ouverture

La réception critique du roman maghrébin n'échappe pas à ce mouvement d'expansion. Certains courants critiques ont tenté de figer l'écriture dans une lecture univoque, parfois réductionniste. Jean Déjeux ou Marc Gontard, figures historiques de la critique francophone, ont souvent interprété cette littérature à travers le prisme unique de la révolte et de la violence. Pour Gontard⁽⁸⁾, la littérature maghrébine serait avant tout lieu de crise et de souffle subversif. Dans son analyse, Il suggère que la création ne peut advenir qu'au prix d'une violence première, condition *sine qua non* de son émergence. Bien que cette lecture repose sur une volonté légitime de dénonciation historique, elle tend à réduire la complexité intrinsèque de la création littéraire. Elle enferme l'écriture dans une logique d'urgence, la fige dans une fonction sociopolitique et néglige ses différentes dimensions symboliques, poétiques, imaginaires et linguistiques. Cette critique, en se focalisant sur la seule fonction contestataire, néglige la dimension esthétique et la richesse des expérimentations formelles.

Pour nous, la « violence » identifiée par Gontard n'est pas tant un processus créatif qu'un pathos collectif interprété en termes de symptôme et non d'œuvre. Sa méthode privilégie les statistiques, les typologies, les grilles formelles et exclue la psychanalyse, l'approche mythocritique, ou encore la poétique de l'imaginaire. Il en résulte une lecture stéréotypée du roman maghrébin, réduite à quelques catégories figées telles que la violence, l'identité, l'engagement politique, etc. Ce schéma critique occulte aussi la polyphonie du texte et sa richesse intertextuelle. Or, comme l'écrit Abdelkébir Khatibi, toute lecture est croisement : « l'interprétation est une tension dans le multiple⁽⁹⁾ ». La critique doit s'ouvrir à la diversité des voix et accepter de ne pas tout déchiffrer. C'est pourquoi toute critique naît d'une autre critique ; elle lui répond et la complète même en la contredisant. Elle entre dans un dialogue herméneutique, selon

(8) Marc Gontard, *La violence du texte* : Paris, L'Harmattan, 1981.

(9) Abdelkébir Khatibi, *Maghreb pluriel*, Paris/Rabat, Denoël-SMER, 1983.

la figure de l'homme « diversel ». C'est cette polyphonie féconde entre passé et présent, entre le centre et la périphérie, qui fonde ce que l'on pourrait appeler une littérature du devenir, une littérature « qui ne cesse de se prouver en se transformant⁽⁶⁾ ». Choisir de ne pas fixer la littérature maghrébine dans un cadre clos, dans un « carré » rigide de l'écriture, relève d'une volonté délibérée de désaliéner le texte. Refuser l'assignation à une littérature « ethnique », « engagée », « subversive » ou « postcoloniale » au sens restreint du terme, met en évidence la liberté intrinsèque de l'acte littéraire. Cette ouverture nous semble fondamentale puisqu'elle définit le texte maghrébin comme un lieu mouvant, jamais clôturé. À travers ce refus du figé, les romanciers du Maghreb s'inscrivent dans un désir d'expansion. Ils adoptent une écriture frontalière qui occupe l'espace de la médiation entre langues et les mémoires. En ce sens, leur démarche répond aux vœux d'Édouard Glissant, qui appelait de ses vœux une « création tout-monde⁽⁷⁾ », c'est-à-dire une littérature affranchie des cloisonnements culturels et nationaux, ouverte à l'imprévisible, au tremblement. L'écriture transcende tout achèvement, tout ancrage trop étroit, pour chercher de nouvelles voies inédites d'appartenance et surtout d'énonciation.

Une nouvelle génération d'écrivains émerge. L'œuvre s'élabore dans une quête formelle constamment renouvelée et le style se conçoit comme un défi lancé vers l'extérieur, une manière d'interpeller les cadres de référence, de déranger les habitudes de lecture. Ce courant littéraire se définit essentiellement par une volonté d'innovation esthétique et d'expérimentation linguistique. Dans cette création s'exprime une liberté inédite qui emprunte les voies de l'errance et du déracinement. Cette création manifeste une puissance de renouvellement. Le roman ne cesse de s'enrichir en thèmes et en genres. Il tisse des liens inattendus entre autofiction, conte, roman historique, enquête postcoloniale, récit mythologique ou écritures de l'intime. La critique qui s'y rattache est hybride et entre dans un labyrinthe interprétatif.

(6) Abdelkebir Khatibi, *Le Livre du sang*, Paris, La Différence, coll. « Orphée », 1993, p.63.

(7) Édouard Glissant, *Traité du Tout-Monde*, Paris, Gallimard, 1997, p.26.

Ce jeu d'échos engendre une trilogie mouvante chez les auteurs contemporains. Youssef El-alamy revendique l'héritage de Dib, qui lui-même écrivait en réponse à Camus ; Wafa Ghorbel tisse ses textes autour de Bataille, Colette et Marguerite Duras ; Salim Bachi puise chez Flaubert et Faulkner tout en faisant vibrer la voix de Kateb Yacine ; quant à Kamel Daoud, il revisite Albert Camus (*Meursault, contre-enquête*), convoque Jules Verne et Michel Tournier et crée un univers à travers lequel la littérature se fait miroir et réécriture. Comme le note Jean-Marc Moura⁽⁵⁾, cette structuration intertextuelle est constitutive des littératures francophones postcoloniales. Elle fonctionne souvent comme des « palimpsestes » et superpose les voix et les mémoires. Dans cette perspective, le lecteur se trouve face à un réseau d'échos. Les romans se transforment en laboratoires de création, en champs d'expérimentation. L'histoire, le style, la mémoire et les luttes. S'y croisent joyeusement. D'ailleurs, la recommandation d'André Breton de « lire autrement » s'impose comme manifeste. Il faut lire en profondeur et en stratification.

2. Un ébranlement fécond

Cette littérature s'apparente à une zone sismique dans laquelle les traditions se rencontrent et se frictionnent. Les strates culturelles locales, en l'occurrence coloniales, postcoloniales et globales s'interpénètrent et donnent naissance à une modernité littéraire plurielle. Nous pensons que cette modernité se définit par la réactivation et la transformation des héritages. Écrire, dans ce contexte, c'est signer un accord de transmissibilité. C'est reconnaître que la littérature est toujours filiation déhiérarchisée et polyphonique. Le texte de Kateb Yacine selon cette logique serait un prétexte permanent, un espace de réécriture infinie. Il est à identifier dans la rencontre des langues, des imaginaires, des esthétiques, des cultures. Il annonce la présence de *l'Autre*, non comme menace, mais comme énergie constitutive.

Se pose alors une question essentielle : *qui parle véritablement dans ces romans ?* Faulkner, Flaubert, Camus, certes ; mais aussi Dib, Khatibi, la mémoire des luttes, la mémoire coloniale, ainsi que

(5) Jean-Marc Moura, *Littératures francophones et théorie postcoloniale*. Paris, PUF, 1999.

maghrébine en langue française n'a été aussi florissante qu'au cours des dernières années. L'essor d'une nouvelle génération d'écrivains témoigne d'un renouvellement esthétique et thématique d'une rare intensité. Ces auteurs, nés au cœur ou dans la foulée de la « crise de la modernité », ont été marqués par l'autoritarisme politique, l'arabisation scolaire, les guerres civiles (notamment la « décennie noire » algérienne) et les bouleversements sociopolitiques du « printemps arabe ».

I. L'expérimentation d'une langue ouverte

1. Complexification de la liberté de dire

La langue française est perçue chez les nouvelles générations comme un espace d'expérimentation, un terrain malléable dans lequel se croisent références locales et influences mondiales. Avec des écrivains comme Kamel Daoud, Salim Bachi, Mahi Binebine, Maïssa Bey, Yamen Manai ou encore Wafa Ghorbel, la langue française s'inscrit dans une tradition littéraire revendiquée et stabilisée. Ce qui importait jadis, notamment la légitimation du choix linguistique ne fait plus débat. Ce qui prime désormais, c'est la liberté de dire, la liberté d'inventer une langue neuve, vivante, hybride, chargée de l'histoire des corps et des peuples. À partir de cette liberté créative émerge une épaisseur littéraire nouvelle et des filiations complexes. Les grands ancêtres sont toujours présents et ne forment plus un panthéon figé. Ils sont convoqués, transgressés, réinvestis, détournés et réécrits. Une double référence se dessine, entre influences françaises et héritages maghrébins :

- Mohamed Khair-Eddine dialogue avec Césaire et Lautréamont dans une langue baroque et explosive ;
- Driss Chraïbi, auteur du *Passé simple*, se confronte à Mauriac dans une exploration critique de la figure paternelle ;
- Mouloud Feraoun, avec *Le Fils du pauvre* fait écho à Balzac depuis une perspective marginale ;
- Mohammed Dib reprend à Camus la méditation existentielle et l'oriente vers une poétique de la traversée.

est au cœur de toute l'œuvre de Kateb. Son personnage Mustapha, brillant élève amoureux de sa maîtresse, symbolise cette dialectique entre amour de la langue et résistance, entre désir et contestation. Avec *Nedjma*, véritable césure dans l'histoire du roman maghrébin, le genre romanesque bascule dans une mouvance poétique. Il cesse d'être un récit ethnographique pour se muer en fable éclatée, en lieu d'errance et d'inachèvement.

Cette posture se définit comme la tentative de répondre à la question suivante : *où va le roman maghrébin ?* Il serait tentant d'affirmer qu'il avance par bifurcations et qu'il refuse les routes toutes tracées. Ce roman se nourrit de ses contradictions et les transforme en force motrice. Il s'éloigne peu à peu d'une vision exotique ou folklorique et tend vers une autonomie littéraire puisqu'il revendique son propre canon. Il est donc cette fracture, ce passage qui donne à lire un monde en recomposition constante et qui affirme avec intensité que la littérature est le lieu de la réinvention du réel, l'espace au sein duquel les mémoires se croisent et les identités s'ouvrent.

Le rapport à la langue a profondément évolué et la littérature maghrébine contemporaine en offre immédiatement la démonstration. Si, naguère, cette langue française était perçue comme un outil de domination et de dépossession coloniale, cette perception s'est profondément transformée. Aujourd'hui, le problème ne réside plus dans l'alternative de savoir s'il convient ou non d'écrire en français. Dès les années 1960, Kateb Yacine formulait ce rapport ambivalent en qualifiant la langue française de « butin de guerre⁽³⁾ », une expression devenue canonique et qui condense simultanément la mémoire douloureuse de l'expérience coloniale et la possibilité d'une réappropriation subversive de la langue du colon. Mais à présent, le « butin » est devenu outil de création libre et décomplexée. La langue, dans son historicité blessée, a été désacralisée, appropriée, « déracinée pour être replantée ailleurs⁽⁴⁾ ». Un deuxième constat vient confirmer cette évolution : jamais la production littéraire

Paris, Seuil, 1994, p. 132.

(3) Yacine Kateb, *L'Œuvre en fragments*, textes réunis par Jacqueline Arnaud, Paris, Sindbad, 1986, 9.45.

(4) Abdelkebir Khatibi, *La blessure du nom propre*, Paris, Denoël, 1986, p.37.

vaste porté par les échos de la diaspora et du transculturel. Cette littérature réclame une lecture engagée, à la croisée du politique et du poétique et affirme le droit de nommer et de revendiquer contre l'effacement et contre l'uniformisation. La parole littéraire se trouve profondément liée à l'Histoire et à ses blessures. Elle est le produit d'un conflit intérieur et d'un rapport ambivalent à la langue qui met en exergue un mélange de rejet et d'appropriation. Salah Garmadi explique dans ce sens que le créateur ne doit pas se perdre dans les méandres théoriques. Ce dernier écrit dans une langue qui s'impose à lui comme une urgence vitale. L'écrivain doit oublier les querelles linguistiques et doit faire de la langue un outil à subvertir. Kateb Yacine évoque à son tour cette métaphore de « la gueule du loup » pour mettre en exergue à la fois l'emprise coloniale et la ruse de l'écrivain maghrébin qui retourne la langue de l'autre contre lui, qui fait du français un français autre, un idiome décolonisé, un territoire d'insoumission. Ainsi, la langue française n'est plus tout à fait française dans la plume maghrébine ; elle est ce lieu du désir et du métissage. D'ailleurs, le passage du subi au choisi, de l'interdit à l'affirmé, marque une émancipation linguistique et esthétique. Il s'agit de survivre à l'intérieur de la langue, de la recréer depuis l'intérieur en y injectant les rythmes, les imaginaires et les mémoires du Maghreb. Le roman maghrébin assume cette ubiquité et se tient entre les langues et entre les cultures dans un espace de synergie productive. Il porte un fond à la fois idéologique et esthétique et témoigne de la densité culturelle d'un Maghreb pluriel adressé autant à lui-même qu'à ses marges, qu'à l'autre.

3. Une histoire en pleine gestation

Pour beaucoup de critiques littéraires, le roman est d'abord une « histor », une narration linéaire. Pourtant, les figures fondatrices comme Chraïbi, Dib, Khair-Eddine ou Ben Jelloun ont très vite défait cette linéarité pour proposer une écriture fragmentée et polyphonique. Ils ont fait du roman un lieu de combat formel autant qu'idéologique. Kateb Yacine choisit délibérément le français, non par soumission mais par stratégie : « J'écris en français pour dire aux Français que je ne suis pas français⁽²⁾ ». Ce paradoxe identitaire

(2) Yacine Kateb , *Le Poète comme un boxeur*, Propos recueillis par Gilles Carpentier ,

Une quête de liberté totale ?

1. Éprouver les limites

Jacqueline Arnaud défendait l'idée que la langue française offrait une liberté singulière, celle de critiquer et de franchir les tabous. En ce sens, la langue française ne serait pas une entrave mais un levier de subversion. Cependant, cette idée doit être repensée à la lumière des évolutions récentes. Aujourd'hui, des écrivaines comme Nawel Saadaoui et Ahlem Mosteghanemi prouvent que la langue arabe elle-même peut être cet espace de transgression. Leurs œuvres sont centrées sur le corps, écrites par des femmes dans une société conservatrice. Le recours à l'arabe brise les carcans linguistiques, sociaux et genrés. Mosteghanemi, va, à bien des égards, plus loin que certains écrivains de langue française. Elle montre que la langue, quelle qu'elle soit, peut devenir un outil d'émancipation si elle est travaillée par une volonté artistique forte. Le roman maghrébin moderne, qu'il soit d'expression française ou arabe, tend vers une esthétique de la densité et du questionnement et s'épanouit dans une écriture philosophico-poétique marquée par une réflexion sur l'histoire et sur la mémoire. Il se donne à lire comme une expérience sensorielle, presque physique et dans laquelle la langue est à lire comme un cri, comme une contestation.

2. L'invention de codes et la conquête de nouveaux territoires

Loin de se contenter d'imiter des modèles importés, cette littérature maghrébine invente ses propres codes. Elle s'inscrit dans le sillage d'auteurs comme Mohammed Khair-Eddine, « l'enfant terrible » qui refusait toute forme de docilité littéraire. Son écriture est un acte de violence symbolique contre l'histoire imposée. un lieu de fracture et de dissidence. Elle se présente comme un hiatus dans le récit dominant et affirme une volonté d'interpellation. La littérature maghrébine d'expression française. Cette littérature s'inscrit au carrefour des langues et des silences, des appartenances affirmées et des errances assumées puisqu'elle ne se limite pas à raconter le Maghreb ou à en être le simple reflet. Elle lui parle et dialogue avec lui tout en s'adressant à un univers bien plus

that is both rooted in colonial memory and oriented towards a polyphonic modernity. This literature questions the changing relationship with the French language and asserts itself as a space for aesthetic experimentation in which orality, fragmentation, allegory and hybridity come together.

Keywords: Maghreb novel – postcolonialism – language–transculturality – Tout-Monde – aesthetics of rupture – dialogical criticism

Identités romanesques multiples :

Longtemps considérée par certains comme une « expérience sans lendemain », la littérature maghrébine d'expression française a été condamnée à une disparition prématurée. Ses détracteurs l'imaginaient fragile, sans enracinement et vouée à se dissoudre avec les soubresauts de l'histoire postcoloniale. Or, avec le recul, ce jugement s'est révélé non seulement infondé, mais aussi incapable d'embrasser la complexité et la puissance créatrice de cette littérature. Driss Chraïbi, l'un de ses principaux représentants, la qualifiait de « pont », lieu de passage, de transition de dialogue et de réinvention. La question de la langue y est centrale et récurrente. Écrire en français dans un espace maghrébin, c'est d'emblée s'inscrire dans un territoire traversé de fractures politiques et mémorielles. Écrire en français, c'est se réapproprier cette langue française marquée par la domination pour en faire un outil de transgression. Le roman maghrébin contemporain en langue française se définit comme un espace d'expérimentation, une négociation laborieuse avec l'héritage colonial et une projection vers ce que Glissant appelle le « Tout-Monde », un univers littéraire décentré et mouvant. Chraïbi lui-même posait la question provocatrice : « *le temps n'est-il pas venu de faire dérailler cette littérature dite maghrébine ?⁽¹⁾* » Dérailler est synonyme de s'inventer autrement dans une esthétique de la rupture et de la discontinuité. Ce travail entend étudier comment la littérature maghrébine se veut palimpseste au fur et à mesure qu'elle rature, corrige et détourne les codes imposés.

(1) Driss Chraïbi, *Une place au soleil*, Paris, Denoël, 1998, p.9.

Où va le roman maghrébin ?

Bessem Aloui

ESLI, Université de Manouba

Résumé

Cet article explore les transformations profondes du roman maghrébin d'expression française à l'aune des enjeux postcoloniaux, esthétiques et linguistiques. Il met en lumière la dialectique paradoxale d'une littérature à la fois enracinée dans la mémoire coloniale et tournée vers une modernité polyphonique. Cette littérature interroge la mutation des rapports à la langue française et s'affirme comme un espace d'expérimentation esthétique dans lequel s'articulent oralité, fragment, allégorie et hybridité.

Mots-clés : roman maghrébin – postcolonialisme – langage–transculturalité – Tout-Monde – esthétique de la rupture – critique dialogique.

ملخص

يستكشف هذا المقال التحولات العميقة التي طرأت على الرواية المغاربية باللغة الفرنسية في ضوء القضايا ما بعد الاستعمارية والجمالية واللغوية. ويسلط الضوء على التناقض الجدلي لأدب متجذر في الذاكرة الاستعمارية ومتجه نحو حداثنة متعددة الأصوات. هذا الأدب يتساءل عن التغيير في العلاقات مع اللغة الفرنسية ويؤكد على نفسه كمساحة للتجريب الجمالي تجمع بين الشفوية والجزئية والرمزية والتهجين.

الكلمات المفتاحية: الرواية المغاربية – الأدب ما بعد الكولونيالي – اللغة – التعددية الثقافية – عالم الكل – جمالية الانقطاع – النقد الحوارية.

Abstract

This article explores the profound transformations of French-language Maghrebian novels in light of postcolonial, aesthetic and linguistic issues. It highlights the paradoxical dialectic of a literature

SOMMAIRE

<i>Où va le roman maghrébin ?</i> Bessem Aloui, ESLI, Université de Manouba	3
Une altérité contemporaine sous le signe d’une médiation appesantie sur la condition humaine dans <i>D’autres vies que la mienne</i> (Carrère) et <i>Boutès</i> (Quignard) Marouene Souab, ATTC, Université de La Manouba	52
L’ethos du Président Emmanuel Macron dans ses discours sur Gaza (2023-2025) Mohamed Rayani, Université de la Manouba	43



مخبر «المباحث الدلالية
واللسانيات الحاسوبية»



أسّس سنة: 2018

Al-fikr al-lissanyî

Revue scientifique à comité de lecture et spécialisée

N° 9	Décembre 2025
------	---------------

**Faculté des Lettres des Arts et des Humanités
de la manouba, 2010 Tunis**

Tél.: 216.71.600.700 (Bureau 1173)

e-mail: alfikr.alissani@gmail.com



العدد 9

الفكر اللساني

في هوية المجلة :

تمثل مجلة "الفكر اللساني" مجمعا علميا يزخر بالأعمال الأكاديمية التي تنبع من الجامعة وتستثمر طاقات الباحثين في بحث السديد من الإشكاليات والقيّم من المطارحات في صميم اللغة تفكيراً وتداولاً. وهو ما نشأت واستوت على عرش البحث اللساني لتحقيقه بإشراف صفوة من الأساتذة والدارسين من كافة العالم العربي وأروبا، وذلك لتفتّح النفوس وتلاقح الأفكار وتتقادح العقول، ومن أوكّد أهدافها :

- مواكبة أحدث المواضيع والدراسات اللسانية والتفاعل معها وإنفاذها إلى القارئ في ضرب من التيسير والتأصيل.
- إعادة النظر في بناء المعرفة اللسانية وذلك بإثارة القضايا والمشكلات في المباحث اللغوية.
- نشر المعارف اللغوية والإحالة على مواردها ومراجعتها والإسهام في تعزيز حركة الترجمة المصطلحية ومزيد تنميتها وتعميقها، ومواكبة حركة البحث اللساني في العالم.

ولن تألّو المجلة جهداً في نشر القيم والمفيد من الدراسات والمستقيم الذي يجدد ويؤصل للمعرفة وللتفكير.

ISSN 2811-6275



9 772811 627004

PRIX : 15 DT
15 \$